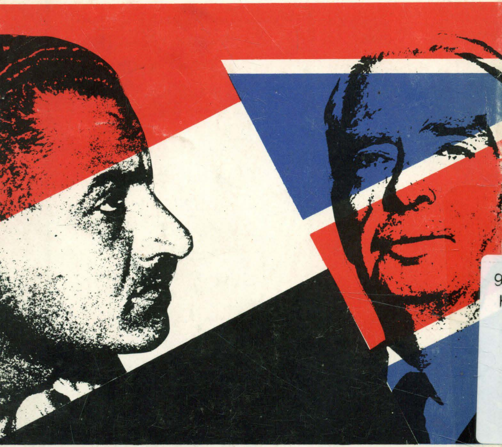
كتاب الحرية

٢٠

عبد الناصر و المخابرات البريطانية



محمد شكري حافظ

كتاب الحرية

يصدر أول كل شهر عن

دار الحرية

للصحافة والطباعة والنشر

(شركة مساهمة مصرية)

١٤ شارع جواد حسنى - القاهرة

تليفون ٣٩٢٢٣١١ - برقيا: الحرية

المراسلات: ص.ب ١٣٧ محمد فريد - القاهرة

عبد الناصر

.. والمخابرات البريطانية

الطبعـــــة الأولـــــى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

عبد الناصر
.. والمخابرات البريطانية

محمد شكري حافظ

« الآراء الواردة بهذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن اتجاه « دار الحرية » وإنما تعبر عن وجهة نظر كاتبها » .

إهـــــــداء

إلى كل رجل مخابرات مصرى يعمل فى صمت ، بوحى من ضمير يحاسبه ، ورب يخشاه ، ووطن يتطلع إليه ، وينتظر منه الكثير ، أهدى كتابى هذا .

« المؤلف »

تقـــــديـــم

كان جهاز المخابرات البريطانية حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية هو أقوى جهاز فى العالم . وبفضله تمكنت بريطانيا من السيطرة على امبراطوريتها الواسعة التى كانت لا تغيب عن أراضيها الشمس .

بعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢ لم يكن فى مصر جهاز أمن يحمى الثورة الوليدة ، فأجهزة الأمن السابقة على قيام ثورة يوليو وهى : القلم السياسى ، والقسم المخصوص ، والمخابرات العسكرية ، كانت جميعها تحمى نظام الحكم السابق ، وتدين بالولاء للسفارة البريطانية . لذلك كان لزاماً على جهاز الأمن الوليد ، الذى انشىء بعد قيام الثورة لحمايتها ، أن يبدأ عمله من الصفر ، حيث أن الجهاز الجديد عليه أن يواجه هيمنة جهاز المخابرات البريطانية ، ونفوذ السفارة البريطانية الطاغى فى مصر ، كذلك عليه أن يواجه أنصار النظام القديم أو اتباعه .

ولكن جهاز الأمن الوليد ، تمكن بفضل عزم الرجال واخلاصهم ، من تسديد ضربة قاسمة لجهاز المخابرات البريطانية فى مصر ، والكشف عن ١٥ ضابطاً من أبرز ضباط الخدمة السرية البريطانية الذين يعملون فى التجسس

تحت رئاسة جهاز «M,I,6» «أم . أى – ٦» فى لندن ، وهو الجهاز الذى يقوم بأعمال التجسس فى جميع دول العالم .

جاءت الضربة فى توقيت حيوى بالنسبة لمصر ، فجاءت خلال اشتعال أزمة السويس ، وقبل العدوان الثلاثى مباشرة ، مما كان له أكبر الأثر فى شل يد بريطانيا داخل مصر ، بعد القضاء على جميع شبكات التجسس البريطانية بها .

ومما يؤيد ذلك ، ما جاء فى كتاب صائد الجواسيس « Spycatcher » لمؤلفه بيتر رايت ، وكان يشغل منصب مساعد مدير المخابرات البريطانية لفرع الـ « M, I, 5 » « أم . أى – ٥ » خلال أزمة السويس وهو الجهاز المسئول عن مقاومة التجسس فى بريطانيا ورفضت المسز تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السماح بنشره . وتمكن مؤلفه من نشره فى الولايات المتحدة الأمريكية .

قال المستر رايت فيما يتعلق بمصر أن أنتونى ايدن رئيس الوزراء البريطانى خلال أزمة قناة السويس ، أصدر إليهم أمراً باغتيال جمال عبد الناصر .

ويقول المؤلف : وقد قمنا بتجارب لاستخدام غاز الاعصاب للاعداد لعملية اغتيال جمال عبد الناصر ، بحيث يتم وضع الغاز فى أنابيب وتوصيلات أجهزة تكييف الهواء . ولكن استبعدت هذه الفكرة ، حيث كانت تحتاج إلى كميات كبيرة من غاز الأعصاب ، وسوف يؤدى بالضرورة إلى وفاة الكثيرين من رجال عبد الناصر ومساعديه ، ثم فكرنا فى قتل جمال عبد الناصر بالسم ، حيث من السهل دس كميات من مادة سامة فى الطعام والشراب ، وكان أحد عملائنا يستطيع الوصول إلى الرئيس المصرى فى أحد أماكن أقامته ، الا أننا فوجئنا بقيام عبد الناصر بالقبض على جميع شبكة التجسس البريطانية فى مصر ، وبذلك انهارت جميع عمليات المخابرات البريطانية فى مصر .

ومن هنا تأتى أهمية كتاب « عبدالناصر .. والمخابرات البريطانية » للواء محمد شكرى حافظ رئيس العمليات بهيئة الأمن القومى الأسبق ، حيث أنه يكشف بالتفصيل كيفية ضبط شبكة التجسس التى جندتها المخابرات البريطانية لمحاربة ثورة يوليو فى سنواتها الأولى .

« دار الحرية »

مقدمة

قاد جمال عبد الناصر المعركة ضد الاستعمار البريطانى بجسارة وتصميم ، على جميع الجبهات السياسية والدبلوماسية والصدام المسلح وميادين العمل السرى . وكان كل ميدان من هذه الميادين يحتاج إلى الرجال ، الذين وقفوا خلفه يؤازرونه ، خاصة فى ميدان العمل الفدائى والعمل السرى . فكان بهم وباعمالهم الفذة يحصل على ما يساوم به المفاوض البريطانى بخبثه وتقلبه ، وطول مراسه فى العمل الاستعمارى .

وقد افشل عبد الناصر ورجاله هؤلاء ، سياسة النفس الطويل التى برع فيها الإنجليز ، حيث نجح العمل السرى للمخابرات المصرية الوليدة فى كشف المؤامرات والمخططات التى كانت تحاك من أعتى رجال المخابرات البريطانية وساستهم ، للإيقاع بالثورة المصرية .

كانت التقارير السرية التى يحصل عليها رجال المخابرات المصرية من خزائن رجال المخابرات البريطانية ، هى النور الذى أضاء الطريق لجمال عبد الناصر ، والبصيرة التى بها تفوق على المفاوض البريطانى ، الذى تعرى أمامه ، وكشفت نياته وهو جالس على مائدة المفاوضات لتحقيق جلاء القوات البريطانية عن مصر .

لم يكن هناك حدود يقف عندها عشاق العمل السرى فى ميدان العمل ضد الاستعمار البريطانى ، فالبلد أصبح بلدنا ، والميدان يتسع لكل راغب فى المشاركة فى رفع عزة وكرامة مصر ، والمساهمة فى حمايتها .

كانت مسئولية الأمن فى مصر فى عهد ما قبل الثورة تتركز فى وزارة الداخلية والتى كان يوجهها جهاز القسم المخصوص ويتبعه القلم السياسى . وكان هذا الجهاز البوليسى يرأسه ضابط بوليس برتبة لواء من الإنجليز يعاونه مجموعة من ضباط البوليس المصريين ومعاونيهم . وحتى عهد قريب قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ كان اللواء رسل باشا الإنجليزى هو حكمدار العاصمة « القاهرة » وكان التقليد المتبع ان حكمدار العاصمة يرأس بحكم منصبه جهاز البوليس السياسى . وكان أول حكمدار مصرى خلف رسل باشا هو اللواء سليم زكى باشا . وعندما اغتيل اللواء سليم زكى عام ١٩٤٨ فى مظاهرات كلية الطب بشارع القصر العينى . خلفه اللواء أحمد طلعت . وعندما قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ كان حكمدار العاصمة ورئيس القسم السياسى هو اللواء محمد إبراهيم أمام . وكما سبق ان أوضحنا كان يرأس جهاز البوليس السياسى جهاز آخر يطلق عليه اسم القسم المخصوص يتبع وزير الداخلية مباشرة .

وبقيام ثورة يوليو تهاوت هذه الأجهزة البوليسية الرهيبة والتى كانت لها شهرة واسعة فى محاربة المصريين الأحرار الذين كانوا يتطلعون إلى تحرير مصر .

عقب قيام ثورة يوليو مباشرة تم تشكيل جهاز جديد من عناصر منتقاة من ضباط الشرطة لسد الفراغ الذى حدث بعد حل القسم السياسى والقسم المخصوص ، وأطلق على هذا الجهاز اسم المباحث العامة . وأنشىء داخل هذا الجهاز مجموعة من ضباط المخابرات الحربية للقوات المسلحة لتكون حلقة اتصال بين مجلس قيادة الثورة وجهاز المباحث العامة . وهذه المجموعة من ضباط المخابرات الحربية كانت نواة جهاز المخابرات العامة فيما بعد .

عندما قامت الثورة كنت ضابطاً للشرطة برتبة ملازم أول ضمن قوة حرس الوزارة ، وعندما أنشىء جهاز المباحث العامة ، نقلت إليه ضمن من وقع عليهم الاختيار للعمل به ، وعينت ضابطاً بمكتب شئون الأجانب .

لم ينتظم العمل فى هذا الجهاز الجديد ، الا بعد مرور ما يزيد على العام من بدء تكوينه ، نظراً لحداثة عهد الضباط الجدد بهذا النوع من العمل . فلم يكن بالجهاز فريق قديم ذو خبرة لكى يمنحها للقادمين الجدد – حتى من تقرر بقاؤه من ضباط القلم السياسى القديم ليعمل بجهاز المباحث العامة الجديد – لم يكن لديه الرغبة فى العطاء ، حيث وجد نفسه غريباً – مشكوكاً فى أمره – علاوة على أنه لم يكن على مستوى الكفاءة التى تمكنه من أن يكون عنصراً مفيداً .

فالجهاز الجديد ، قام على أيديولوجية جديدة تتعارض تماماً مع عقيدة القسم السياسى السابق ، والتى كان هدفها الأول حماية النظام والمصالح الأجنبية ، وعلى قمتها الوجود البريطانى فى مصر ، فى حين أن جهاز المباحث العامة الجديد ، كانت مهمته الأولى والأساسية ، هى تثبيت دعائم الثورة وحمايتها من مؤامرات رجال العهد الذى سقط ، كذلك مؤامرات المخابرات البريطانية وأصحاب المصالح الأجنبية فى مصر ، حيث أن اقتصاد مصر كان يسيطر عليه حفنة من اليهود ذوى الجنسيات المختلفة والأجانب من الإنجليز والفرنسيين والبلجيكيين وغيرهم . حتى المؤسسات والشركات والبنوك التى كانوا يملكونها ، كانت تدار بواسطة موظفين أجانب . ولا يبقى للمصريين الا الوظائف الدنيا كالخدم والسعاة والسائقين .

نتيجة لهذه الأوضاع والتى كانت سابقة على قيام الثورة – فلم تكن محتويات الأرشيف بالنسبة للنشاط الأجنبى الا ما كان يهم النظام السابق . وبناء عليه فكان علينا إذا رغبنا فى العمل ، أن نبدأ من الصفر ، لم يكن خلو الأرشيف من المعلومات هو نقطة الضعف الوحيدة بالنسبة للنشاط الأجنبى ، بل أن أطقم المخبرين الذين تم توزيعهم بطريقة عشوائية على الضباط ، معظمهم دون المستوى المطلوب للعمل فى مكتب مكافحة النشاط الأجنبى ، والذى يحتاج إلى نوعية ذات مستوى معين

من الثقافة ، وعلى معرفة ولو سطحية باللغة الإنجليزية على الأقل ، ولكن المخبرين الستة الذين كانوا من نصيبى ، كان اثنان منهم فقط حاصلين على الشهادة الابتدائية ، أما الباقون فواحد منهم أمى لا يعرف القراءة أو الكتابة ، أما الباقون فبالكاد يكتبون ، علاوة على ما تقدم فلم يكن بحوزتنا أى إمكانات أخرى كالسيارات مثلاً - حيث إنه بالمكتب سيارة واحدة بسائق واحد - كان يستحوذ عليها طول الوقت رئيس المكتب لتوصيله إلى منزله ولتقضى له حاجاته من المشتروات وغيرها ، وكان يضن بها علينا نحن ضباط المكتب الخمسة الذين كنا نشكل قوة المكتب ، حتى لتوصيلنا إلى منازلنا عقب انتهاء العمل .

كان عملنا ينحصر فى القيام بالتحرى عن جدية زواج المصريين بالأجنبيات ، أو التحرى عن أشخاص أو مؤسسات يشاع أنها تقوم بنشاط معاد . وكانت تقارير التحريات التى نكتبها لا تعكس سوى مستوى المخبرين الثقافى الهابط ، وامكاناتهم الهزيلة ولا تؤدى إلى أية نتيجة لها إيجابيتها . كان هناك سيل من الخطابات « الافادات » التى كنا نتسلمها يومياً ، ولا يمكن للضابط ان يقوم بالتحريات بنفسه مهما أوتى من الوقت أو الذكاء ، ولا أن يوفيها حقها من العمل الجاد ، والتحريات الموضوعية المدروسة ، حيث كان الضابط يعمل بلا إمكانيات ، ودون أن تكون له قاعدة من العلاقات التى تساعده فى الوصول إلى الحقيقة ، نظراً لحداثة عهده بالعمل مع إضافة أن السواد الأعظم من الأماكن التى كانت موضع شك ، لنشاطها المريب أو المعادى للثورة ، لم يكن بها عناصر من المصريين يمكن أن يكونوا عونا لنا ، لتبصيرنا بالحقيقة التى نسعى للوصول إليها ، فجميع موظفيها ، أما أجانب أو متمصرون « أى لا ينحدرون من أصل مصرى بل يعيشون فى مصر ويحتفظون بلغاتهم وعاداتهم دون جنسياتهم » ، أو مصريون مشكوك فى ولائهم لمصر وللنظام الجديد ، أو جبناء يخشون التعاون معنا خوفاً من أن يفقدوا وظائفهم وبالتالى مرتباتهم الكبيرة التى كانوا يتقاضونها نظير عملهم فى هذه المؤسسات الأجنبية ، والتى كانت متميزة بشكل كبير عما كان يتقاضاه نظراؤهم من موظفى الحكومة المصرية فى ذلك الحين .

كان هذا الموقف فى نهاية عام ١٩٥٣ ، عندما قررت بينى وبين نفسى ضرورة تطوير العمل الروتينى المكتبى ، والقيام بعمل إيجابى بدلاً من السلبية التى اعتدنا عليها ، فلا شك أن مصر مليئة بالأنشطة المعادية ، كذلك المخابرات البريطانية والأجنبية نشطة ، والعملاء كثيرون ، واعداء الثورة يتربصون – ولكن من أين لى أن ابدأ ؟ وكيف ؟

قد يهون على الأمر ، حضور متطوع يطرق باب مكتبى ليبلغنى أن ضابط مخابرات بريطانى مثلاً قد كلفه بالحصول على معلومات عن القوات المسلحة المصرية – ومن هنا يمكن أن أبدأ مسترشداً بهذا الخيط كبداية . ولكن كيف لى أن أبدأ وسط هذه الجحافل البشرية التى تموج بها القاهرة وغيرها من مدن مصر .

حتى معلوماتى وخبرتى عن مقاومة ومتابعة هذه الأنشطة المعادية ومكافحة أنشطة التجسس ، لا تزيد على فيلم سينمائى رأيته ، أو كتاب قرأته عن قصة جاسوسية .

ولكنى كنت واثقاً دائماً ، ان الله سيقف بجانبى ، سنداً للنية الصادقة ، والنفس المؤمنة بالله وبالوطن .

محمد شكرى حافظ

الفصل الأول :

البـــــــــداية

فى أواخر عام ١٩٥٣ وفكرة العمل الإيجابى تختمر فى عقلى . تسلمت إفادة رسمية ضمن البوستة الروتينية . كانت فى مظهرها كمئات الإفادات التى ترد للمكتب من مختلف الجهات تطلب التحريات والمعلومات عن المؤسسات الأجنبية والتى يشاع عنها أنها تعمل لحساب جهة أجنبية معينة . كانت هذه الإفادة بالذات بها طلب تحريات ومعلومات عن نشاط وكالة الأنباء العربية . وعن مدى نشاطها فى التجسس ضد البلاد .

بدأت شخصياً التحريات وتجميع المعلومات عن هذه الوكالة فاتضح لى أنها وكالة أنباء إنجليزية يطلق عليها اسم The Arab News Ajency وهى فرع من وكالة « رويتر » للأنباء . هدفها هو تغطية أنباء العالم العربى ، ويرأسها الصحفى البريطانى المعروف (توماس روسول ليتيل) وينادى اختصاراً لاسمه « توم ليتل » وهو بريطانى .. نشيط . ومجال عمله كافة البلاد العربية . ومركزه الدائم القاهرة . وباعتباره حجة فى الشئون العربية لذلك فهو المستشار الدائم للسفير البريطانى فى مصر . وقلما يتخلف عن حضور أى مؤتمر للسفارة هدفه مناقشة السياسة المصرية بصفة خاصة ، وسياسة البلاد العربية بصفة عامة .

كان مركز وكالة الأنباء العربية هو عمارة الايموبيليا بشارع شريف بالقاهرة بالبلوك الايمن بالدور الأول حيث مكتب المستر (توم ليتيل) وكان المستر ليتل يقيم فى شقة فاخرة بشارع ويلكوكس بالزمالك ، كان متزوجاً من إنجليزية ، الا أنه لم

ينجب منها أولاداً ، لهذا فقد تبنى فتاة مصرية ، قام بتربيتها هو وزوجته ، كان من هواة الجولف ، وكثيراً ما مارس هوايته بنادى الجزيرة الرياضى مع كبار رجال السفارة البريطانية وكان يلى المستر توم ليتل فى رئاسة الوكالة المستر جيمس سوينبرن وكان يشغل منصب نائب مدير وكالة الأنباء العربية والمسئول عن الشئون الإدارية والمالية بها .

ويعمل بالوكالة مجموعة من المراسلين الإنجليز ، والصحفيين المصريين ، كما يعمل بها طاقم من المصريين والأجانب فى أقسام السكرتارية والشئون الإدارية وغيرها .

وبدراسة شخصيات موظفى الوكالة من المصريين ، اتصح لى أن أحدهم يعمل السكرتير الشخصى للمستر توم ليتيل ، مدير الوكالة ، وبحكم هذا المنصب ، فهو يطلع على كافة أنشطة الوكالة وأسرارها ، وعلمت انه يدعى صلاح محمد على ، ويعمل بالوكالة منذ ثمانية عشر عاماً .

روادتنى فكرة الإتصال المباشر بصلاح محمد على ، وترددت بين الاحجام والاقدام ، ولكن نظراً لاعتناق عقيدة الإيجابية فى هذا العمل ، فقد عزمت على القيام بهذه الخطوة . وكلفت مخبراً كفؤاً هو محمد أنيس النحاس للاتصال بصلاح محمد على ، لينقل إليه رغبتى فى مقابلته . ولكى يقوم بتنفيذ هذه الخطوة ، طلبت منه مراقبة الوكالة وبمجرد خروج المستر توم ليتيل لتناول الغداء ، عليه أن يصعد ويتقابل مباشرة مع صلاح محمد على هذا ، ليعرض عليه رغبتى فى لقائه سرياً .

قام المخبر محمد أنيس النحاس بتنفيذ هذه الخطوة بنجاح ووافق صلاح محمد على على الفور ، وبلا تردد ، واتقفنا على ان تكون المقابلة فى نفس اليوم .

كان موعدنا الأول فى المساء الساعة التاسعة على ناصية شارع شريف عند تقاطعه بشارع الساحة أمام مقهى وبار اللواء المواجه للمبنى القديم لجريدة الأهرام . كان الوقت شتاء « نوفمبر ١٩٥٣ » تأخر صلاح عن الموعد بنصف ساعة حتى أننى بدات أفكر فى الانصراف ، نظراً لوقوفنا على ناصية الشارع بالطريق العام والبرد قارس كما راودنى الشك فى حضوره لاحتمال أن يكون خوفه

على مستقبله ووظيفته جعلاه يعدل عن الحضور ، أو أن يكون قد أخبر المستر توم ليتيل بشأن هذا الميعاد ، فطلب منه عدم الذهاب أو .. أو .. أخبرت مساعدى محمد أنيس النحاس بما يختلج فى صدرى ، فطمأننى بأنه مستريح إلى شخصية صلاح محمد على ، وأن صلاح متحمس للفكرة ووافق عليها منذ اللحظة الأولى . لم يجبن ولم يتردد وأثناء هذه المناقشة ، أطل محمد أنيس برأسه فى الظلام ، وأخبرنى بأن صلاح وصل . قام محمد أنيس بعملية التعريف . كان صلاح شاباً فى أوائل الثلاثينات ، قصير القامة ، صغير الجسم ، قمحى اللون يميل إلى السمرة ، له شعر مجعد قصير ، ذا شارب صغير وتبدو على هيئته الجرأة والاندفاع ، ويشع من عينيه ذكاء خارق .

بعد محادثة قصيرة بينى وبين صلاح ، فى أثناء سيرنا فى الطرقات المظلمة ، تأمينا لهذه المقابلة ، فاتحته مباشرة عما يقال عن نشاط وكالة الأنباء العربية . وشرحت له الظروف الدقيقة التى تمر بها مصر وموقف الاستعمار البريطانى ، خاصة وكانت مباحثات الجلاء بين ضباط الثورة وممثلى القيادة البريطانية قد بدأت ولكنها مائعة ومتعثرة . أجابنى صلاح بما اثلج صدرى وقال لى أنه مصرى يحب مصر . وكان يفكر كثيراً فى الاتصال بالسلطات المصرية ، ولكنه لم يكن يعرف الوسيلة حتى سبقناه بالسعى إليه . أضاف ان الوكالة فعلاً لها نشاط واسع فى مجال المعلومات عن الأحوال الداخلية فى مصر والسودان والدول العربية .

الفصل الثانى :

وكالة الأنباء العربية

كانت وكالة الأنباء العربية مركزاً مهماً لتجميع المعلومات عن طريق الصحفيين الذين يعملون بالوكالة ولهم اتصالات واسعة بالأوساط الرسمية بحكم ترددهم عليها ، وبحكم طبيعة عملهم الصحفى ، كرئاسة مجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة ووزارة الداخلية والخارجية وغيرها .

كما يقوم المراسلون الإنجليز بحكم انتشارهم واتصالاتهم بالأوساط العربية والأجنبية فى مصر بالحصول على معلومات كثيرة .

يقوم المستر(توم ليتيل) بتجميع كل هذه المعلومات ، ثم يقوم بعملية تنقية وفرز - كما يقوم بنفسه ، بتأكيد أو استيضاح ما غمض من معلومات ، بواسطة اتصالاته الخاصة باصدقائه من المصريين والشرقيين والأجانب ، إما بدعوتهم إلى بار مطعم الارميتاج الفاخر أسفل عمارة الايموبيليا ، أو بدعوته لهم بمنزله بالزمالك ، أو خلال حفلات الكوكتيل التى يقيمها بانتظام موظفو السفارة البريطانية بالتناوب والتى قلما يتخلف عن أحداها .

بعد اتمام عملية فرز المعلومات ، يقوم المستر(توم ليتيل) بكتابتها فى تقرير ، أول كل شهر ، وتقرير آخر فى منتصف كل شهر ، بشكل منتظم ، شاملاً الحالة السياسية والاقتصادية والمشكلات الداخلية . وكان التركيز فى ذلك الوقت على مشكلة السودان وهل سوف يستقل عن مصر أو يتحد معها ؟

كذلك أخبار أعضاء مجلس قيادة الثورة والشقاق القائم بين مجموعة خالد محيى الدين اليسارية ومجموعة جمال عبد الناصر .. إلخ .

كان المستر توم ليتيل يطبع من هذه التقارير عشر نشخ على الرونيو ، ويساعده فى ذلك صلاح محمد على ، ثم يقوم المستر ليتيل بنفسه بأعدام الأصل « الزفر » ثم يوزع النسخ العشر طبقاً للنظام التالى :

١ – تقريران يرسلان إلى السفارة البريطانية – يقوم المستر ليتيل بتسليمهما شخصياً ، أحدهما للسفير البريطانى والثانى لمدير المخابرات البريطانية بالسفارة « سكرتير أول » أوليفر سانت جون عام ١٩٥٤ ، وهو يتخذ من الصفة الدبلوماسية ساتراً يخفى وراءه نشاطه السرى فى حقل الجاسوسية .

٢ – ثلاثة تقارير أخرى يتسلمها المستر كريستوفر رن مدير العلاقات العامة بشركة شل للبترول حيث يحضر بنفسه ليتسلمها من المستر توم ليتيل . وقد كشفت أحداث القضية أن كريستوفر رن ضابط بإدارة المخابرات البريطانية ويعمل تحت ساتر مدير العلاقات العامة بشركة شل ويدير شبكة تجسس اعضاؤها مصريون يشغلون مناصب خطيرة فى الدولة وسوف تأتى تفصيلات ذلك فيما بعد .

٣ – ثلاثة تقارير يتسلمها المستر جاسكوت نائب مدير شركة الكيماويات الإمبراطورية « ICI » .

٤ – يحتفظ المستر ليتيل بالتقريرين الباقيين لنفسه للطوارىء وللرجوع إليهما عند كتابة تقارير جديدة .

واضح مما تقدم ، العلاقة الوثيقة بين وكالة الأنباء العربية وشركتى شل للبترول وشركة الـ « ICI » والسفارة البريطانية وهى علاقة يمكن أن يطلق عليها علاقة خاصة جداً وغير علنية . ما معنى هذا ؟ معناه حسب تحليلى الشخصى أن وكالة الأنباء العربية وشركة شل للبترول وشركة « ICI » لها نشاط فى مجال المخابرات ، وهناك احتمال كبير أن يكون هذا الثالوث عبارة عن جبهات أمامية لإدارة المخابرات

البريطانية مهمتها القيام بالأعمال ذات الصفة التجارية ، لتجنى ربحاً يستخدم فى الانفاق على نشاط جهاز المخابرات البريطانية ، وفى نفس الوقت تعمل هذه المؤسسات الثلاث كواجهة يمكن عن طريقها زرع ضباط مخابرات بداخلها تحت أى ساتر فنى أو إدارى ، حتى يتسنى لهؤلاء الضباط مزاولة نشاطهم السرى دون أى شكوك حولهم . وهذه طريقة مثلى لتغطية نشاط الخدمة السرية التى تعمل تحت الأرض فى مصر .

والعجيب فى الأمر أن الأيام أثبتت صدق هذا التخمين بشكل قاطع - كيف كان ذلك ؟

وكالة الأنباء العربية واجهة المخابرات البريطانية :

تمكنت فيما بعد من الحصول على وثيقة خطيرة تؤكد علاقة شركة شل ووكالة الأنباء العربية بإدارة المخابرات البريطانية - كما ثبت من متابعة نشاط وكالة الأنباء العربية أنها جبهة أمامية لإدارة المخابرات البريطانية - وبهذا يكون حدسى أو تخمينى قد تحقق تماماً .

أما بالنسبة للوثيقة فهى تؤكد أن المستر كريستوفر رن مدير العلاقات العامة بشركة « شل » ضابط ضمن جهاز المخابرات البريطانية ، ويتلقى تعليماته من لندن عن طريق ضابط مخابرات بالسفارة البريطانية بالقاهرة يعمل سكرتيراً أول بالسفارة ويتخذ الساتر الدبلوماسى ستاراً له . ولم يكن هذا الدبلوماسى يتصل بالسفير البريطانى أو يخضع لأوامره ، بل كان يتلقى تعليماته رأساً من قيادته فى لندن وكان يبعث إليها بتقارير جواسيسه فى داخل الحقيبة الدبلوماسية للسفارة البريطانية وكانت له شفرة خاصة به ، وهذه وثيقة موجهة للسفير البريطانى همفرى تريفيليان ومرفق بالكتاب صورة فوتوستات من أصل الوثيقة ترجمتها الحرفية كالآتى :

سرى / رقم ٧٥١ تاريخ ١٦ / سبتمبر ١٩٥٥

١ - ان المستر كريستوفر رن الذى يشغل وظيفة مدير العلاقات الخارجية بشركة

شل بالقاهرة ، قد طلب تعيينه عضواً لمجلس إدارة وكالة الأنباء العربية فى القاهرة ، وهى الوكالة التى إلى حد كبير تحت أشراف رئاستى فى لندن .

٢ – هذه المسألة نوقشت بمعرفة رئاستى ووزارة الخارجية وتم الاتفاق من حيث المبدأ على أن تعيين المستر « رن » يجب أن يتم . ولكن قبل اتخاذ قرار نهائى فى هذا الصدد ، صدرت إلى التعليمات لكى أحصل على موافقة صاحب السعادة السفير فى هذا التعيين . ويهمنى أن أؤكد أننا لا نريد أن نسمع فيما بعد أن السفارة لا توافق على تعيينه فى هذه الوظيفة .

٣ – وبمجرد الحصول على موافقة صاحب السعادة السفير ، فان تعيين المستر « رن » سيتم ، وهو الآن فى المملكة المتحدة يقضى أجازته ، كما أنه لن يعود إلى القاهرة لبضعة أشهر ، كما أنه لن يعلن عن هذا التعيين . ونأمل بذلك عدم إثارة الشكوك فى احتمال وجود رابطة بين وكالة الأنباء العربية وبين الشركة التى كان يعمل بها « يقصد بذلك شركة شل » .

٤ – وقد أمرتنى رئاستى أن أؤكد لسعادة السفير أن تعيين المستر « رن » لا يعنى أن شركة « شل » سوف تمارس أى نوع من السيطرة على سياسة وكالة الأنباء العربية . وأن المستر توم ليتيل مدير الوكالة سوف يظل فى الواقع المدير المسئول عن وكالة الأنباء العربية ورئيساً للمستر « رن » بالرغم من اللقب الذى سوف يحمله الأخير باعتباره عضواً لمجلس الإدارة .

« التـوقيـع »
D.T. Cox

والمستر دونالد كوكس هو سكرتير أول السفارة البريطانية فى القاهرة فى ذلك الوقت وكان يشغل منصب رئيس جهاز المخابرات بالسفارة البريطانية بالقاهرة تحت الساتر الدبلوماسى وهو الذى حل محل المستر أوليفر سانت جون رئيس المخابرات السابق بالسفارة والسابق الإشارة إليه .

وواضح من الخطاب الموجه من المستر كوكس رئيس جهاز المخابرات بالسفارة البريطانية بالقاهرة إلى السير همفرى تريفيليان السفير البريطانى ، أنه يحوى عبارات قاسية ، وكان يفرض فرضاً على السفير البريطانى رغبة إدارة المخابرات البريطانية فى لندن فى تعيين المستر رن عضواً بمجلس إدارة وكالة الأنباء العربية حتى لا يعترض مستقبلاً على هذا التعيين . وتم تعيين الرجل فعلاً فى هذا المنصب . وتقرر أن يعود للقاهرة لكى يباشر نشاطه فى التجسس تحت ستار الوظيفة الجديدة .

ولكن تلاحقت الأحداث عكس ما تشتهى إدارة المخابرات البريطانية ، حيث تم القبض على شبكة التجسس البريطانية واضطر كريستوفر رن إلى أن يزاول عمله من مكتبه الجديد فى بيروت حيث كان بإنجلترا وقت ضبط شبكة الجاسوسية بالقاهرة .

حقيقة الوكالة ! :

جاء باعتراف المتهمين الإنجليز فى قضية التجسس أن وكالة الأنباء العربية عبارة عن منظمة أمامية لإدارة المخابرات البريطانية وهى فرع من جهاز ضخم تسيطر عليه شركة بريطانية اسمها شركة أنباء الشرقين الأدنى والأقصى The Near and Far East News Comp ومركزها لندن وهذه الشركة تتحكم فى مجموعة من وكالات الأنباء الفرعية وأهمها :

- □ الشركة التركية لأنباء الشرقين الأدنى والأقصى : ومركزها أنقره .
- □ الشركة الأسيوية لأنباء الشرقين الأدنى والأقصى : ومركزها بومباى فى الهند
- □ شركة ستار نيوز Star News الباكستانية ومركزها كراتشى بالباكستان .
- □ وكالة الأنباء العربية Arab News Agency ومركزها القاهرة . ويتبع وكالة الأنباء العربية عدة مكاتب فى بيروت والخرطوم وعدن وعمان وبغداد ودمشق على أن تظل رئاسة وكالة الأنباء العربية دائما بالقاهرة ويرأس جميعها المستر توم ليتيل .

كما كشفت التحقيقات عن قيام كبار الرأسماليين البريطانيين المعروفين بميولهم الإستعمارية فى المساهمة فى رأس مال هذه الشركة الأم The Near and Far East News Comp وبالتالى تقوم الشركة المركزية فى لندن بتمويل فروعها فى أنحاء العالم ، وتقوم الحكومة البريطانية بخصم هذه المبالغ من الضرائب التى تستحق عليهم .

كما ثبت من الوثائق مساهمة إدارة المخابرات البريطانية بجزء من نفقاتها وتغطية خسائر هذه الشركة ، كما كانت توعز هذه الإدارة إلى بعض الشركات التابعة لها كشركة شل وشركة الـ « I.C.I » بتغطية نفقاتها وخسائرها .

وتم العثور على وثيقة أرسلها المستر توم ليتيل مدير وكالة الأنباء العربية فى القاهرة إلى المركز الرئيسى له فى لندن يشكو من تكبد وكالة الأنباء العربية خسارة بلغت ٣٤ ألف جنيه فى سنة واحدة (١٩٥٤) . وقد تعجبت لندن من ضخامة أرقام هذه الخسائر وأرسلت له ردها تقول بالحرف الواحد : « كيف يمكن أن تحدث مثل هذه الخسائر بينما تبعث لندن لوكالة الأنباء العربية شهرياً بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه لفرعى القاهرة والخرطوم فقط ، فضلاً عن ٢٥٠٠ جنيه تدفعها شركة شل » .

نعود إلى صديقنا صلاح محمد على ، سكرتير خاص للمستر توم ليتيل ، مدير وكالة الأنباء العربية الذى يكشف لنا عن نشاط الوكالة فى حقل جمع المعلومات .

استفسرت من صلاح محمد على عن مكان التقارير السرية نصف الشهرية التى يحتفظ بها المستر توم ليتيل ، فأخبرنى أنه يحتفظ بها داخل درج مكتبه المغلق دائماً . وغرفة مكتبه لا يدخلها أحد غيره ، والمكتب يغلق بمفتاح خاص ، والمستر ليتيل حريص على غلق مكتبه بالمفتاح قبل خروجه . وحدث أن عاد مرة فجأة بعد انصرافه للغداء مرتاعاً ودخل مكتبه مسرعاً ، واتضح أنه ترك سهواً مفاتيح مكتبه .

وكشفت مناقشتى مع صلاح أهمية هذه التقارير السرية ، كما كشفت عن الدور المهم الذى تقوم به وكالة الأنباء العربية فى حقل جمع المعلومات السياسية والاقتصادية عن مصر .

تناقشت مع صلاح محمد على عن السبيل للحصول على هذه التقارير ، فقرر لى أن المستر ليتيل يترك أحياناً مكتبه مفتوحاً حين يتوجه إلى دورة المياه ، وهذا يحدث نادراً ، وأضاف صلاح بأنه إذا كان فى حيازته آلة تصوير صغيرة ، فإن بامكانه تصوير هذه التقارير إذا سنحت له الظروف بذلك .

استفسرت من صلاح عن موقع مكتبه من مكتب رئيسه المدير العام للوكالة ، وعن الوقت الذى تحتاج إليه عملية التصوير ، على اعتبار أن ما يهمنى فى المقام الأول هو تأمينه وليس الحصول على التقارير ، حيث أنه يتقاضى مرتباً كبيراً يزيد على المائة الجنيه (بمقاييس عام ١٩٥٤) ، كما أنه يعمل بالوكالة منذ ثمانية عشر عاماً ، فلا يعقل أن يقامر بكل هذا من أجل الحصول على التقارير .

ولكن صلاح محمد على ، الوطنى النبيل ، رد على قائلاً بأننا فى العمل من أجل مصر ، سوف نتضاءل أى تضحية فى سبيل ذلك . وأظهر من الجرأة وعدم الخوف أو التردد ما جعلنى أحسده عليه .

طلب منى أن أحضر له كاميرا صغيرة لتكون فى حوزته بصفة دائمة ، حتى يقوم بتصوير التقارير التى يحتفظ بها المستر توم ليتيل فى مكتبه إذا ما سنحت له الفرصة لذلك .

تواعدنا على اللقاء فى بدروم - سرداب - فندق « هليوبوليس بالاس » بمصر الجديدة حيث أن شقيقه له غرفة بهذا السرداب يستخدمها كاستوديو لتحميض وطبع الصور ، باعتباره المصور الخاص للفندق ، والنادى الليلى الخاص به . وافقت على الفكرة نظراً لأنه المكان المثالى لمقابلاتنا السرية .

ونظراً لافتقار جهاز المباحث العامة فى ذلك الوقت إلى أى معدات فنية لازمة لمثل هذا العمل ، ونظراً لأن هذا المجال من العمل السرى الذى أنا أقف على عتبته لم يسبق أن طرق من قبل ، لذلك لم أجد أى آلات تصوير صغيرة الحجم لاعطيها إلى صلاح محمد على لكى أحقق رغبته .

وسارعت بعرض موضوع وكالة الأنباء العربية ومقابلتى مع صلاح محمد على على العميد يوسف عبد الله القفاص مفتش المباحث العامة لفرع القاهرة والذى أتبع له .

والعميد يوسف القفاص ، نوعية فريدة من القيادات ، فهو يقدّر العمل الجاد ونوعية الرجال ، فكان لنا بمثابة الأب والأخ . إذا احتجت إليه وجدته بجانبك ليحميك ، بعيد النظر ، مخلص فى عمله ، جاد فى تصرفاته ، كبيراً فى سلوكه ومعاملاته مع ضباطه . ولحسن الحظ ، كان لكل هذه الخصال التى يمتاز بها أكبر الأثر فى نجاح هذه العملية الضخمة وعمليات ضخمة كثيرة غيرها .

شرحت للعميد يوسف القفاص ملخص الموقف وحساسية العمل الذى سوف أقدم عليه ، وأوضحت له أهمية السرية المطلقة للعملية ، واقترحت عليه أن يكون اتصالى به مباشرة ، فى كل ما يختص بهذه العملية ، دون أن يعلم رئيسى المباشر شيئاً عنها ، نظراً لثرثرته المستمرة وانعدام الأمن لديه .

كما رجوته أن التقارير التى سوف أحصل عليها يجب أن تتداول باليد منى إليه إلى السيد جمال عبد الناصر والذى كان يشغل منصب وزير الداخلية فى ذلك الوقت ولا ترسل اطلاقاً بالبريد الروتينى .

وافق العميد يوسف القفاص على الفور ، وأوضحت له حاجة صلاح محمد على إلى آلة تصوير دقيقة .

وتم الاتصال بالمخابرات الحربية بناء على ترتيب أعده العميد يوسف القفاص ، وتقابلت مع الصاغ (الرائد) حسن بلبل رئيس قسم المعلومات بالمخابرات الحربية وأوجزت له الموقف وحاجة العملية إلى كاميرا صغيرة لتصوير التقارير السرية نصف الشهرية الخاصة بوكالة الأنباء العربية . وسلمنى الصاغ (الرائد) حسن بلبل آلة تصوير صغيرة ماركة مينوكس لا يزيد طولها على سبعة سنتيمترات بعرض ثلاثة سنتيمترات وكانت تستخدم هذه الآلة بمعرفة الجواسيس الألمان التابعين للمخابرات الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية . وكانت هذه الآلة فى ذلك الوقت (١٩٥٤)

ممنوعاً تداولها أو عرضها للبيع فى المحلات العامة . قام الصاغ حسن بلبل بتدريبى عليها توطئة لتدريب صلاح عليها وتسليمها له لوضعها فى جيبه بصفة دائمة حتى تحين الفرصة لتصوير التقارير السرية لوكالة الأنباء العربية .

تقابلت مع صلاح محمد على بعد يومين من مقابلتنا الأولى الساعة التاسعة مساء بالدور تحت الأرض (السرداب) بفندق هيلوبوليس بالاس بمصر الجديدة .

وبدروم هذا الفندق عبارة عن ممرات طويلة أشبه بممرات سفن الركاب الضخمة ، ويعلوها مواسير وأنابيب المياه والتدفئة . وكان على أحد جانبى الممر أبواب مغلقة لغرف متلاصقة ، بعضها لاستخدامات خدم الفندق ، ويستخدم البعض الآخر الفرق الاستعراضية والراقصات لتغيير ملابسها استعداداً لتأدية العروض التى تقدمها بالنادى الليلى بالفندق . وكان شقيق صلاح محمد على باعتباره مصور الفندق ، يشغل احداها ، وكان يعلوها رقم ٨٢ ، ويستخدمها فى أغراض تحميض وطبع الصور التى يلتقطها لنزلاء الفندق ورواد النادى الليلى .

كان شقيق صلاح غارقاك لأذنيه فى عمله ، ولم يكن يهتم بشىء سواه ، وبالتالى لم يكن يستحوذ عليه أى فضول لمعرفة ما يدور بينى وبين شقيقه من أمور ، بل كان متغيبا طول الوقت فى التصوير ، خاصة عندما تبدأ فقرة الرقص الشرق ، حيث أن الراقصة حريصة على أن يلتقط لها المصور ، صوراً تذكارية مع زبائن النادى الليلى ، واحداً واحداً فى أثناء استعراضها الراقص ، ويتحتم على شقيق صلاح محمد على بعد قيامه بهذه اللقطات أن يسارع إلى غرفته لتحميض وطبع هذه الصور التذكارية وتسليمها إلى أصحابها قبل نهاية السهرة وقبل مغادرتهم النادى الليلى .

كان المكان مناسباً تماماً لمقابلاتى السرية مع صلاح ، حيث قمت بتدريبه على كيفية استخدام آلة التصوير الصغيرة ، ثم تركتها معه يحتفظ بها فى جيبه بصفة مستمرة لإستخدامها عندما تسنح له الفرصة ، لتصوير التقارير السرية التى يكتبها المستر توم ليتيل .

بعد أن تسلم صلاح محمد على آلة التصوير الدقيقة ، وبعد أن تم تدريبه عليها — أتصل بى صلاح بعد أيام قلائل بمنزلى وطلب مقابلتى فى المكان الأمين بفندق هليوبوليس بالاس . وهناك تقابلت معه وكان بشوش الوجه وقرر لى بأنه قد سنحت له الفرصة لتصوير التقرير السرى الأخير الخاص بوكالة الأنباء العربية قبل أن يودعه المستر توم ليتيل بمكتبه وأعطانى الفيلم . سلمت الفيلم إلى الصاغ « الرائد » حسن بلبل بالمخابرات الحربية لتحميضه .

ولكن جاءت النتيجة مخيبة للآمال ، حيث لم يظهر من الفيلم سوى مستند واحد وغير مقروء ، أما باقى الصور ، فكانت سوداء ، ولكن رغم هذه النتيجة غير المشجعة ، فإن ما بعث على التفاؤل هو نجاح صلاح محمد على فى الوصول إلى التقارير السرية ، وتحمسه للعمل السرى لصالح مصر . فلنكرر المحاولة بطريقة أخرى . المهم أن صلاح محمد على قد تم تطعيمه ضد الخوف ، وأصبح مؤهلاً نفسياً للعمل السرى ضد الإنجليز .

الفصل الثالث :

الاخــــــتراق

بحثت مع صلاح عن وسيلة أخرى تمكننا من الحصول على التقارير السرية فى أى وقت دون أنتظار لعامل الصدفة . وقد استقر الرأى على أن أستحضر قطعة من الشمع الأصفر « الشمع الأسكندرانى » (وهو شمع يمتاز باللين والتماسك فى نفس الوقت) وتسليمها لصلاح لكى يحتفظ بها معه بصفة دائمة حتى إذا ما سنحت الفرصة وترك المستر توم يتيل سهواً مفاتيح مكتبه ، يقوم صلاح بالحصول على طبعة مفتاح المكتب البيل على سطح قطعة الشمع حتى ينغمس أحد وجهيه بالكامل داخل الشمع . ويكرر نفس العملية على الجانب الآخر للمفتاح وبذلك يمكن الحصول على وجهى المفتاح البيل الخاص بمكتب المستر توم ليتيل . وبمجرد أن يحصل صلاح محمد على على طبعة المفتاح ، عليه الأتصال بى تليفونيا حتى آخذ الشمعة منه .

وبعد مرور عشرة أيام تقريباً ، أتصل بى صلاح تليفونيا ليبلغنى بأنه أنجز المهمة بنجاح . وهكذا تم الحصول على طبعة مفتاح درج مكتب المستر توم ليتيل .

ونظراً لعدم وجود قسم فنى فى جهاز المباحث العامة فى ذلك الوقت كما سبق أن ذكرت - لذلك لم يكن أمامى خيار سوى الاعتماد على النفس . فلا بد من عمل المستحيل لإعداد مفتاح من الطبعة التى على الشمع .

كان لزاماً على أن أقوم ببعض التحريات والدراسات الخفيفة عن طريق صناع المفاتيح لكشف بعض أسرار مهنتهم - وعندما اكتملت الصورة التى احتاج إليها

قمت بشراء بعض المعدات كالمبارد الصغيرة والمنجلة والمفاتيح الخام ، ثم توجهت إلى منزلى وأغلقت باب غرفتى . وبدأت فى محاولة عمل مفتاح . وقد استغرقت هذه العملية يومين كاملين أستهلكت فيها أكثر من أربع محاولات لمفاتيح فشلت بسبب تجاوزى فى عملية البرادة وجاء المفتاح الخامس مطابقاً تماماً لنسخة الشمع من الجانبين – ثم تقابلت مع صلاح فى المكان المعتاد وسلمته المفتاح ، وطلبت منه أن يحاول تجربته فى اليوم التالى عقب انصراف المستر توم ليتيل وسوف أكون فى انتظار تليفون منه . فإذا نجحت العملية يقول لى (مبروك) وإذا فشلت يقول لى هارد لك Hard Luck وحينئذ علينا إعادة المحاولة من جديد .

وبالفعل بعد مرور يومين أو ثلاثة اتصل بى صلاح تليفونيا وقال لى (مبروك) . وتقابلنا فى المساء وكان سعيداً لنجاح المحاولة ، وكنت بدورى أسعد منه حيث أنها بالنسبة لى محاولة فريدة لعمل مفتاح من طبعة شمع ، كما أننى قد اكتسبت ثقة صلاح محمد على بالأسلوب الذى أعمل به . وبدأت العلاقة بيننا تتخذ شكل الأخوة والصداقة المتينة . فتقارب السن بينى وبينه كان عاملاً مهماً فى بناء الصداقة والثقة بيننا .

وضعنا معا خطة للمستقبل والبدء فى الحصول على التقارير نصف الشهرية السرية من مكتب مدير وكالة الأنباء العربية وتصويرها .. تتلخص الخطة فى الآتى :

نظراً لأن المستر توم ليتيل ينصرف يومياً حوالى الساعة الواحدة والنصف تماما لتناول طعام الغداء فقد اتفقت مع صلاح أن أتصل به الثانية مساء حتى يكون العمل بالوكالة قد هدأ – واتفقت أن يكون إسمى منذ الآن هو (سليمان) وأقول له « أزاى الحال » فيرد على « كل شىء تمام » . وهذا معناه أن أتوجه إلى وكالة الأنباء العربية .

ويترقب قدومى من نافذة غرفته : المطلة على مدخل العمارة ، وعليه أن يأخذ التقرير المطلوب تصويره من درج مكتب المستر توم ليتيل بحرص ، ويضعه فى صدره داخل القميص ويتظاهر بالانصراف ، وينزل السلم وعند منعطف مظلم

يسلمنى التقرير الذى اضعه بدورى داخل صحيفة يومية أحملها معى وأغادر العمارة إلى أسفل مبنى المباحث العامة فى (لاظوغلى) بالقاهرة حيث بها غرفة تصوير بالفوتوستات عتيقة ضخمة من نوع تصوير مستندات الشهر العقارى . ومن جانبى أكون قد رتبت الأمر مع المصورين حتى لا يغلقوا غرفة التصوير ، لينصرفوا كعادتهم الساعة الثانية ظهراً ، لتناول طعام الغداء ولا يعودون إلا فى الخامسة مساء . بل عليهم انتظارى لحين حضورى لتصوير ما أحمله من وثائق وليتناولوا بعض الغداء الخفيف من السندويتشات على حسابى الخاص .

فى اليوم التالى مباشرة تقابلت مع العميد يوسف القفاص مفتش المباحث العامة لفرع القاهرة واخبرته بالتطورات الجديدة . وطلبت منه أن يصدر تعليماته بطريقة سرية إلى المصورين لكى يتعاونوا معى فى أى وقت أطلبه منهم حسبما تقتضيه الظروف ، وشرحت له بالتفصيل ما تم بينى وبين صلاح محمد على وما تم الاتفاق عليه بيننا بشأن الحصول على التقارير السرية من مكتب المستر توم ليتيل .

شجعنى على الاستمرار فى العمل ووعدنى بأنه سيقوم بتغطية تغيبى عن المكتب مع رئيسى المباشر باعتبار أننى مكلف بمهمة سرية لحساب العميد يوسف القفاص مباشرة .

فى الساعة الثانية بعد الظهر اتصلت بصلاح محمد على تليفونيا بالوكالة وأخبرته بأنى سليمان ، وسألته عن الحال ، فقرر لى بأن كل شىء تمام .. توجهت فوراً إلى الوكالة بتاكسى حيث لم يكن بحوزتى أى سيارة خاصة أو حكومية ، بل كنت استخدم حتى هذه اللحظة أما قدمى أو أحدى سيارات الأجرة ، والتى كانت متوافرة وحالة المرور هادئة عكس ما هو الحال عليه الآن . عندما دخلت ممر العمارة وجدت صلاح يقف بالشباك فشاهدنى وتقابلنا على السلم عند المنعطف المظلم . وتسلمت منه أول تقرير سرى من تقارير المستر توم ليتيل . وحملت التقرير وكأنى أحمل كنزاً ثميناً . كان ينتابنى شعور بالخوف وهى أول عملية سرية بل ويجريها جهاز المباحث العامة بأجمعه ضد النشاط السرى البريطانى فى مصر .

توجهت بتاكسى آخر إلى المباحث العامة حيث تم التصوير بماكينة الفوتوستات العتيقة الضخمة ولكن ذات النتائج الأكيدة ، ثم عدت إلى صلاح محمد على ذى الأعصاب الفولاذية والذى كان ينتظرنى بشباك الوكالة حيث قابلنى عند منعطف السلم واعدت له وديعته وأوصيته بوضع التقرير فى مكانه تماما . ثم أتفقنا على اللقاء فى المساء بفندق هليوبوليس بالاس .

لم يستغرق كل هذا منذ تسلمى التقرير السرى من صلاح محمد على لتصويره وإعادته سوى خمس عشرة دقيقة . وكان لسرعة إعادة التقرير السرى إلى صلاح محمد على لإعادته إلى مكانه ، أكبر الأثر فى تزايد ثقته بى وبعمليتنا السرية الوليدة .

عدت إلى غرفة التصوير بإدارة المباحث حيث كان المصورون قد انتهوا من تحميض المستندات وتجفيفها على الفرن الكهربائى ، حيث لم تكن أجهزة التصوير الإلكترونى الحديث قد ظهرت بعد .

بالإطلاع على التقرير السرى وجدته مليئاً بالمعلومات السياسية والاقتصادية وعن أخبار مجلس قيادة الثورة والرئيس محمد نجيب والموقف بالنسبة للسودان لاتحادها أو انفصالها عن مصر ، ومعلومات عن بوادر انشقاق بين جناح خالد محيى الدين اليسارى ، داخل مجلس قيادة الثورة وجناح جمال عبد الناصر إلى آخر ذلك من المعلومات المهمة والدقيقة عن مجريات الأحداث الداخلية فى مصر وكان التقرير يقع فى تسع صفحات من حجم « الفولسكاب » الكبير .

عدت إلى منزلى بمصر الجديدة لتناول طعام الغداء ومعى صيدى الثمين ، وأعدت قراءة التقرير مرتين وثلاثاً حتى استوعبته جيداً . غادرت منزلى إلى المباحث العامة لمقابلة العميد يوسف القفاص الذى كان قلقاً على أخبارى ، فزففت إليه بشرى الحصول على أول لبنة من لبنات النشاط السرى البريطانى كاد يطير من فرط السعادة وأخذنى وصعدنا إلى مكتب اللواء عبد العظيم فهمى مدير المباحث العامة « مباحث أمن الدولة حالياً » وشرح له العميد يوسف القفاص مفتش المباحث العامة

لفرع القاهرة الموضوع من بدايته وتفاصيله وسلمه التقرير السرى لعرضه على السيد جمال عبد الناصر وزير الداخلية فى ذلك الحين .

شكرنى على مجهودى وشجعنى على الاستمرار فى العملية وقد انتهزت الفرصة وطلبت منه سيارة تعاوننى على عملى السرى الذى نحن على عتبته ، أقودها بنفسى . وكانت إدارة المباحث العامة قد اشترت حديثا دفعة من سيارات الـ « فيات » .. فأمر اللواء عبد العظيم فهمى مدير المباحث العامة بتسليمى احداها . ولتغطية نشاطى فقد اشاع اللواء عبد العظيم فهمى بأننى أعمل فى مهمة سرية كلفنى بها هو شخصياً تقتضى وجودى خارج الإدارة وتغيبى عن المكتب لفترات طويلة . كان لهذا أكبر عون لى على استمرارى فى عملى السرى . ومنذ هذا التاريخ بدأت معركتى الطويلة والمضنية مع جهاز المخابرات البريطانية .

.. جمال عبد الناصر والمستر توم ليتيل :

نظراً لخطورة التقارير نصف الشهرية التى يحررها المستر توم ليتيل وما تحويه من معلومات دقيقة وحساسة ، خاصة فيما يتعلق بالأحوال الداخلية فى مصر ، وتفاصيل الأحداث ، فقد كانت موضوع الاهتمام الشديد من السيد جمال عبد الناصر وزير الداخلية . فلقد كانت تعكس انطباع الجانب البريطانى عما يجرى فى مصر ، خاصة من جانب مجلس قيادة الثورة وتحليل سياسته تجاه مصر والسودان . لذلك كان ينتظر وصول التقرير السرى الذى يحرره المستر توم ليتيل كل أسبوعين باهتمام ، وكان يقرأه قبل أن يقرأه السفير البريطانى ورجال المخابرات البريطانية – حيث كنت أقوم بتصويره فور انتهاء طبعه على آلة الرونيو بوكالة الأنباء العربية – بل وحتى قبل توزيعه على الجهات التى تتسلمه كما أسلفنا وهى شركة شل والسفير البريطانى ورجال مخابرات السفارة البريطانية وشركة الكيماويات الامبراطورية .

التركيز على نشاط توم ليتيل :

قمت بمراقبة المستر توم ليتيل ولم تسفر مراقبتى له عن شىء يذكر ، فهو صحفى

واسع الاتصالات بالمسئولين كما أنه يجتمع ببار مطعم الارميتاج الراقى أسفل عمارة الايموبيليا بشارع شريف بالقاهرة بالعديد من الصحفيين مصريين وأجانب من كافة الجنسيات بغرض تبادل المعلومات ونفس الشيء يحدث داخل حفلات الكوكتيل التى يدعى لها ، كما أنه كثيراً ما يطلب مقابلة كبار المسئولين فى الدولة وعلى أعلى المستويات للحصول منهم على أحاديث صحفية ، علاوة على مقابلاته مع كبار رجال السفارة البريطانية بأرض الجولف بنادى الجزيرة لمزاولة رياضة الجولف وتبادل المعلومات .

ونظراً لأهمية المعلومات الواردة فى هذه التقارير فقد طلبت من صلاح محمد على أن يتيح لى فرصة تفتيش مكتب المستر توم ليتيل فوافق . وسنحت فرصة سفر المستر توم ليتيل إلى السودان فى مهمة صحفية وقمت بمساعدة وترتيب من صلاح محمد على بتفتيش مكتب المستر توم ليتيل . ولكن لم يسفر التفتيش عن جديد . وأثناء معاينتى لغرفة المكتب ، لاحظت وجود خزانة بجوار مكتب المستر توم ليتيل ، وأستفسرت من صلاح عنها . فقرر لى أنه لا يعرف عن محتوياتها شيئاً . وربما يكون بها نقود حيث أن المستر توم ليتيل يحتفظ بنسخة من مفتاحها فى حين أن نائبه المستر جيمس سوينبرن يحتفظ بالنسخة الأخرى ، بأعتباره المدير المسئول عن الشئون الإدارية والمالية .

أنصرفت بعد أن تواعدنا على اللقاء مساء بفندق هليوبوليس بالاس .

داخل الغرفة المتواضعة ببدروم فندق هليوبوليس بالاس بدأت أستفسر من صلاح محمد على عن وسيلة للحصول على مفتاح خزينة المستر توم ليتيل – فقرر لى صلاح أن هذا المفتاح بالذات لا يضعه على سلسلة مفاتيحه . سألته عن المستر جيمس سوينبرن نائب المدير العام لوكالة الأنباء العربية ومعلوماته عنه ، فقرر لى أن المستر جميس سوينبرن كان أستاذاً للغة الإنجليزية بكلية الشرطة ثم بكلية التجارة جامعة القاهرة – وعندما قامت حكومة الوفد عام ١٩٥١ بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وأعلنت الكفاح المسلح ضد الاستعمار ، فصل المستر جيمس سوينبرن مع من فصل

من المدرسين الإنجليز الذين كانوا يعملون فى مصر بوزارة المعارف « التربية والتعليم حاليا » ولكن المستر جيمس سوينبرن لم يسافر إلى إنجلترا مع بقية زملائه المفصولين ، بل ظل فى القاهرة ، وتم تعيينه نائباً للمدير العام لوكالة الأنباء العربية والمسئول عن الشئون الإدارية والمالية بها . وقد لفت صلاح محمد على نظرى إلى أنه كثيراً ما لاحظ جيمس سوينبرن يعطى تعليمات إلى رئيسه المستر توم ليتيل ويحدثه بلهجة أمره أحيانا وكأنه هو الرئيس وليس المرءوس ، الأمر الذى جعله يتعجب من أمرهما والغريب أن المستر توم ليتيل كان ينصاع دائماً لأوامره .

من هذه الملاحظة العابرة ، بدأ اهتمامى يتركز على المستر جيمس سوينبرن . ولاترك أمر المستر توم ليتيل مؤقتاً فتقاريره السرية تصلنى بانتظام – كما وضح لى من التحريات والمراقبة الدقيقة التى فرضتها عليه أنه صحفى من أعلى رأسه إلى أسفل قدميه ، كما أنه يحترم الصحافة ، كحرفة ويجيد مهنته تماماً ، أما المستر جيمس سوينبرن فهو شخصية غامضة ويمكن رسم علامة استفهام كبيرة أمامها لضرورة دراستها وكشف الغموض عنها .

كان مدرساً للغة الإنجليزية ثم فصل ولكنه استبقى فى مصر ولم يغادرها مع من غادرها من مواطنيه الإنجليز ، ثم شغل فجأة ، وظيفة مهمة فى أكبر وكالة أنباء فى الشرق الأوسط ، فما هو السر وراء ذلك ؟ لا شك أن هناك قوى خفية تسهر على حمايته . ثم ماذا تعنى ملاحظة صلاح محمد على بشأن اللهجة الآمرة التى يتحدث بها المستر جيمس سوينبرن أحياناً مع المستر توم ليتيل رغم الفارق الكبير بينهما فى المناصب . كل هذا زاد من شعورى بضرورة الاهتمام وتركيز الأضواء على المستر جيمس سوينبرن علنى أنجح فى كشف الغموض الذى يغلف شخصيته .

الفصل الرابع :

نشاط جيمس سوينبرن

وضعت المستر جيمس سوينبرن تحت المراقبة الدقيقة وكان يقيم فى شقة فاخرة بالدور الرابع من العمارة رقم ١٥ شارع الكامل محمد بالزمالك ، وهو متزوج من سيدة إنجليزية تعمل مدرسة بالمدرسة الإنجليزية . وليس لهما أولاد . ويقتنيان كلباً ضخماً من نوع البوكسر . يعمل على خدمتهما طباخ يدعى صالح وهو شخصية فريدة من نوعها يبلغ من العمر حوالى الستين عاما ، أمضى معظمها فى خدمة الجالية الإنجليزية بالقاهرة . وهو من أهل النوبة الذين يشتهرون فى مصر بالأمانة ودماثة الطبع . وكان الطباخ صالح يرتدى بصفة دائمة جلباباً أبيض عليه جاكته ويضع على رأسه طربوشاً ويضع على عينيه نظارة شمس ، ويضع فى فمه بصفة دائمة غليوناً وكأنه فى ذلك يحاكى سيده المستر جيمس سوينبرن الذى لا يفارق « البايب » فمه .

كما كان يقوم على خدمة عائلة سوينبرن سفرجى يدعى محمد حسن وهو من أهل النوبة أيضاً ، ويصغر الطباخ كثيراً حيث كان فى منتصف العشرينات .

والمستر جيمس سوينبرن مثال للمواطن الإنجليزى فى المواظبة على المواعيد فهو يستيقظ من نومه فى السادسة صباحاً ويتناول أفطاره فى السابعة . وينزل بكلبه للنزهة السابعة والنصف ، حيث يتوجه به أحيانا إلى أرض السباق بنادى الجزيرة وأحياناً أخرى يتحول به فى شوارع الزمالك المحيطة بمنزله .. ثم يعود بالكلب إلى المنزل ليرتدى ملابسه كاملة ثم ينزل هو وزوجته ويركبان سيارتهما البيبى فورد

البريطانية الصنع حيث يقوم بتوصيلها إلى مدرستها التى تعمل بها بالزمالك ، ثم يتوجه إلى مكتبه بوكالة الأنباء العربية - ويظل يعمل بها حتى الساعة الواحدة والنصف تماما ثم يغادر مكتبه إلى جراج عمارة الايموبيليا حيث يأخذ سيارته ويستقلها عائداً إلى منزله لتناول طعام الغداء مع زوجته التى تكون قد سبقته إلى المنزل ، ثم يتوجه أحياناً إلى نادى الجزيرة للعب الجولف مع بعض أصدقائه من الإنجليز ويعود إلى منزله لشرب الشاى . ويغادر المنزل فى الخامسة تماماً مستقلاً سيارته عائداً إلى مكتبه بوكالة الأنباء العربية ويظل به حتى السابعة مساء حيث يغادره إلى منزله . وقد يتوجه أحياناً بعد ذلك إلى بعض حفلات الكوكتيل التى يقيمها بعض أعضاء الجالية البريطانية المقيمين فى مصر ، لكن هذا يحدث نادراً ، حيث كان المستر جيمس سوينبرن شديد التحفظ قليل الأصدقاء نادر الاختلاط بالناس على النقيض تماماً مع المستر توم ليتيل ذى الاتصالات الواسعة بقاعدة عريضة من المعارف والأصدقاء .

لم يحدث طول فترة مراقبته والتى امتدت ستة أشهر كاملة أو يزيد ، أن شذ المستر جيمس سوينبرن يوماً واحداً عن هذا الروتين اليومى والنظام الدقيق فى مواعيد حياته اليومية .

لم تسفر مراقبات المستر جيمس سوينبرن ليلاً أو نهاراً عن شىء يثير الشكوك أو الانتباه ، وقد أصبت بخيبة الأمل ، بعد شهرين من فرض المراقبة عليه من جراء هذه النتيجة السلبية . ولكن هاتفاً داخلى كان يدفعنى دائماً لعدم اليأس والأستمرار فى الاهتمام بهذه الشخصية الغامضة . رأيت أن أوقف المراقبات مؤقتاً وأحاول وسيلة أخرى .

قررت ضرورة دخول شقة المستر جيمس سوينبرن لتفتيشها ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك وبها سفرجى يدخن البايب وكلب شرس لا يغادرها .

استبعدت فكرة الاقتراب من صالح الطباخ لتجنيده ، نظراً لكبر سنه ، ولميوله وسلوكه الإنجليزيين ، ولا شك أن كبر سنه سيكون عقبة أمام المخبرين الشباب .

قد يكون لفظ المخبرين هنا يحوى بعض التجنى على المذكورين حيث أن العمل الرائع والجهود المضنية التى قاموا بها فى هذه القضية بكل وطنية واخلاص ، يجعلانى أعطى لنفسى الحق فى أن أطلق عليهم لفظ المساعدين ، أى الذين شاركونى بالمساعدة فى هذه القضية ، حيث كانوا ذراعى الأيمن بلا أدنى منازع ، وبدونهم ما كانت هناك قضية .

فكرت أن أقوم بتجنيد السفرجى محمد حسن الذى يقوم على خدمة المستر سوينبرن . وكلفت المساعدين محمد أنيس النحاس وأحمد أنور حلمى شعبان لمراقبته عقب انتهائه من عمله فى المساء وتبين أنه بعد أن يتناول المستر جيمس سوينبرن وزوجته طعام العشاء ، ينصرف محمد حسن السفرجى متوجهاً إلى مقهى خاص بالنوبيين بعابدين ويظل بها ، يلعب الكوتشينة مع أصدقائه ويشرب الشاى ، ثم ينصرف عائداً إلى سكنه بإمبابه حيث يقيم فى غرفة متواضعة فى أحد المنازل هناك .

طلبت من المساعدين محمد أنيس وأنور شعبان أن يتوجها إلى المقهى الذى يتردد عليه السفرجى محمد حسن قبل موعد وصوله بقليل وان يلعبا « الكوتشينه » ويحاولا التعرف على شلته على أن ينتحل أحدهما – أنور – شخصية معلم عربات كارو والثانى محمد أنيس شخصية – تومرجى – « ممرض » يعمل طرف طبيب متخصص فى الأمراض الباطنية يعمل بالقصر العينى ، وله عيادة .

وبعد أن يتعرفا على الشلة التى يجلس معها محمد حسن ، عليهما كخطوة ثانية التعرف على محمد حسن نفسه بطريقة طبيعية ، وأن يكونا كريمين معه ، وأن يسارعا فى دفع الحساب ويدعواه على طلبات اضافية ، وعلى العشاء أحياناً .

قام المساعدان أنور وأنيس بهذا الدور باتقان تام حتى أنهما أصبحا علمين فى هذه المقهى . توطدت علاقتهما بالجميع خاصة محمد حسن الذين اختصوه بالاهتمام الأكبر . لم يشك أحد فى هذه الصداقة الطارئة ، حيث أنهما لم يطلبا من أحد شيئاً ، كما لم يكن أى أحد من هؤلاء النوبيين مطمعاً لأحد .

بعد أن توطدت الصداقة وانتظمت المقابلات اليومية مع السفرجي محمد حسن ، وبعد أن اعتاد على هذه اللقاءات والسهرات الطبيعية العامرة بالكرم والتي لا تكلفه شيئاً ، طلبت من المساعدين أنور وأنيس أن يكفا عن الذهاب إلى المقهى لبضعة أيام ثم يعودا ليخبرا السفرجي محمد حسن بأن سبب تغيبهما هو أنهما يترددان على مقهى آخر في حي السيدة زينب لقربه من موقف العربات الكارو الخاصة بالمعلم – أنور شعبان – ، وطلبا منه إذا أراد مقابلتهما أن يتوجه بمفرده إليهما هناك حتى تكون سهراتهما هادئة . وكان الهدف من ذلك هو انتزاع محمد حسن السفرجي من شلته وأهل عشيرته ، حتى نسهل عملية السيطرة عليه ، والحصول منه على المعلومات التي نحتاج إليها .

قام المساعدان بالمهمة بنجاح وتم انفصال السفرجي عن شلته ، وانتظم في تردده على المقهى الجديد .

بناء على تخطيط مسبق – تقابلت بطريق المصادفة المفتعلة بأحد شوارع الزمالك أثناء قيادتي للسيارة – مع المساعدين أنور وأنيس وكان برفقتهما محمد حسن السفرجي .

وقام محمد أنيس بعملية التعارف وقدمني إلى محمد حسن باعتبار أنني الدكتور شكري ، وأعطيت محمد أنيس ليلتها أمامه خمسة جنيهات لكي يدعو صديقه محمد حسن على عشاء فاخر وانصرفت .

بعد أيام قليلة اتفقت مع صديق لي على أن يدعونا على العشاء في شقته وطلبت من المساعدين أن يطلبا من محمد حسن الحضور للاشراف على اعداد العشاء ، وقبل محمد حسن العرض بكل سعادة ، وفي هذه الليلة اغدقت له العطاء وأخبرته أنني مقدم على الزواج ولي رغبة في زيارة شقة أحد الإنجليز لمشاهدة ذوقهم في تأثيث منازلهم ، وطلبت منه أن يسهل لي زيارة شقة المستر جيمس سوينبرن لمعرفة ذوق الإنجليز في تأثيث المنازل .

رحب محمد حسن جداً الا أنه تدارك نفسه وأخبرنى بأن الطباخ صالح خبيث وسوف يخبر المستر سوينبرن إذا رآنى داخل الشقة ، لذلك يستحسن ان تكون الزيارة فى غيابه ، وقرر لى أن صالح الطباخ يتوجه الساعة التاسعة والنصف صباح كل يوم إلى السوق لشراء الخضروات ومستلزمات الطعام ثم يعود حوالى الساعة ١١ صباحاً لاعداد الغداء . وان الساعة العاشرة صباحا يكون موعداً مناسباً تماماً لحضورى إلى الشقة ومعاينة الأثاث .

بالفعل توجهت إليه فى الميعاد بعد أن تأكدت من المراقبة التى فرضتها على منزل سوينبرن ، من نزول صالح الطباخ إلى السوق . عاينت شقة المستر سوينبرن ذات الخمس غرف ، ولاحظت أن داخل غرفة المكتب ، مكتب خشبى كبير جميع أدراجه مغلقة بأقفال دقيقة وعدا هذا المكتب الخشبى فكل شىء مفتوح داخل الشقة .

شكرت محمد حسن على حسن استقبالى وانصرفت مسرعاً قبل عودة الطباخ ، بعد أن منحته « بقشيشاً » سخياً .

قررت بعد ذلك أتخاذ خطوة إيجابية أخرى مع محمد حسن فطلبت من المساعدين أنور ومحمد أنيس عند مقابلتهما المقبلة مع محمد حسن أن يشرعا فى سرد قصص عنى – أى الدكتور – باعتبار أننى أتعاون مع المخابرات المصرية وأننى سبق أن قمت بضبط جاسوس إنجليزى كبير بمساعدة سفرجى نوبى وحصل السفرجى من الحكومة على خمسمائة جنيه مكافأة . ثم بدأ المساعدون يستفسرون منه عن المستر سوينبرن وعمن يترددون عليه إذ ربما يكون هو الآخر – أى المستر سوينبرن – جاسوساً ، عندئذ سوف يكون محظوظاً وسوف يحصل على مكافأة سخية من الدولة . قرر لهما أن المستر سوينبرن لا يزوره أحد إلا بعض الإنجليز من وقت لآخر ، ولا يعرف شخصياتهم ، وعندما سالاه عمن يزوره من المصريين ، أجاب أنه لا يزوره أحد من المصريين ثم سكت قليلاً وقال « مفيش الا عم أمين بتاع البيض » . عندما استفسرا منه عن عم أمين هذا ، أجابهم بأنه رجل مصرى يلبس « أفندى » ويحضر من الأرياف كل يوم أثنين . ويحضر معه بيضاً وفراخاً للمستر سوينبرن .

عندما أبلغانى – محمد أنيس وأنور – عن موضوع عم أمين بتاع البيض هذا ، طلبت منهما أن يحضرا إلى محمد حسن لكى أناقشه فى هذا الموضوع . وعندما حضر قرر لى محمد حسن أن هناك شخصاً مصرياً يرتدى بدلة يحضر كل يوم اثنين الساعة الثانية مساء لزيارة المستر سوينبرن ويحضر معه كيساً كبيراً يحوى زوج فراخ وخمسين بيضة ويدعى « عم أمين » . وعندما يحضر عم أمين هذا يتسلم منه محمد حسن الكيس ليضع الدجاج والبيض فى الثلاجة . أما عم أمين فيتوجه مع المستر جيمس سوينبرن إلى غرفة المكتب ويغلق عليهما الباب وبعد قليل ينصرف عم أمين .

سألت محمد حسن عن مفتاح المكتب الخشبى الخاص بمكتب المستر سوينبرن ، فأخبرنى انه بداخل سلسلة مفاتيح المستر سوينبرن والتى أحيانا يتركها بالمكتب عندما يأخذ حمامه فى الصباح .

أعطيت محمد حسن قطعة شمع أسكندرانى وعلمته كيفية الحصول على طبعة المفتاح وشجعته ، كما أخبرته بأننى علمت من المخابرات المصرية أن المستر سوينبرن يعمل ضد مصر والمصريين ، وعليه أن يفتح عينيه وأذنيه جيداً لمعرفة كل اتصالاته .

بعد أيام أحضر لى محمد أنيس قطعة الشمع وعليها طبعة مفتاح المكتب .

قمت فى الحال بتشكيل المفتاح فى منزلى ثم صعدت بنفسى إلى شقة المستر سوينبرن بعد اتخاذ اجراءات الأمن المعتادة ، الا أننى لم أوفق فى فتح درج المكتب والسبب هو أن قطعة الشمع بعد أن طبع المفتاح عليها تعرضت لبعض الضغط وهى داخل جيب صديرى محمد حسن السفرجى مما أثر على طبعة الأسنان الدقيقة للمفتاح .

طلبت من محمد حسن إعادة الكرة وعليه أن يضع الشمع داخل علبة معدنية صغيرة أعطيتها له لحماية طبعة المفتاح من أية ضغوط .

أعاد محمد حسن الكرة وقمت بعمل مفتاح جديد ثم صعدت إلى شقة سوينبرن فى الصباح بعد خروج الطباخ وقمت بتجربة المفتاح الجديد ففتح المكتب على الفور

فقمت بتفتيش أدارج المكتب وعثرت داخل الدرج العلوى الأيمن على أوراق مكتوبة باللغة الإنجليزية بالآلة الكاتبة تحوى تعليمات مختلفة ، لأشخاص مختلفين ، ومكتوب على أعلى كل ورقة اسم الشخص الموجه إليه التعليمات . وكانت تأخذ الصيغة والشكل التالى :

□ فيليب : ... رقم الاحتياج ١٤٣ . لقد أحزننا جداً تركك العمل مع الجنرال . وكنا نود أن تستمر معه . حاول أن تنقل نفسك إلى الاسكندرية ، حيث نقلك إلى بورسعيد سوف لا يكون له أى نفع لنا « التاريخ ١٩٥٤/٢/٦ » .

□ بيل : ... رقم الاحتياج ١٤٥ . معلوماتك عن السودان غير واضحة . من أين استفيت معلوماتك ؟ لقد أخبرتك مراراً ضرورة ذكر المصادر التى تستقى منها المعلومات والتاريخ والساعة والمكان . « التاريخ ١٩٥٤/٢/٦ » .

□ جيمس : ... رقم الاحتياج ١٤٦ . نرجو أن توجه نظر بيل إلى أن نشاطه الشهر الماضى ضئيل للغاية ، وأن تخبره انه إذا استمر على هذا الحال سوف نقوم بخصم جزء من مرتبه نشكرك على التعاون . « التاريخ ١٩٥٤/٢/٦ » .

□ مارك : ... رقم الاحتياج ١٤٧ . نشكرك على الترجمة . ولكن خطك ما زال غير واضح . نرجو ان تشترى آلة كاتبة لتكتب عليها تقاريرك بدلاً من خط اليد ، وسوف نقوم بتسديد ثمنها لك . « التاريخ ١٩٥٤/٢/٦ » .

□ بادى : ... رقم الاحتياج ١٤٤ . نشكرك على المعلومات العسكرية التى حصلت عليها عن الهاكستب . سوف نطلب لك مكافأة أضافية عن عملك هذا الشهر . نريد أى معلومات عن تحركات أى قوات إلى سيناء أو العريش « التاريخ ١٩٥٤/٢/٦ » .

عندما قرأت هذه الأوراق ، وضح لى على الفور أن المستر جيمس سوينبرن جاسوس خطير وأنه يدير شبكة للتجسس ، وهؤلاء أفراد منها ، وهذه الأسماء التى على كل تقرير ، هى أسماء حركية لأعضائها الذين غالبا ما يكونون من المصريين

حيث أن هناك مترجماً – كذلك أحد أفرادها فى القوات المسلحة – ويطلبون منه معلومات عن تحركات القوات المسلحة إلى سيناء .

شكرت محمد حسن ومنحته مكافأة سخية ، وأخبرته أننى سأقوم بتصوير هذه الأوراق واعادتها فوراً . وتركت محمد أنيس ليراقب منزل سوينبرن تحسباً لعودة الطباخ إلى الشقة ، وتوجهت بالسيارة بسرعة الريح إلى مبنى المباحث العامة واتجهت عدواً إلى غرفة التصوير ذات آلة تصوير المستندات الضخمة العتيقة وقمت بتصوير هذه المستندات وتركت مع المصور المساعد أنور شعبان ليقوم على حراسة صور المستندات لحين تجفيفها ، مع عدم السماح لأحد بالدخول إلى غرفة التصوير حتى أعود إليه .

عدت بنفس السرعة الجنونية حتى وصلت منزل سوينبرن فوجدت كل شيء هادئاً ، وكنت قد طلبت من محمد حسن السفرجى أن يغلق النافذة الزجاجية لغرفة مكتب سوينبرن المطلة على الشارع إذا كان كل شيء هادئاً . ووجدت النافذة الزجاجية مغلقة كالاتفاق ، فصعدت بالمصعد إلى شقة سوينبرن واعدت الأوراق كما كانت بدرج المكتب بنفس نظامها وترتيبها ثم نزلت السلم مترجلاً . وعندما وصلت الدور الأرضى شاهدت صالح الطباخ يدخن غليونه ويدخل من باب العمارة فى طريقه إلى شقة سوينبرن لإعداد طعام الغداء . عندئذ تنفست الصعداء ، وتوجهت مسرعاً إلى مبنى المباحث العامة حيث غرفة تصوير المستندات وفتح لى المساعد أنور شعبان ، وأخذت صور المستندات التى تم تصويرها وتوجهنا معاً إلى مكان هادىء على النيل لكى اتصفحها بهدوء وأعيد قراءتها .

وتأكدت بعد إعادة قراءتها أننى بصدد شبكة تجسس يديرها المستر جيمس سوينبرن نائب مدير عام وكالة الأنباء العربية بالقاهرة .

الفصل الخامس

مواجهة شبكة التجسس

فكرت بهدوء فى أحسن السبل لمواجهة شبكة التجسس التى يديرها المستر جيمس سوينبرن لحساب المخابرات البريطانية – تلك الشبكة التى لا نعلم عن أفرادها شيئاً سوى أسماء حركية وتعليمات صادرة لهم . ولكن نعلم على وجه اليقين رئيس شبكة التجسس وهو المستر جيمس سوينبرن . هدانى تفكيرى إلى أن تأمين هذه العملية السرية يجب أن تكون الأسبقية رقم واحد فيما نحن قادمون عليه من مواجهة ساخنة مع إدارة المخابرات البريطانية . شعرت عندئذ بالأهمية القصوى للأمن بالنسبة لخطواتنا المستقبلية . وضرورة اتخاذ اجراءات دقيقة وحازمة لتأمين هذه العملية . وجدت أن هناك عدة حلقات يجب أحكام تأمينها وهى :

☐ « أولاً » : محمد حسن السفرجى :

قد ينقلب محمد حسن إلى عنصر خطر على العملية السرية إذا ما تلفظ ولو من قبيل التفاخر أثناء وجوده فى المقهى ليلاً وسط أهل بلدته من النوبيين بشأن الأوراق المهمة التى عثرت عليها فى درج مكتب سيده والتى أقوم بتصويرها من منزل المستر جيمس سوينبرن ، لهذا يجب أن أحكم عليه الحصار بحيث لا يفلت أطلاقاً من تحت أنظارنا . وكخطوة مبدئية ، طلبت من مساعدى محمد أنيس النحاس أن يحضر لى محمد حسن السفرجى فى المساء عقب انتهاء عمله ، وقمت بتلقينه بعض قواعد الأمن وطلبت منه ألا يخبر أحد أطلاقاً حتى أقرب الأقربين إليه بشأن ترددى على

شقة المستر سوينبرن ، وإلا سيتسبب فى إلحاق ضرر بليغ بنفسه ، كما أنه سيفقد مكافأته من الحكومة ، كما أبلغته أن الأمر أصبح الآن فى يد المخابرات المصرية ويجب أن يكون حذراً وحريصاً حتى لا يصاب بأذى . وطلبت منه أن يكون أكثر طاعة وأكثر تواضعا مع المستر جيمس سوينبرن ، ولا ينظر فى عينيه أى نظرة تحد ، بل ينظر إلى الأرض دائماً .

شكى لى محمد حسن من قسوة وبذاءة لسان زوجة المستر جيمس سوينبرن وسوء معاملتها للسفرجية ، الأمر الذى حدى بالكثير من السفرجية إلى عدم الاستمرار فى العمل فى خدمتها . ولكن طلبت منه أن يتحمل منها أى سوء معاملة ، وأنه بهذا يؤدى خدمة إلى بلده ، ويهون كل شىء فى سبيل مصر . وأننا جميعاً نقف بجانبه ونشد من أزره ، وعليه أن يتحلى بالصبر حتى ولو وصلت اهانتها إلى حد الضرب ، وعليه أن يطيعها ، وينفذ طلباتها بكل أهتمام وأدب .

أخلص محمد حسن وعمل بالنصيحة ، وسارت الأمور معه ومعنا على ما يرام ، حيث أن طرد محمد حسن من عمله من داخل منزل المستر جيمس سوينبرن معناه إيقاف العمل فى القضية وتعرضها لخطر جسيم .

☑ ثانياً : كانت الحلقة الثانية من حلقات الأمن التى يجب أحكام حصارها هى جهاز المباحث العامة ، حيث كانت شكوكى تحوم حول بعض موظفيه القدامى داخل الأرشيف . والذين كانوا يعملون فى القلم السياسى القديم ولم تشملهم يد التطهير - كذلك بعض قدامى ضباط القلم السياسى الذين ما زالوا يعملون بقسم النشاط الأجنبى برئاسة المباحث العامة « مباحث أمن الدولة حالياً » مع احتمال أن يكون البعض منهم على أتصال بالمخابرات البريطانية لذلك عزمت على مقابلة العميد يوسف القفاص وعرضت عليه تفصيلات العملية الجديدة الخاصة بشبكة التجسس ، واقترحت عليه أن نعرض المستندات التى أحصل عليها باليد دون أرفاقها بأى خطابات عكس الأمر الجارى عليه العمل بالنسبة للتقارير السرية نصف الشهرية التى يحررها المستر جيمس سوينبرن ، حيث أن العملية الجديدة تخص شبكة تجسس

غير معلوم أفرادها . ويجب بعد عرض الوثائق باليد وبدون خطابات أن اتسلمها فى النهاية وأقوم بحفظها فى غرفتى الخاصة بمنزلى وسوف أبدأ فى تكوين أرشيف خاص لهذه القضية .

وجدت تفهما كبيراً من جانبه كذلك عرضنا معاً الأمر على اللواء عبد العظيم فهمى مدير الإدارة العامة للمباحث العامة « مباحث أمن الدولة حالياً » واقتنع بوجهة نظرنا . وبهذا أصبح لا يوجد أى أثر أو مستند عن هذه القضية بأرشيف إدارة المباحث العامة ، سواء كان بفرع القاهرة ، أو بأرشيف رئاسة الجهاز .

ثالثاً : أما الحلقة الأخيرة ، فكانت موظفى غرفة التصوير - « المصورين » - وكانوا ثلاثة - كنت دائماً سخياً معهم - نظراً لكونهم يضطرون للعمل معى وقتاً إضافياً علاوة على مواعيد العمل الرسمية .

كنت مطمئناً من جانبهم نظراً لعدم إلمامهم باللغة الإنجليزية وجهلهم بطبيعة المستندات التى أحضرها لهم لتصويرها أو الجهة التى أتحصل عليها منها . كما كنت زيادة فى الاحتياط استبقى معهم وبصفة دائمة أحد المساعدين لحراسة صور المستندات ، لحين طبعها وتجفيفها ثم إيداعها فى مظروف مغلق لحين عودتى . كما كان يقوم بجمع الصور السلبية أو أى نسخ مهزوزة أو غير واضحة وذلك لأقوم باعدامها بمعرفتى شخصياً . كان المصورون الثلاثة مثالاً للطاعة والتعاون .

نظراً لعثورى المتوقع على مستندات شبكة التجسس فى درج مكتب المستر جيمس سوينبرن داخل منزله دون أن يمهلنى الوقت والمفاجأة تفتيش باقى أدراج المكتب - لذلك قررت إعادة الكرة لتفتيش المكتب بدقة .

وبعد قيام بإعداد الاجراءات لتأمين عملية التفتيش ، صعدت إلى شقة المستر جيمس سوينبرن وقمت بتفتيش باقى أدراج المكتب . وعثرت بالدرج السفلى الأيمن على صندوق حديد أسود اللون تعلوه طبقة من الأتربة مما يدل على عدم فتحه منذ فترة طويلة . فتحته بحرص شديد فوجدت بداخله عملات أجنبية ومظروفاً مختوماً بالشمع الأحمر أبيض اللون ومكتوباً عليه من الخارج « مفتاح خزنة وكالة الأنباء العربية » .

تمكنت من فتح المظروف بطريقة فنية ، وحصلت على مفتاح الخزنة وتوجهت فوراً إلى صانع مفاتيح وقام بعمل نسخة طبق الأصل من المفتاح الأصلى ، ثم أعدت المفتاح إلى المظروف وأغلقته كما كان بالشمع الأسود الذى كان عليه مستخدما سكيناً ساخناً ثم عدت إلى شقة المستر جيمس سوينبرن وأودعت المظروف داخل الصندوق الحديدى كما كان بما عليه من أتربة .

اتصلت بصلاح محمد على سكرتير المستر(توم ليتيل)وطلبت منه مقابلتى بفندق هليوبوليس بالاس بمصر الجديدة ، وأخبرته بحصولى على مفتاح خزينته داخل شقة المستر توم ليتيل بالزمالك وأشك أن يكون هذا المفتاح هو مفتاح خزنته التى داخل مكتبه بوكالة الأنباء العربية . وطلبت من صلاح أن يحاول تجربة المفتاح عله يكون هو المفتح المنشود . فوافق صلاح دون أن يجادلنى أو يناقشنى فى كيفية دخولى شقة توم ليتيل .

وقد يلاحظ أننى لم أخبر صلاح محمد على بدخولى شقة المستر سوينبرن بل كذبت عليه وأخبرته أن الشقة التى عثرت فيها على المفتاح هى شقة المستر توم ليتيل المدير العام لوكالة الأنباء العربية وذلك لحرصى الشديد على سرية عملية المستر جيمس سوينبرن ، ورغبتى وأصرارى على توفير الأمن لها ، وجعل أمر العلم بها محصوراً فى أضيق نطاق ممكن .

ولم يعرف صلاح محمد على السكرتير الخاص للمستر توم ليتيل شيئاً عن أمر قضية التجسس البريطانية وتورط المستر جيمس سوينبرن فيها إلا من الصحف يوم ضبط القضية بعد هذا التاريخ بما يزيد على السنتين والنصف . وكانت مفاجأة كبيرة له .

الخـزينـة :

فى اليوم التالى من استلام صلاح محمد على لمفتاح الخزينة الخاصة بالمستر توم ليتيل التى داخل مكتبه بوكالة الأنباء العربية وذلك لتجربته بعد خروج المستر توم

ليتل لتناول طعام الغداء ، اتصل بى صلاح محمد على تليفونيا بمنزلى بمصر الجديدة أثناء تناولى طعام الغداء حوالى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر وطلب منى الحضور فوراً . نزلت مسرعاً وقدت سيارتى الفيات بسرعة ووصلت مبنى عمارة الايموبيليا بشارع شريف حيث وكالة الأنباء العربية فى عشر دقائق ووجدت صلاح ينتظرنى بشباك مكتبه . أسرعت لمقابلته على السلم عند المنحنى المظلم وأخبرنى بأنه فتح خزينة المستر توم ليتيل بالمفتاح الذى أعطيته له وهو مفتاح الخزينة فعلاً ووجد بها تقريراً خطيراً ، ولذلك أتصل بى لأقوم بتصويره فوراً لإعادته إلى الخزينة قبل عودة المستر ليتيل حيث أنه يلعب الجولف وسوف يعود مبكراً إلى مكتبه .. وأعطانى صلاح التقرير الذى كان يخبئه داخل قميصه .

أخذته منه وأنطلقت أبحث عن مصور لتصوير التقرير حيث أن المصورين بإدارة المباحث العامة لا يتواجدون فى هذا الميعاد حيث الجميع فى منازلهم لتناول طعام الغداء – ولا يوجد أحد منهم فى مثل هذه الأوقات عادة إلا بناء على انذار مبكر منى لكى ينتظرنى . ولكن هذا التقرير حصلنا عليه فجأة دون معرفة مسبقة – لذلك يجب أن أجد مصوراً لتصويره .

تذكرت وجود محل تصوير مستندات فتح حديثاً أسفل عمارة اللواء أمام جريدة الأهرام القديمة بشارع شريف على بعد مائتى متر أو تزيد قليلاً من مقر وكالة الأنباء العربية . وكان يستخدم ماكينة فوتوستات حديثة . توجهت إليه فوراً ودخلت المحل فوجدت آنسة هى التى تقوم بعملية التصوير . وكان التصوير يتم داخل قطاع معزول من المحل وممنوع دخول أحد من الزبائن داخل هذا المكان الذى بداخله ماكينة التصوير . نزعت بهدوء بأظافرى الدبوس الضاغط على أوراق التقرير وأعطيت الآنسة التقرير لتصويره ورقة ورقة . وكان أسلوب التصوير بماكينة الفوتوستات الحديثة فى ذلك الوقت يتم على مرحلتين : المرحلة الأولى لاستخراج الصورة السلبية « النيجاتيف » . ثم يعاد تصوير النيجاتيف بعد تحميضه وتجفيفه للحصول على الصورة الأصلية ، عملية طويلة تحتاج إلى بعض الوقت .

لم أظهر أى قلق للآنسة أو حماس وطلبت منها أن التقرير مطلوب إعادته لرئيس الشركة فوراً حيث أنه سوف يسافر بالطائرة إلى الخارج ومعه هذا التقرير . ولذا عليها تصوير التقرير وإعادته لى بعد التصوير مباشرة لكى أعيده إلى شريكى فى المكتب رئيس الشركة لكى يلحق ميعاد الطائرة لأنه سيسافر بها إلى الخارج . ولها أن تأخذ وقتها فى عملية التحميض والتجفيف وإعادة طبع النيجاتيف لحين أن أعود لها مرة ثانية . كانت رقيقة دمثة الخلق استجابت لطلبى وقامت بتصوير التقرير ثم خرجت وسلمته لى فاعدت إليه الدبوس الضاغط كما كان وتوجهت عدواً إلى صلاح تاركاً سيارتى أمام محل التصوير توفيراً للوقت نظراً لأن المرور فى الشوارع وسط المدينة كان ذا اتجاه واحد .

وجدت صلاح يقف بالنافذة على أحر من الجمر وأعدت له التقرير ، ثم عدت فوراً إلى محل التصوير . أما المستر توم ليتيل فقد عاد لمكتبه فى الوكالة بعد ربع ساعة من تسليمى التقرير لصلاح محمد على الذى كان قد أودع التقرير مكانه فى الخزينة وانصرف للغداء .

لم أجد أحداً بمحل تصوير المستندات حيث كانت الآنسة داخل غرفة التصوير الداخلية . دخلت إليها معتذراً ووقفت معها حتى أنتهت من إعادة طبع النيجاتيف وتجفيف الصور ثم أخذت منها النيجاتيف وصورة التقرير المطبوع وانصرفت .

تمت العملية بهدوء شديد حيث وصلت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر تقريباً حيث شوارع القاهرة هادئة تماماً فى مثل هذا الوقت من النهار عام ١٩٥٤ .

تقرير سرى للغاية ! :

كان تقريراً خطيراً يتكون من أثنتى عشرة صفحة من حجم الفولسكاب ودرجة سريته « سرى للغاية » .

والتقرير عن اجتماع عاجل لهيئة القيادة البريطانية فى منطقة القنال ، حضره قادة القوات برئاسة القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط الجنرال السير

بريان روبرتسون ثابت فى صدر التقرير اسماء كبار الضباط الذين حضروا هذا الاجتماع وكانوا جميعا يحملون رتبة الجنرال وعلى رأسهم الجنرال فستنتج القائد العام لقاعدة القنال .

كان التقرير يناقش حالة القوات البريطانية بمنطقة القناة ، وأنها غير مستقرة ويسودها الاضطرابات وحالة القوات البريطانية المعنوية منهارة نظراً لنشاط الفدائيين المصريين ضد المعسكرات البريطانية الذى تزايد بشكل مزعج .

ويضيف التقرير أن القوات لم تستوف حظها من التدريب على الأسلحة المختلفة ، بل أن المجندين الجدد يحضرون من إنجلترا إلى قاعدة القنال لكى يقوموا بأعمال الحراسة ، فنصف القوات البريطانية فى منطقة القنال تحرس النصف الآخر بصفة تكاد تكون دائمة . ونتيجة لانشغال القوات بأعمال الحراسة ، فإن المجندين لا يعرفون شيئاً عن استخدامات أسلحتهم ، وقد تنقضى فترة تجنيدهم دون أن يتعلموا شيئاً .

يقرر القواد البريطانيون أن بامكانهم احتلال الدلتا ولكنهم يتساءلون . هل هذا سيكون الحل لإيقاف أعمال الفدائيين المصريين ؟

وكان القواد يشكون بمرارة من تضارب القرارات الصادرة من لندن ، علاوة على غموضها وعدم صراحتها . كما أن وزارة الحرب البريطانية تتركهم دون خطة واضحة تنير السبيل أمامهم .

كان بالتقرير الكثير عن الحالة المتردية للقوات البريطانية بقاعدة القنال – وعن حالة الاحباط التى تجتاح جميع قادة القوات والروح المعنوية المنهارة بين القوات . كان هذا تقريباً هو ملخص التقرير الذى قرأته المرة تلو الأخرى .

وترجع خطورة التقرير إلى المعلومات الواردة فيه وتوقيت الحصول عليها ، حيث كانت المباحثات بين مجلس قيادة الثورة والمفاوضين الإنجليز بشأن جلاء القوات

البريطانية عن مصر على أشدها ، إلا أن الجانب البريطانى كان يتخذ موقفاً متشدداً مع المفاوضين المصريين .

جاء هذا التقرير فكان بمثابة الضوء الذى يوضح الرؤية وينير الطريق أمام المفاوضين المصريين من أعضاء مجلس قيادة الثورة عن الحالة التى يرثى لها للقوات البريطانية فى منطقة القنال .

توجهت بالتقرير إلى المباحث العامة وانتظرت العميد يوسف القفاص مفتش المباحث العامة عن فرع القاهرة حتى حضر لمكتبه فى المساء فأخذ التقرير واصطحبنى معه لمقابلة اللواء عبد العظيم فهمى المدير العام للمباحث العامة « مباحث أمين الدولة حالياً » الذى توجه به فوراً لمقابلة السيد جمال عبد الناصر وزير الداخلية فى ذلك الوقت .

أمر جمال عبد الناصر بنشر التقرير فى جريدة الأهرام ولكن اللواء عبد العظيم فهمى قد أخبره بخطورة ذلك على المصدر الذى حصل على التقرير ، وأن النشر سوف يؤدى إلى ضرر بليغ للعملية السرية التى تقوم بها . فأمر باجراء بعض التعديلات فى صيغته التى تكفى لتغطية المصدر وتسليمه بعد ذلك للأستاذ محمد حسنين هيكل لكى ينشره فى جريدة الأهرام – وتم هذا فعلاً .

كان جمال عبد الناصر يهدف من نشر التقرير فى جريدة الأهرام إلى كسر صلابة المفاوضين الإنجليز والتأثير على معنوياتهم وإعلامهم بأننا على بينة وعلم بحالة القوات البريطانية بقاعدة القنال ، وهذا سوف يؤدى بالتالى إلى اختصار مدة المفاوضات بين الجانبين المصرى والجانب البريطانى . وهذا ما تم بالفعل فى نهاية المفاوضات والتى انتهت بتوقيع اتفاقية الجلاء عن مصر .

عودة إلى جيمس سوينبرن :

نظراً لعدم جدوى مراقبة المستر جيمس سوينبرن والتى لم تسفر عن شيء ، قررت التركيز على مراقبة المترددين عليه بمنزله ، ولهذا وضعت مراقبة ثابتة على

شقته ، تبدأ عقب عودته من عمله بالوكالة ظهراً وتستمر حتى يأوى إلى فراشه ليلاً . وقد أجريت بعض عمليات المكياج والتخفى فى ملامح وملابس المساعد محمد أنيس النحاس لكى يبدو كالشحاذين ، وقمت بزرعه أمام بوابة عمارة المستر جيمس سوينبرن على الرصيف المقابل للمدخل ، وذلك بهدف رصد تحركات جميع الداخلين والخارجين . وفى نفس الوقت . أمرت المساعدين أنور شعبان وعبد الغنى وشقيقه أحمد بالتواجد داخل مقهى صغير خلف محطة بنزيل شل بشارع فؤاد بالزمالك بجوار منزل المستر جيمس سوينبرن . حتى إذا ما حضر شخص لزيارة سوينبرن ، ينزل محمد السفرجى تحت أى ادعاء ويتوجه إلى البوفيه ويخبر المساعد أنور بأوصاف الزائر والملابس التى يرتديها ، حتى يتم التعرف عليه أثناء خروجه من منزل سوينبرن بعد انتهاء الزيارة ، لوضعه تحت المراقبة والكشف عن شخصيته ، يقف أنور بعيداً عن منزل سوينبرن ويقوم محمد أنيس الذى يجلس أمام مدخل المنزل مباشرة باعطاء اشارة لأنور بمجرد خروج الزائر حتى يبدأ طاقم المراقبة فى التقاطه ومتابعته ويستمر محمد أنيس جالساً كما هو ترقباً لزائر جديد .

عـــم أمـــين :

جاء يوم الاثنين الحاسم – بعد ثلاثة أيام من فرض نظام المراقبة الجديد ، حوالى الساعة الرابعة والنصف تقريباً ، دخل رجل يبلغ من العمر خمسين عاماً ، طويل القامة نسبياً ، ذو شعر رمادى ، يرتدى بدلة كحلى ، إلا أنه لم يكن يحمل شيئاً معه . دخل العمارة واستقل المصعد إلى الأدوار العليا ، بعد ربع ساعة نزل محمد حسن السفرجى ومعه كلب المستر جيمس سوينبرن وسار أمام البوفيه الذى يوجد فيه المساعدون ثم اتجه إلى محل سجاير بجواره متظاهراً بشراء علبة سجاير ، لمحه المساعد أنور شعبان فخرج وسلم عليه ، فأخبره محمد حسن بسرعة أن عم أمين « بتاع » البيض وصل منذ ربع ساعة ومجتمع مع المستر سوينبرن داخل غرفة المكتب ، ولم يحضر معه بيضاً أو فراخاً فى هذه الزيارة . وأعطى لأنور أوصافه ثم عاد بالكلب إلى المنزل . خرج المساعدون الثلاثة من البوفيه ، وقام أنور بإعطاء

أشارة إلى محمد أنيس لمقابلته فى شارع جانبى وأخبره أن الشخص الذى دخل منذ ربع ساعة هو عم أمين بتاع البيض وعليه أن يلاحظ خروجه ويعطيهم أشارة بمجرد مغادرة المنزل .

خرج الرجل المذكور من العمارة بعد حوالى ساعة قضاها مع المستر سوينبرن وتبعه طاقم المخبرين ، وظل الرجل ينتقل فى أماكن عديدة حتى دخل أخيراً المنزل رقم ٩٥ بشارع الخليج بالسيدة زينب حوالى منتصف الليل ولم يغادره .

انصرف المساعدون وعادوا فى الساعة السادسة صباحاً لترقب خروجه فى الصباح . نزل الرجل المذكور ، فى الساعة السابعة والنصف واتجه إلى مدرسة النقراشى الاعدادية بشارع نوبار بجوار وزارة الداخلية . ومكث بها حتى الساعة الثانية بعد الظهر حيث انصرف عائداً إلى منزله ، وهو نفس العنوان السابق بشارع الخليج المصرى بالسيدة زينب ، ولم يغادره حتى انتصف الليل . وانصرف المساعدان إلى منزلهما وأعادا الكرة مرة أخرى وثبت بشكل قاطع أن العنوان السابق هو منزله والمدرسة هى محل عمله .

فى اليوم الرابع ارتدى المساعد أنور شعبان ملابس أهل الريف وانتظر أمام باب المدرسة ، وبعد دخول الرجل الذى نراقبه ، اقترب أنور من بواب المدرسة وسأله عما إذا كان يوجد مدرس اسمه أمين أفندى ، حيث أنه يرغب فى التقديم لابنه فى المدرسة ووعده عم أمين بمساعدته فى ذلك . أجاب البواب بأنه لا يوجد مدرس بهذا الاسم ، وربما يكون يقصد حضرة الناظر الأستاذ السيد أمين محمود وأشار البواب له عليه ، حيث كان قد عبر فناء المدرسة ويقف على السلم يراقب الطلبة أثناء وقوفهم الطابور المدرسى الصباحى ، فقرر له أنور أنه يقصد مدرس لغة عربية وليس ناظر مدرسة ثم أنصرف .

أصبح واضحاً أن عم أمين ليس بتاع بيض أو فراخ كما أنه ليس من الريف ولكنه هو الأستاذ السيد أمين محمود ناظر مدرسة النقراشى الاعدادية . وموضوع

البيض والفراخ والأرياف ما هى إلا قصة هدفها تغطية اتصالات ناظر المدرسة بالمستر جيمس سوينبرن نائب مدير وكالة الأنباء العربية .

تساءلت .. ماذا يكون دور ناظر المدرسة بشبكة التجسس التى يديرها المستر سوينبرن ، وما هو أسمه الحركى فيها من بين تلك الأسماء التى حصلت عليها من واقع المستندات التى تم تصويرها ؟ أسئلة كثيرة راودتنى ، والأيام القادمة كفيلة بالاجابة عن هذا السؤال .

نظراً لتطور الأمور بالنسبة لنشاط المستر جيمس سوينبرن لذلك أصبح لزاما ضرورة استمرار دخولى إلى شقته للحصول على كل ما يستجد من مستندات عن نشاط الشبكة والتعليمات الصادرة لها من إدارة المخابرات البريطانية ، وعلى هذا قررت ضرورة إعادة تفتيش مكتب المستر سوينبرن الذى بمنزله لمعرفة دلائل أو معلومات تكشف الضوء عن سبب زيارة ناظر المدرسة السيد أمين محمود للمستر جيمس سوينبرن .

وهل هو ضمن شبكة التجسس أم أنه صديق يقوم بزيارة برئية . ونظراً لكثرة الزيارات التى قررت القيام بها لشقة المستر سوينبرن لمتابعة نشاطه ونشاط شبكته أولاً بأول ، لذلك وضعت ترتيبات أمنية بينى وبين محمد حسن السفرجى ، وهى أنى أتصل به تليفونيا قبل صعودى مباشرة تحت أسم « محمدين » وذلك للتأكد منه بأن الأمور هادئة وكل شىء على ما يرام ولا توجد أى عقبات وعقب المحادثة يقوم محمد بفتح الشراعة الزجاجية لباب شقة المستر سوينبرن الأيمن ، وذلك لكى يسهل لى فتح باب الشقة عن طريق الشراعة المفتوحة وذلك تفاديا لضرب الجرس والذى سوف يعقبه حتماً نباح الكلب - كذلك لكى اتفادى الانتظار أمام باب الشقة ، إذ قد يلحظ انتظارى أحد سكان الشقق الثلاثة المجاورة لشقة المستر سوينبرن والتى تقع فى نفس الدور الرابع حيث تقع شقته .

كنت استخدم فى أغلب الأحيان المصعد للصعود إلى الدور الرابع ، ثم أغلقه وأتوجه إلى شقة المستر سوينبرن التى تقع أمام باب المصعد مباشرة وأدخل يدى

الشراعة وافتح الباب من الداخل حيث يكون محمد حسن فى انتظارى ممسكاً الكلب الذى أصبح صديقاً لى ، وكان يعتبرنى واحداً من أصدقاء المنزل ، حيث دائماً الاطفه وأربت على رأسه . ثم يقوم محمد بغلق الشراعة وباب المطبخ حتى إذا حضر صالح الطباخ فجأة لا يشعر بوجودى .

مستندات جديدة :

ظللت أدخل شقة المستر جيمس سوينبرن لمدة عامين كاملين أو يزيد . ومرة كل أسبوع على الأقل وقد تكون أكثر من مرة حسبما تقتضيه الظروف . ورغم طول هذه المدة ، وكثرة مرات الدخول ، فإننى فى كل مرة كنت أقوم بهذه المهمة ، كان ينتابنى شعور دائم بالقلق والخوف من المجهول . وكنت الليلة السابقة لدخولى لاجراء عملية التفتيش ، لا أستطيع النوم نوما هادئاً ، ولا أشعر بالارتياح إلا بعد أتمام عملية التصوير بالمباحث العامة ، وإعادة المستندات إلى مكانها داخل درج مكتب المستر سوينبرن كما كانت . وكنت حينئذ أشعر باحتياجى إلى تدخين سيجارة ، فأدخنها بلذة شديدة ، رغم أننى لا أدخن أصلاً ، وكأننى كنت أخرج مع دخانها ما كان يحتوينى من تأثر شديد فى أعصابى ، فلم تكن المهمة هينة — ولا محدودة الزمن ، بل كانت مستمرة ، ولا أحد يدرى على وجه التحديد أبعادها أو نهايتها .

كانت هناك أكثر من مشكلة أخرى تواجهنى عند دخولى عمارة المستر سوينبرن لتفتيش مكتبه :

- □ أولاً : بواب العمارة الذى كان دائم التواجد أمام باب العمارة فى الصباح .
- □ ثانياً : كان هناك كشك حراسة تابع لقوة حرس السفارات يقف أمامه عسكرى بوليس يقوم بحراسة قنصلية هولندا التى كانت تشغل شقتين بالدور الأرضى من نفس العمارة ..

□ ثالثاً : كان يقيم فى شقة ثالثة بالدور الأرضى فى مواجهة قنصلية هولندا آنستان إنجليزيتان تعملان سكرتيرتين فى مكتب المستر « أوليفر سانت جون » مدير المخابرات بالسفارة البريطانية .

□ رابعاً : كان يقيم بالدور الثالث من نفس العمارة المستر تشارلز بيتاك ، وهو بريطانى الجنسية ويعمل مدير شركة ماركونى بالقاهرة . والذى سوف يكون له شأن بعد ذلك فى هذه القضية !

أيضاً كانت العمارة رقم ١٣ بشارع الكامل محمد المجاوره مباشرة لعمارة المستر سوينبرن رقم ١٥ تعج بدبلوماسيى السفارة البريطانية ، حيث كان يقطن بالدور الأرضى فى هذه العمارة المستر فيث فول السكرتير الأول للشئون الإدارية بالسفارة البريطانية بالقاهرة ، ويقيم فى الشقة المقابلة له ثلاث سكرتيرات كلهن يعملن بمكتب المستر دونالد كوكس ضابط المخابرات الثانى بالسفارة البريطانية . حيث كان يوصلهن بنفسه يومياً إلى منازلهن .

لك هذه الأسباب : وجدت أن أصوب وسيلة أقوم بها عند دخولى عمارة جيمس سوينبرن هو أن أرتدى ملابس كاملة « بدلة وقميصاً وربطة عنق » وبأناقة ظاهرة وأقف بالسيارة أمام العمارة مباشرة وأنزل منها ممسكاً مجلة أجنبية « وهى التى أخفى بداخلها المستندات الخاصة بشبكة المستر سوينبرن لتصويرها » ثم أدخل العمارة بهدوء شديد مرتديا نظارة شمس كبيرة . فإذا رأيت أن البواب يتابعنى ببصره أصعد السلم متظاهراً أننى فى طريقى إلى القنصلية الهولندية ، وإلا فأتخذ المصعد مباشرة حيث إنه أكثر أمنا وكسباً للوقت الثمين .

نظراً لتكرار ترددى على العمارة ، أصبح شكل مألوفاً للجميع ، حتى أصبحت بالنسبة للبواب وجنود الحراسة والخدم وبعض سكان العمارة شيئاً مألوفاً ، ولازمة من لازمات العمارة ، الكل اعتاد على شكلى ولكن لا أحد يعرف على وجه التحديد أين أذهب ، وليخمن كل منهم ما يشاء .

زيادة فى الأمن .. سألت محمد حسن السفرجى عما إذا كان بواب العمارة قد لاحظ شيئاً فأجاب بالنفى القاطع . إذ قد أكون بالنسبة له موظفاً بالقنصلية الهولندية مثلاً . وزيادة فى الاحتياط – طلبت من محمد حسن السفرجى فى حالة أن يسأله البواب فى يوم من الأيام عن سبب ترددى فى الصباح على شقة المستر سوينبرن ، عليه أن يقرر أننى صحفى وأحضر مقالات صحفية أتركها للمستر سوينبرن .

تقابلت مرات عديدة مع سكرتيرات السفارة اللاتى يقمن بالدور الأرضى بعمارة المستر سوينبرن ، فكنت أتخذ فوراً طريق السلم فى الصعود ولا استخدم المصعد ، لابعاد أى شبهة أننى متجه إلى الأدوار العليا حيث يقيم اثنان من أخطر رجال المخابرات البريطانية فى مصر .

كذلك لم يخل الأمر من المفاجآت ، فحدث مثلاً أن صعدت إلى شقة سوينبرن عن طريق السلم ، فوجدت الشقة المجاورة لشقته مفتوحاً بابها ، وهذه تقطنها سيدتان مصريتان ، وكانت السيدتان تنتظران صود المصعد ، ونظراً لأن هذا هو الدور الأخير فوجدت نفسى فى موقف لا يمكننى التراجع فيه ، فوقفت أمام شقة سوينبرن وتظاهرت بضغط الجرس ، حتى حضر المصعد ونزل بهما ، عندئذ دخلت بطريقتى المعتادة عن طريق شراعة الباب .

وحدث مرة أننى عندما صعدت بالمصعد ، وجدت البواب ينظف السلم أمام شقة سوينبرن ، ومن المؤكد أن بواب العمارة يعرف أن كلا من المستر جيمس سوينبرن وزوجته فى الخارج ، إلا أننى بخطوات ثابتة ضربت جرس الباب – ففتح لى محمد حسن ، فبادرته بصوت مرتفع قائلاً : « أزيك يا محمد » كما لو كنت من سكان الشقة ثم دخلت . من حسن الحظ لم يكن لهذه الزيارة أى صدى لدى البواب لتثير فيه الفضول لكى يسأل محمد السفرجى عن شخصية الزائر . فنظراً لثباتى وعدم ترددى اعتبرها البواب كسير عادى للأمور .

نعود لموضوعنا الأصلى ، وهو محاولة دخول شقة المستر جيمس سوينبرن لمعرفة طبيعة نشاط الناظر وعلاقته بالمستر سوينبرن .

تمكنت من دخول الشقة فى اليوم التالى لزيارة ناظر المدرسة له . فوجدت بدرج المكتب تقريراً مطولاً على ورقة فولسكاب بخط يد المستر سوينبرن عن مقابلة اليوم السابق بينه وبين الناظر ، ومكتوب أعلى التقرير من جهة اليسار الأسم الحركى « بول » .

ويستطرد التقرير على لسان « بول » أن فيليب أمكنه أن ينقل نفسه الاسكندرية . وأنه وجد شقة لسكنه بلوران ، إلا أنه لم يتسلم عمله بعد . ويضيف التقرير بأن « بول » سوف يسافر إلى الاسكندرية لزيارة فيليب خلال هذا الأسبوع – وباقى التقرير معلومات عن تحركات وحدات عسكرية للقوات المسلحة إلى العريش ومرفق بالتقرير ورقة فى حجم النصف فولوسكاب من ورق الأرز مرسوم عليها جدول بيانات عن دخول وخروج دبابات ومركبات مدرعة ومدافع إلى الورش للاصلاح بمعسكر الهاكستب خلال ذلك الشهر . أخذت الأوراق وبسرعة البرق قمت بتصويرها بمبنى المباحث العامة وعدت فوراً لكى أودعها بسلام فى درج المستر سوينبرن كما كانت .

أصبح واضحاً أن ناظر المدرسة السيد أمين محمود يقوم بدور ضابط اتصال بين المستر سوينبرن وشبكة من الجواسيس يعملون لحساب المخابرات البريطانية .

استمرت المراقبة مفروضة على ناظر المدرسة ، وبعد يومين اتصل بى المساعد أنور شعبان وكان على رأس الطاقم الذى يقوم بمراقبة الناظر ، وقرر لى أنه يتحدث من محطة مصر وأن الناظر سوف يسافر إلى الاسكندرية بديزل الساعة « ٢ » مساء . أمرته بالسفر فوراً بنفس الديزل هو والطاقم على أن نتقابل جميعاً الساعة ١١ مساء قبل منتصف الليل تحت تمثال سعد زغلول بمحطة الرمل بالاسكندرية . وأخبرت أنور أننى سوف أتوجه إلى منزله بالقاهرة لاخبار عائلته بموضوع سفره المفاجىء

ولاحضار غيار وملابس له . أما بالنسبة للنقود فقد كنت معتاد أن أعطى المساعدين مبالغ احتياطية من النقود لمواجهة كافة الاحتمالات .

توجهت فوراً إلى المساعد محمد أنيس الرابض أمام منزل سوينبرن وتوجهت معه إلى منزل المساعد أنور شعبان والآخرين وأحضرنا لهم ملابس مبيت ، وأخبرنا علائلاتهم بسفرهم المفاجىء . ثم أتخذنا طريقنا بالسيارة بالطريق الصحراوى إلى الاسكندرية وفى الموعد المحدد الحادية عشر تقابلت مع أنور شعبان وزميله عبد الغنى وقررا لى أن الناظر نزل من الديزل فى محطة سيدى جابر ثم استقل الترام إلى محطة لوران . ودخل المنزل رقم ٣ بشارع شعراوى . ودخل الشقة الواقعة على يمين الداخل بالدور الأرضى . وشوهد من النافذة وهو يخلع ملابسه ويرتدى جلبابا بما يفيد أنه سوف يستقر بها .

لم يبارح الناظر الشقة حتى الساعة التاسعة مساء حيث أنهيا المراقبة نظراً لشدة الظلام فى هذا الشارع وخلو الطريق من المارة . وأسرعا بالحضور إلينا لمقابلتنا حسب الأتفاق تحت تمثال سعد زغلول بمحطة الرمل .

فرضت المراقبة على الناظر منذ الصباح الباكر ، وحوالى الساعة العاشرة صباحا غادر المنزل رقم ٣ بشارع شعراوى واستقل الترام إلى القاهرة . لم أشأ أن يتبعه أحد ، وعدنا جميعا إلى لوران ودخلت العمارة رقم ٣ بشارع شعراوى فوجدت أن الشقة الأرضية التى دخلها الناظر وأمضى فيها الليل تحمل رقم واحد وبمعاينة صناديق البريد التى بمدخل العمارة الحديثة البناء فوجدت أن الشقة رقم واحد يشغلها الرائد البحرى أحمد لطفى السيد بالقوات البحرية .

ما معنى كل هذا ؟ أن المستندات التى حصلت عليها من مكتب سوينبرن تقرر أن فيليب قد نقل إلى الاسكندرية وأنه يقيم بلوران ، كما جاء أن بول سوف يسافر هذا الأسبوع إلى الاسكندرية لمقابلة فيليب .

أصبح إذن من المرجح بشكل كبير أن بول هو ناظر المدرسة السيد أمين محمود ، وأن فيليب هو الرائد البحرى أحمد لطفى السيد .

فى اليوم التالى وضعت مراقبة منذ الصباح الباكر على المنزل رقم ٣ بشارع شعراوى بلوران – وحوالى الساعة السابعة والنصف صباحاً خرج من المنزل رائد بحرى واتجه إلى شارع أبو قير حيث استقل أتوبيس صالون خاصا بالقوات البحرية . وحوالى الساعة الثالثة مساء عاد الرائد البحرى أحمد لطفى السيد إلى منزله . وشوهد وهو يدخل الشقة اليمنى بالدور الأرضى وبذلك يكون قد تم التعرف على الضابط البحرى أحمد لطفى السيد والتأكد من شخصيته .

الفصل السادس :

بداية جديدة

بعد أن تم تسجيلنا للأتصال الذى تم بين ناظر المدرسة السيد أمين ذى الاسم الحركى « بول » والرائد البحرى أحمد لطفى السيد الذى يعمل بالقوات البحرية والذى يطلق عليه اسم « فيليب » .. كذلك بعد أن تم التعرف على أحمد لطفى السيد أو فيليب شخصياً وركوبه أتوبيس صالون القوات البحرية ليذهب إلى عمله ويعود به فى المساء ، اكتفيت بهذا القدر من النتائج وعدنا جميعا بالسيارة إلى القاهرة .

توجهت فوراً لمقابلة العميد يوسف القفاص واطلعته على تطورات القضية وتوجهنا معاً لمقابلة اللواء عبد العظيم فهمى مدير المباحث العامة والذى أطلع على المستندات الخاصة بشبكة التجسس فقام بدوره وباليد بعرض الموضوع على وزير الداخلية الجديد السيد زكريا محيى الدين والذى خلف الرئيس جمال عبد الناصر الذى أصبح رئيساً للوزراء . ونظراً لقيام شبكة التجسس البريطانية بنشاط تجسس على القوات المسلحة المصرية لذلك أمر السيد زكريا محيى الدين أن يتولى الصاغ – الرائد – حسن بلبل بإدارة المخابرات الاشراف على سير القضية . ومنذ ذلك الوقت انضممت للعمل بإدارة المخابرات تحت رياسة الرائد حسن بلبل الذى يتمتع بذكاء نادر وثقافة عالية بشئون المخابرات ، وكان نعم الموجه ونعم الصديق .

ومنذ ذلك الوقت بدأت القضية تتخذ منعطفاً جديداً .

ياور رئيس الجمهورية :

اتضح أن الرائد البحرى أحمد لطفى السيد شخصية عسكرية معروفة فقد كان يشغل منصب الياور البحرى لرئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب ، وبعد تنحية اللواء محمد نجيب ، تولى الرئيس جمال عبد الناصر السلطة بدلاً منه ، وعلى ذلك ترك الرائد البحرى عمله بالياوران ونقل إلى القاعدة البحرية بالاسكندرية . واستأجر شقة بلوران برمل الاسكندرية لكى يقيم فيها هو وزوجته وطفله . ومن هنا جاء أول مستند للمخابرات البريطانية الموجه إلى « فيليب » بأنهم يأسفون لتركه العمل مع الجنرال . ويقصدون بذلك الجنرال محمد نجيب . كما طلبوا منه فى نفس الوثيقة أن يعمل على نقل نفسه للاسكندرية . وكان لهم ما أرادوا ، وبذلك أصبح واضحاً الآن تماما أن « فيليب » هو الرائد البحرى أحمد لطفى السيد وأن السيد أمين محمود ناظر المدرسة هو « بول » .

أعدت فرض المراقبة على كل من الناظر والمستر جيمس سوينبرن بهدف كشف أى اتصالات جديدة .

فى يوم الاثنين التالى ، لزيارة الناظر للمستر جيمس سوينبرن لشقته ، خرج الناظر مبكراً من المدرسة واتجه إلى ميدان السيدة زينب حيث اشترى زوجاً من الفراخ ، قام البائع بتنظيفه ثم اشترى بيضاً ووضعه فى كيس كبير مع الفراخ . وحوالى الساعة الثالثة توجه إلى مستر سوينبر بمنزله بالزمالك وتسلم محمد حسن السفرجى منه البيض والفراخ واودعها داخل الثلاجة ، بينما دخل الناظر مع المستر جيمس سوينبرن غرفة المكتب وأغلق المستر سوينبرن الباب . وبعد حوالى الساعة انصرف الناظر عائداً إلى منزله بالسيدة زينب .

مرتبات الشبكة :

فى صباح اليوم التالى دخلت شقة المستر سوينبرن وقمت بتصوير ما استجد من مستندات . فوجدت تقريراً بخط يد سوينبرن على لسان الناظر « بول » عن

سفره إلى الاسكندرية ومقابلته ! « فيليب » « يقصد الرائد البحرى أحمد لطفى السيد » – وتسليمه التعليمات عن المعلومات المطلوبة منه للحصول عليها من السلاح البحرى ونظراً لتصادف دخول أول الشهر ، فقد شاء الله أن يكشف لى الشبكة كاملة – تلك الشبكة التى يديرها المستر جيمس سوينبرن مدير وكالة الأنباء العربية بالقاهرة . ووجدت المرتبات موضوعة داخل مظاريف ويحمل كل مظروف الاسم الحركى للعميل وبداخله المرتب بالعملة المصرية وإيصال لتوقيع العميل عليه بالاستلام والعجيب ان الايصال مكتوب باللغة الفرنسية – ربما لابعاد الشبهة عن الشبكة فى حالة وقوع الإيصال فى أيد غريبة . وكانت أسماء الشبكة من واقع الإيصالات كالآتى :

١٥ جنيها ... جيمس .
٥٥ جنيها ... بول .
٤٥ جنيها ... فيليب .
٤٥ جنيها ... بيل .
٣٥ جنيها ... بادى .
٨٠ جنيها ... مارك .
٥٠ جنيها ... جو .
٣٠ جنيها .. أنيس .
١٥ جنيها ... بيرسيغال .

وعلى رأس الشبكة كما هو واضح اسم جيمس . وقد اكتشفت ان الاسم « جيمس » هو لجيمس سوينبرن نفسه ولم يطلق عليه أى اسم حركى . وكان جيمس سوينبرن يوقع على الإيصال الخاص باسمه بالكامل .. وكان يتسلم من المخابرات البريطانية خمسة عشر جنيها شهريا فقط . واضح أنها مقابل مصاريف نثرية كثمن البيض والفراخ التى يشتريها له السيد أمين محمود ناظر المدرسة ، ولا يعقل أن يكون هذا المبلغ نظير عمله السرى حيث أنه يتقاضى مبلغاً ضخماً بحكم عمله كنائب للمدير العام بوكالة الأنباء العربية .

كما أتضح أن الناظر قام بالتوقيع على ثلاثة إيصالات باسمه بالكامل باللغة العربية وهى إيصالات كل من « بول – فيليب – بادى » وواضح ان « بول » هو الناظر ، وفيليب – هو الرائد البحرى أحمد لطفى السيد – اما « بادى » فلم نكشف شخصيته بعد . وكان يحصل على معلومات عسكرية عن تحركات القوات المسلحة وعن حركة الاصلاحات بورش صيانة الدبابات والعربات المصفحة ومدافع الميدان . وغير ذلك من معلومات عن القوات المسلحة .

وبهذه الضربة الموفقة تم الكشف عن شبكة المستر جيمس سوينبرن بالكامل ، وان لم تكشف بعد الا عن شخصية اثنين منها فقط ، وجار العمل لكشف باقى شخصيات الشبكة .

باستمرار مراقبة الناظر ووضع مراقبة ثابتة على منزله بالسيدة زينب لحصر المترددين عليه ، كشفت المراقبة عن تردد شخص مصرى على الناظر بمنزله ، واتضح انه كاتباً بسلاح الصيانة بالقوات المسلحة بالماظة . وقد لوحظ قبل صعوده إلى سكن الناظر ، يقوم بإخراج ورقة صغيرة مطوية يقوم باخفائها فى ثنية بنطلونه واتضح فيها بعد أنها الورقة التى أقوم بتصويرها من داخل درج المستر سوينبرن بعد زيارة الناظر له ، وهى ورقة نصف فلسكاب من الورق الخفيف وبها كشوف دخول وخروج الدبابات والمدرعات والمدافع فى ورش الاصلاح بسلاح الصيانة . واتضح ان المذكور يدعى أحمد السيد بدير واسمه الحركى « بادى » ويعمل كاتباً بسلاح الصيانة بالماظة .

بعد ان تم كشف ثلاثة أفراد من شبكة المستر سوينبرن – بدأت التركيز الشديد على جميع تحركات وإتصالات المستر سوينبرن حتى ننجح فى كشف النقاب عن باقى أفراد الشبكة .

اتصلت بصلاح محمد على سكرتير خاص المستر توماس وروسل ليتيل مدير وكالة الأنباء العربية – وأستفسرت منه عن اتصالات ونشاط المستر جيمس سوينبرن داخل وكالة الأنباء العربية . وهل يتردد عليه داخل الوكالة أحد من المصريين .

فأجابنى بالنفى ، وقرر لى أنه يكاد لا يزوره أحد الا بعض الصحفيين الإنجليز لأعمال خاصة بالوكالة .

طلبت منه أن يفتح عينيه جيداً عن أى اتصالات تتم بين المستر سوينبرن وآخرين يشم منها أى شىء قد يكون مريباً – ولم أفصح له أكثر من ذلك وكانت حجتى فى هذه الاستفسارات من صلاح محمد على أننى أخبرته أن المراقبة على المستر توم ليتيل أثبتت أنه لا يقوم بأى نشاط ضار – ولذلك جاء دور المستر سوينبرن للتحقيق من أنه نظيف أيضاً لنترك التركيز على الوكالة ونتركها لحالها . اقتنع بوجهة نظرى وانصرفت .

أعدت فرض المراقبة الثابتة على منزل المستر جيمس سوينبرن بالزمالك ، لكشف أى مترددين جدد عليه ، خاصة خلال الفترة التى ينصرف فيها السفرجى محمد حسن للراحة ، بعد أن ينتهى من تقديم وجبة الغداء لهم لحين حلول موعد العشاء . حيث أن هذه الفترة – هى الفترة الحرجة بالنسبة لنا والمليئة بالاحتمالات .

بعد أسبوع من فرض المراقبة الثابتة وحوالى الساعة الرابعة والنصف مساء ، دخل العمارة شخص ضخم أسمر اللون مجعد الشعر يرتدى طربوشاً وبدلة أنيقة وصعد بالمصعد وتابعناه عن طريق السلم من أسفل حتى دخل شقة المستر سوينبرن .

اتخذنا كافة الاجراءات لمتابعة الزائر الجديد . وبعد مرور ساعة تقريباً خرج واستقل تاكسى حتى محطة سكة حديد باب اللوق ثم اختفى فى الزحام . رجحت ان يكون قد استقل قطار حلوان نظراك لاختفائه المفاجىء فى هذا المكان خاصة وان قطار حلوان قد غادر المحطة منذ قليل .

طلبت من المساعدين التوجه مبكراً لمحطة باب اللوق للسكك الحديدية لملاحظة الوافدين بقطارات خط ضاحية حلوان . كان حدسى فى محله ، وحدث ما توقعته وظهر نفس الشخص قادماً بأحد قطارات خط حلوان ونزل بمحطة « باب اللوق » الساعة الثامنة صباحاً ثم أتجه سيراً على الأقدام ودخل وزارة الشئون الاجتماعية

حيث دخل مكتب وكيل الوزارة . وغادر المكتب الساعة الثانية ظهراً إلى محطة باب اللوق وأستقل قطاراً حتى حلوان ونزل هناك واتجه إلى فيلا من محطة حلوان حيث يقيم فيها واتضح انه يدعى محمد محمد عبيد ويعمل مدير مكتب وكيل وزارة الشئون الاجتماعية .

وفى اليوم التالى لزيارة محمد عبيد للمستر سوينبرن فى شقته ، فتشت مكتب سوينبرن وعثرت على إيصال مرتب « بيل » موقع عليه بالحروف الأولى لأسمه باللغة الإنجليزية M.M.E. . وأصبح واضحا تماماً « بيل » هو محمد محمد عبيد – وبذلك نكون قد كشفنا النقاب عن العميل الرابع لشبكة المستر سوينبرن .

كان نشاط محمد عبيد داخل الشبكة هو إمداد المخابرات البريطانية بالمعلومات عن السودان مستغلاً صداقته بالسيد مبارك مرزوق وزير خارجية السودان – كذلك معلومات عن رئاسة مجلس الوزراء مستغلاً صداقته هناك بموظف يدعى عبد الرحمن جنايني ، كذلك أخبار بعض رجال مجلس الثورة مستغلاً صداقته بالكثيرين من ضباط القوات المسلحة .

من أين يحصل على المرتبات والتعليمات ؟

أصبح السؤال المطروح الآن هو : من أين يحصل المستر سوينبرن على التعليمات الصادرة من إدارة المخابرات البريطانية – كذلك مرتبات الشبكة التى يديرها ؟ ولمن يسلم المعلومات التى تجمعها الشبكة التى يشرف على إدارتها ؟

لقد انقضت شهور منذ بداية التركيز على اتصالات المستر سوينبرن الا ان المراقبات لم تكشف عن الحلقة التى تربط المستر سوينبرن بجهاز المخابرات البريطانية .

أخذت استعيد مراجعة الموقف ودراسة كل ما تم من مراقبات ، ووصلت إلى النتيجة الآتية : الفترة الوحيدة التى تركنا فيها سوينبرن بدون مراقبة ، هى الفترة الصباحية التى ينزل فيها بصحبة كلبه للتنزه به . وكان هذا يحدث إما بأرض

الجولف بنادى الجزيرة ، أو عندما يتجول به فى الشوارع المحيطة بمنزله لذلك قررت أن أقوم بتغطية هذه الفترة الزمنية المحددة .

أخترت الفترة الزمنية التى أتم فيها المستر سوينبرن تسليم مرتبات الشبكة ، وحصل من مندوبيه على توقيعاتهم على الإيصالات ، كما قام بإعداد وتنسيق المعلومات التى حصل عليها من المندوبين وكتبها على الآلة الكاتبة فى تقرير منسق ، عندما تم كل هذا ، كنت من جانبى قد اتخذت العدة وقمت بعملية انتشار للمساعدين فى جميع الشوارع المحيطة بمنزل المستر سوينبرن والتى أعتاد ان يرتادها هو وكلبه كل صباح . واستمر الانتشار بضعة أيام ، وفى اليوم الرابع تقريباً نزل المستر سوينبرن برفقة كلبه فى الصباح الباكر وأخذ يتجول فى الشوارع المحيطة بمنزله ، وفى أحد الشوارع الهادئة بجوار حديقة الأسماك . وقفت فجأة بجانبه سيارة رقم ٥٠٢ هيئة سياسية . وتبادل المستر سوينبرن وقائد السيارة التحية ، وأدخل المستر سوينبرن رأسه داخل السيارة حيث كان يقف على الجانب الأيمن البعيد من قائد السيارة وبسرعة أخرج المستر سوينبرن مظروفاً من جيبه والقاه لقائد السيارة على المقعد المجاور له ، ثم انطلقت السيارة بسرعة ، وبالتحرى عن قائد السيارة أتضح أنه المستر ستانبرى وهو ضابط مخابرات ، ويعمل تحت ساتر سكرتير ثان بالسفارة البريطانية بالقاهرة . ويقيم بالعمارة رقم « ١ » بشارع الكامل محمد بالزمالك أمام حديقة الأسماك بالزمالك .

قمت بتفتيش مكتب سوينبرن بمنزله فلم أعثر على أى شىء ، لا إيصالات ولا التقارير مما يؤكد أن المستر سوينبرن أتصل بالمستر سنانبرى ضابط المخابرات البريطانية صباحاً وتواعدا على هذا اللقاء الذى يأخذ شكل المصادفة وسلم المستر سوينبرن كل الوثائق التى فى حوزته إلى ضابط المخابرات البريطانى الدبلوماسى المستر سنانبرى . وهكذا أميط اللثام عن الحلقة المفقودة وهو أثبات علاقة المستر جيمس سوينبرن نائب المدير العام لوكالة الأنباء العربية بإدارة المخابرات البريطانية ، بالقاهرة تحت ساتر السكرتير الثانى الدبلوماسى .

بقى من شبكة المستر سوينبرن ثلاثة أفراد لم نكشف النقاب عنهم بعد ، وأهمهم « مارك » وهو المترجم الذى يقوم بترجمة المعلومات العسكرية التى يحصل عليها الناظر من شبكته المكتوبة باللغة العربية ، لكى يترجمها إلى اللغة الإنجليزية .

كانت الفكرة المسيطرة على هو ان هذا المترجم لا بد أن يكون صحفياً من صحفيى وكالة الأنباء العربية – وهذا هو السبب فى أننى لجأت إلى صلاح محمد على سكرتير المستر توم ليتيل مدير الوكالة ، عساه يساعدنى فيما ذهب إليه تفكيرى ، ولكن صلاح أكد لى أكثر من مرة أن المستر سوينبرن يكاد يكون منعزلاً فى الوكالة عن الأعمال الصحفية ، وبالتالى ليس له أى أتصال بصحفيين مصريين – والعمل الصحفى من اختصاص مدير عام الوكالة المستر توم ليتيل الصحفى الذائع الصيت فى مصر وخارج مصر .

انتهزت فرصة زيارة الناظر السيد أمين محمود للمستر سوينبرن وتسليمه معلومات عسكرية ، وركزت المراقبة على المستر سوينبرن علنى ، أهتدى إلى الشخص الذى سوف يتصل به المستر سوينبرن لتسليمه المستندات ليترجمها . كل ما أعرفه عن هذا المترجم ان اسمه الحركى هو « مارك » . كما أنه يوقع على إيصال مرتبه بالحرفين S.A. وهما قطعاً الحرفان الأولان من اسمه – كما يفعل محمد محمد عبيد عندما يوقع على الإيصالات بكتابة الأحرف الأولى من اسمه .

تصادف أننى تمكنت فى نفس الوقت من الحصول على مستند بخط يد المستر سوينبرن موجه لإدارة المخابرات البريطانية يخبرهم فيه ان مارك « المترجم المجهول » يرغب فى السفر لمدة شهرين « يوليو أغسطس سنة ١٩٥٤ » إلى لبنان ، وأنه معتاد أن يحصل على نصف المرتب خلال سفره ، ويضيف أن مارك يرغب فى الحصول قبل سفره على مرتب شهر يونيو علاوة على نصف مرتب لشهرى يوليو أغسطس . وقد جاء رد المخابرات البريطانية فى مستند آخر بالموافقة على منح مارك ثمانين جنيها عن شهرى يوليو وأغسطس وثمانين أخرى مرتب شهر يونيو وكان مرفقاً بالمستند مظروف يحوى مائة وستين جنيهاً وإيصالين بالمبلغ لم يتم التوقيع عليهما بعد .

قمت بمراقبة المستر سوينبرن فى هذا اليوم ، وبعد الظهر استقل سيارته البيبى فورد من جراج منزله متجهاً إلى عمله بعمارة الايمويبليا – وعمارة الايمويبليا عمارة ضخمة تتكون من بلوكين أو جناحين بلوك أيمن وبلوك أيسر – ويفصل بينهما ممر خاص بالعمارة – ويشغل جراج الايمويبليا مساحة كبيرة من بدروم العمارة . وجراج العمارة له سلم يوصل إلى ممر العمارة من الجهة اليمنى وكان المستر سوينبرن معتاداً الدخول بسيارته إلى داخل الممر الذى يوصله فى النهاية إلى الجراج ويترك سيارته داخل الجراج ويصعد على السلم متجهاً إلى ممر العمارة ثم يتجه إلى البلوك الأيمن حيث يقع مكتبه بالدور الأول بوكالة الأنباء العربية . وكنت اعتاد دائما إذا ما دخل سوينبرن بسيارته ممر العمارة اتركه وأنهى المراقبة مؤقتاً لأننى أعرف ماذا سيفعل بعد ذلك .

ولكن نظراً لأهمية الاتصال المفروض ان يقوم به المستر سوينبرن بالمترجم لتسليمه المستندات التى تحتوى على معلومات عسكرية لترجمتها . كذلك لتسليمه مرتبه ومرتب شهرين أجازة – لذلك لم أشاء هذه المرة أن يغيب المستر سوينبرن عن عينى لحظة واحدة . وعلى ذلك عندما دخل المستر سوينبرن ممر العمارة بسيارته فى طريقه إلى الجراج – ترجلت فى الحال ودخلت خلفه الممر وانتظرته حتى شاهدته يصعد سلم الجراج الذى بوسط الممر ولكنه بعد أن صعد إلى ممر العمارة لم يتجه للبلوك الأيمن حيث يقع مكتبه بل رأيته يعبر ممر العمارة متجهاً إلى البلوك الأيسر من عمارة الايمويبليا . وفى الحال اسرعت خلفه فوجدته يدخل مبنى الجناح الأيسر واتجه يساراً ووقف أمام مصعد من المصاعد الخاصة بهذا الجناح . عندئذ لم يكن أمامى خيار الا أن احشر نفسى ووقفت خلفه انتظاراً لنزول المصعد . وعندما وصل المصعد دخل المستر سوينبرن فدخلت خلفه ومعنا آخرون . وعندما سأل عامل المصعد عن الأدوار التى نريد الصعود إليها أجاب سوينبرن الرابع وأجبت أنا الثامن وكان سوينبرن يقف داخل المصعد فى مواجهتى ، وعندما فتح باب المصعد فى الدور الرابع ، خرج المستر سوينبرن واتجه إلى اليمين ورفع يده يدق جرس باب إحدى

شقق الدور الرابع عندئذ انغلق باب المصعد ليتجه بنا إلى الدور الثامن . خرجت من المصعد واتجهت إلى أحدى الشقق وتظاهرت بالضغط على الجرس حتى اختفى المصعد . نزلت بهدوء حتى وصلت الدور الخامس . ارهفت السمع فلم أسمع أى أصوات ، فنزلت الدور الرابع لمعاينة الشقة التى اتجه إليها المستر سوينبرن فوجدتها تحمل رقم ٤٤٢ . نزلت على السلم وغادرت العمارة انتظرت فى ممر العمارة حتى خرج المستر سوينبرن من الجناح الأيسر بعمارة الايموبيليا بعد نصف ساعة تقريباً واتجه إلى الجناح الأيمن حيث مكتبه .

عدت ثانية إلى البلوك الأيسر من العمارة . وعندما وصل نفس المصعد ركبت فيه وطلبت من العامل برغبتى الصعود لمعاينة الشقة المفروشة بالدور الرابع . فقرر لى أنه لا يوجد أى شقق مفروشة بالدور الرابع حيث أن بالدور شقتين للمكاتب والثالثة أصحابها ايطاليون مسافرون فى الخارج والرابعة يقيم بها صموئيل بك عطية ولكنه لا يؤجر شقته . أعتذرت للبواب إذا ربما يكون من أعطانى هذه البيانات قد أخطأ فى البلوك وسوف يكون من المستحسن أن أتوجه إلى البلوك الأيمن ربما تكون الشقة المفروشة هناك وانصرفت .

بمجرد أن صمعت من عامل المصعد ان الشخص الذى يقيم فى الشقة الرابعة هو « صموئيل بك عطية » ، كدت أطير من الفرح حيث المترجم « مارك » يوقع على إيصالات وهى الأحرف الأولى لاسم S.A. مرتبه بالحرفين « صموئيل عطية » .

وبهذا نكون قد توصلنا إلى كشف النقاب عن شخصية المترجم ذى الاسم الحركى « مارك » ليتبقى ثلاثة من شبكة المستر سوينبرن لم نكشف النقاب عنهم بعد وأسماؤهم الحركية هى « جو » و « وأنيس » و « بيرسيغال » .

الفصل السابع :

المخابرات البريطانية تسهل مهمتى

صدرت تعليمات المخابرات البريطانية للمستر جيمس سوينبرن باستلام المندوبين اللذين يتصلون بمارك « صموئيل عطية » فترة تغيبه فى لبنان لحين عودته من أجازته وهما « جو » و « أنيس » . لهذا بدأت من جديد فرض مراقبة ثابتة على منزل المستر جيمس سوينبرن والتركيز على اتصالاته لكشف النقاب عن باقى أفراد شبكته .

من واقع التعليمات السابقة التى تسلمها سوينبرن باستلام جو وأنيس من مارك . يتضح أن مارك أو صموئيل بك عطية شخص له أهمية خاصة . فهو علاوة على كونه يقوم بترجمة التقارير التى يحصل عليها من المندوبين السريين للشبكة والمكتوبة باللغة العربية لترجمتها إلى الإنجليزية ، فهو يعمل فى نفس الوقت كعازل اتصال « Cut-Out » بين المستر سوينبرن وبعض أفراد شبكته . والذين تقتضى التعليمات لسبب أو لآخر عدم اتصالهم مباشرة بالمستر سوينبرن .

كذلك توقعت ألا يكون نشاط أعمال الترجمة التى يقوم بها مارك مقصورة على شبكة المستر جيمس سوينبرن فقط ، بل لا بد أن يكون هناك تقارير أخرى ترسل إلى مارك لترجمتها من شبكات أخرى تعمل مع نفس تنظيم جهاز المخابرات البريطانية فى مصر . .

لكل هذا تمنيت لمارك من كل قلبى أن يسافر بسلامة الله وأن يقضى أجازة سعيدة فى لبنان حتى يعود لنا موفور الصحة والسعادة ، حتى يتسنى لنا بعد ذلك

مراقبته لكشف باقى اتصالاته السرية ونشاطه السرى الكبير .

من أجل أن يسهل الله لنا مهمتنا فى كشف بقية شبكة المستر سوينبرن – فقد رتب رحلة لبنان لصموئيل بك عطية لكى يتردد « جو » و « أنيس » وهما آخر أفراد شبكة المستر سوينبرن السرية – قلت لكى يترددا على المستر سوينبرن الذى فى قبضة يدنا ، بدلاً من ترددهما على صموئيل بك عطية الذى سوف يترك مصر لمدة شهرين إلى لبنان . حيث كما سبق أن ذكرت أن « جو » لا يتصل أصلاً بالمستر سوينبرن مباشرة بل أن اتصاله هو و « أنيس » عن طريق المترجم صموئيل بك عطية . حيث يقوم صموئيل بك عطية « مارك » باستلام تقاريره منه مباشرة والمكتوبة باللغة العربية ، ليقوم بترجمتها إلى الإنجليزية حيث يتسلمها منه المستر سوينبرن ويقوم بتوصيلها إلى المخابرات البريطانية عن طريق الدبلوماسى ستانبرى السكرتير الثانى بالسفارة البريطانية فى القاهرة .

معنى هذا أنه لولا اكتشافنا لصموئيل بك عطية فى الوقت المناسب وقبل سفره إلى لبنان ، لما كنا قد توصلنا إلى الكشف عن شخصية « جو » هذا .

وبصدور تعليمات إدارة المخابرات البريطانية إلى المستر جيمس سوينبرن باستلام المندوبين اللذين يتصلان بمارك فترة تغيبه عن القاهرة لحين عودته – تكون بذلك هذه الإدارة قد ساهمت فى تسهيل مأموريتنا فى كشف النقاب عن باقى أفراد شبكة المستر جيمس سوينبرن وهما جو وأنيس .

وصموئيل بك عطية تجاوز الستين من عمره كان يشغل منصب مدير عام وكالة شئون السودان وحاصل على رتبة البكوية بمرسوم ملكى . ونظراً لاتصاله طول حياته بالسلطات البريطانية بحكم طبيعة عمله كمدير لوكالة شئون السودان – فكان على صلة وثيقة برجال المخابرات البريطانية . وهو يعمل لحسابهم طول حياته . ونظراً لاتقانه للغتين الإنجليزية والفرنسية علاوة على اللغة العربية ، فقد وقع عليه الاختيار لترجمة الوثائق التى يتحصل عليها المندوبون السريون الذين يعملون بالشبكات البريطانية بمصر .

من هو « جـو » العميل السادس ؟ :

بدأت من جديد فرض رقابة ثابتة على منزل المستر سوينبرن لمدة سبعة أيام . وكان التركيز على الفترات التى يتواجد فيها بالمنزل ، وهى فترة ما بعد الغداء وفترة ما بعد العشاء عقب عودته مساء من وكالة الأنباء العربية . كان يوماً شديد الحرارة .

وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر دخل شخص غريب العمارة . لم يكن محمد حسن السفرجى موجوداً بل تعمد المستر سوينبرن أن يصرفه للراحة . اضطررت إلى إدخال أحد المساعدين العمارة لمتابعة الزائر الجديد ، والذى استقل المصعد إلى الدور الرابع ثم دخل شقة سوينبرن .

بناء على ذلك استعدينا جميعاً لاستقبال الزائر الجديد لمتابعته والكشف عن شخصيته .

نزل الزائر بعد ساعة تقريباً ليستقل الأتوبيس – من شارع ٢٦ يوليو بالزمالك .

الشخص المذكور يبلغ من العمر حوالى الخمسين عاماً ، يرتدى بدلة كاملة وطربوشاً ، ويمسك فى يده « منشة » ، يسير فارداً صدره إلى الوراء ، ويسير بتعال وعظمة ، متوسط الطول ممتلىء الجسم ويضع فى فمه بصفة دائمة سيجاراً من نوع « الزنوبيا » ، كان فريداً فى هيئته وسلوكه .

تابعناه بعد ركوبه الباص ، فنزل بمحطة ناصية شارع عماد الدين و ٢٦ يوليو ، ثم اتجه إلى شارع عماد الدين واستقل مترو ضاحية مصر الجديدة « كان خط نهاية مترو مصر الجديدة ينتهى داخل منتصف شارع عماد الدين فى ذلك الوقت » .

نزل بمصر الجديدة بميدان الساعة ثم اتجه إلى شارع الإمام على حتى نهايته ودخل آخر منزل على اليسار رقم ٥٠ على ناصية شارع دمشق . وهذا المنزل يحوطه فناء كبير ومسور بسور حديدى مرتفع وله بوابة .

حرصنا إلا نفقد أثره ، فدخلت خلفه ومعى المساعد عبد الغنى أحمد عبد الغنى ووقفنا على عتبة البوابة الحديدية حتى عبر حوش المنزل ودخل العمارة وبدأ يصعد السلم ، فدخلنا خلفه وتابعناه من أسفل وهو يصعد إلى الأدوار العليا . وفجأة اعترض طريقنا بواب العمارة ، وكان منفعلاً وسألنا بطريقة غير مهذبة عما نريد . فأخبرته أننا نبحث عن الأستاذ إبراهيم كامل المحامى « أسم اختلقته فى حينه » فأجاب البواب على الفور بصوت مرتفع يخلو من أى ذوق أو أدب ، محامى إيه وزفت إيه ، أنا لازم أعرف أنتم جايين هنا ليه .

حاولت تهدئته وأخبرته أن العنوان الذى لدينا لهذا المحامى هو رقم ٥ شارع الإمام على ، فلما لم نجده فى هذا الرقم ، فرجحنا أن يكون عنوان هو ٥٠ وليس ٥ .

ولكن البواب لم يرقه هذا الكلام لأمر فى نفس يعقوب ، وأغلق علينا البوابة الحديدية الضخمة ، فأصبحنا حبيسين داخل فناء المنزل . أمسك البواب بنا من ملابسنا ، وأخذ ينادى بأعلى صوته : « يا حضرة المأمور ... يا حضرة المأمور ! . » تجمع المارة أمام البوابة الحديدية من الخارج لمشاهدة هذه المسرحية ، وبعد برهة نزل شخص ضخم الجثة فى الثلاثين من عمره يرتدى البيجامة ، وأمسكنى من ملابسى وطلب منى أن أخبره عن سبب دخولنا هذا المنزل ، وأخبرته بالرواية التى سردتها للبواب ، ثم سألنى عن مهنتى فأخبرته بأننى أعمل مهندساً ومقاولاً ، فطلب منا بطاقة تحقيق الشخصية ، فاعتذرنا بأنها بالمكتب مع حقيبة أوراق العمل . فقال بلهجة تهديدية — اسمعوا — أنا المأمور ولازم تثبتوا شخصيتكم ، ثم نظر إلى البواب وطلب منه أن يطلب حكمدار مصر على التليفون ثم حاول بعد ذلك أن يتطاول بيده علينا فأخبرته بلهجة حازمة بأنه سوف يتحمل مسئولية أى اجراء يقوم به خارج حدود اللياقة والقانون ، وسوف تكون نتيجته وخيمة عليه . وإذا كان هو المأمور حقاً فليذهب معنا إلى قسم البوليس ولا داعى لهذه المظاهرة التى يقوم بها .

وأثناء حديثى مع المأمور هذا ، فوجئت بالشخص الذى كنا نراقبه ينزل من العمارة مرتديا بيجامة وشبشبا ، ويسأل المأمور عن موضوعنا ، فأخبره بأننا دخلنا المنزل بدون تبرير مقنع . سألنى الشخص الذى نراقبه عن صناعتى ، فأخبرته بأننى مهندس ومقاول – وهنا أعترض المأمور على هذا الحديث وقال « يا أنطون بلك دول ولاد كلب ، لازم يروحوا القسم » . فأجبتهم بأننا موافقان على التوجه إلى القسم .

فى هذه الأثناء تمكن المساعد أحمد عبد الغنى والذى كان يشترك معنا فى المراقبة – ولكنه لم يدخل معنا خلف المراقب بل انتظر فى الخارج ، تمكن من أحضار عسكرى الدورية ، وبمجرد وصول العسكرى – فتح البواب البوابة الحديدية . وقادنا العسكرى – أنا والمساعد عبد الغنى إلى قسم شرطة مصر الجديدة الذى كان قريباً من هذه العمارة ودخلنا غرفة النوبتجية وأمتثلنا أمام الضابط النوبتجى برتبة كونوستابل وكان منهمكا فى العمل ، أخبره عسكرى الدورية أن بواب المنزل رقم ٥٠ بشارع الإمام على قد ضبطنا ندخل المنزل دون أن نبرر سبب دخولنا . نظر إلينا الكونوستابل شزراً ، وطلب منا تحقيق الشخصية ، فأخبرناه بأنها ليست معنا الآن ، فأمر بعمل محضر تحرى لنا ، وجلسنا على « دكة » بجوار غرفة الحجز لحين حضور شاويش المباحث لتحرير محضر تحر لنا .

كان للكونوستابل كل العذر – فلم تكن هيئتنا تدل على أننا من المهندسين ، فكنا نرتدى قمصانا وبنطلونات رثة – وكانت تعلو وجوهنا الأتربة مختلطة بالعرق حيث أنه يوم من أيام شهر يوليو والجو شديد الحرارة كما أننا ملازمان الطريق العام منذ الصباح الباكر . تناولنا أفطارنا وغداءنا كعادتنا كل يوم على الأرصفة حيثما قادتنا الظروف والأحداث . والساعة قد جاوزت السادسة والارهاق باد على وجوهنا ، فلم تشفع لنا هيئتنا لدى الكونوستابل ، لكى يراجع نفسه فيما ذهب إليه .

أثناء جلوسى على « دكة » مكتب مباحث القسم انتظاراً لحضور الجاويش لكى يحرر لنا محضر تحر ، لم أشعر بالاكتئاب أو الحزن على ما حدث بل على العكس تماماً فرغم كل شيء كنت سعيداً ، فقد كرمنا الله بصيد جديد أضيف إلى الشبكة . وان كنت أتضرع إلى الله ألا يكون ما حدث . قد أثار انتباه انطون بك ضحيتنا الجديدة .

أثناء استغراقى فى التفكير ، حضر مراسلة مأمور قسم مصر الجديد واصطحبنى أنا والمساعد عبد الغنى إلى غرفة المأمور حيث وقفنا أمام مكتبه . وكان يجلس بجوار المأمور ذلك الشخص الضخم الذى كان يلقبه البواب بالمأمور . من حسن حظى أن المأمور تعرف على شخصيتى بمجرد أن رآنى حيث سبق أن تعاملنا فى مناسبات رسمية عديدة .

بادرت مسرعاً بتوجيه حديثى إلى المأمور بأننى أعمل مهندساً ومقاولاً وكنت على موعد مع المحامى الذى يقيم بشارع الإمام على بمصر الجديدة – وأستأذنت المأمور أن يرسل برفقتى عسكرياً إلى مكتبى لاحضار حقيبتى وبها أوراقى والبطاقة الشخصية . فهم المأمور مقصدى ، حتى لا يعاملنى باحترام مما قد يثير أنتباه ضيفه ، والذى أتضح أنه مأمور ضرائب وليس مأمور قسم ، ويدعى إبراهيم شنودة ، ويقيم بنفس المنزل رقم ٥٠ بشارع الإمام على بمصر الجديدة .

طلب مأمور القسم من مأمور الضرائب المذكور أن يترك له الموضوع يتصرف فيه معرفته ، وسوف يتحرى عن شخصيتنا بنفسه . وانصرف مأمور الضرائب شاكراً ، واصطحب معه بواب العمارة . شكرت للمأمور حسن تصرفه ، وأخبرته أننا كنا نقوم بمراقبة شخص أجنبى دخل هذا المنزل ، وخلال متابعتنا له ، حدث ما حدث .

أخبرنى المأمور أنه توجد امرأة تقيم بالدور الثانى بالعمارة المذكورة سيئة السمعة والسلوك ، وأن سكان العمارة ضجوا بالشكوى منها بسبب تردد بعض أصدقائها

من الرجال عليها ، ولهذا فهم يحاولون بمعاونة البواب الحيلولة دون دخول أى غريب للعمارة باعتبار أن كل شخص يتردد على العمارة وغير معروف للبواب سوف يكون من زبائنها . وهذا هو سبب كل ما حدث .

فى اليوم التالى للاتصال الذى تم بين جيمس سوينبرن وزائره الجديد ، وجدت إيصال مرتب من جو قد تم التوقيع عليه بالحروف الأولى لأسمه بالإنجليزية وهما الحرفان A.Y. أى أنطون يعقوب وهو الأسم الكامل لانطون بك الذى زاره بالأمس ، كذلك وجدنا توقيع أنيس على الإيصال الثانى وهو الاسم الحركى للعميل الأخير بالشبكة . وحصلت كذلك على مستندات مكتوبة على الآلة الكاتبة باللغة العربية بتوقيع جو تحوى معلومات عن المصانع الحربية والأخوان المسلمين وقوات الحرس الوطنى . كما وجدت مرفقاً بهذا التقرير تقريراً آخر مكتوباً على الآلة الكاتبة يستهل التقرير بالعبارة الآتية :

أنيس حضر اليوم من المنصورة وأملانى التقرير التالى : ثم تلاه تقرير يحوى معلومات عن قوات الحرس الوطنى وتحركاتها ونشاطها فى شمال الدلتا والزقازيق والمنصورة .

ظاهر من واقع التقارير التى حصلت عليها والتى أحضرها جو إلى المستر سوينبرن ، أن العميل أنيس وهو الوحيد قبل الأخير الباقى من شبكة سوينبرن ولم نكشف عن شخصيته بعد ، ويشترك مع جو فى النشاط السرى . ويشرف انطون يعقوب على تشغيله والحصول منه على المعلومات التى يقوم بتوصيلها بعد ذلك إلى صموئيل بك عطية « مارك » المترجم للشبكة . وذلك لترجمتها إلى اللغة الإنجليزية وتسليمها بعد إلى المستر سوينبرن الذى يسلمها بدوره إلى مندوب المخابرات البريطانية .

كما أوضحت المستندات أن أنيس هذا يعمل فى المنصورة ويحضر أسبوعيا إلى القاهرة . ويتقابل مع جو لكى يسلمه تقريراً عن نشاطه الأسبوعى حسب احتياجات

إدارة المخابرات البريطانية ثم يقوم جو بكتابة هذه المعلومات على الآلة الكاتبة العربية لتتخذ مجراها السابق الاشارة إليه .

مراقبة انطون يعقوب :

استغللت فرصة شكوى سكان العمارة التى يقطن بها انطون يعقوب « جو » من السيدة التى يقال أنها تدير شقتها لأعمال منافية للآداب - وأرسلت لبواب هذه العمارة أحد المساعدين الذين لم يشتركوا معنا فى عملية مراقبة أنطون يعقوب تحت ساتر أنه يعمل بمكت حماية الآداب التابع لحكمدارية بوليس القاهرة وأنه حضر بناء على شكاوى وردت للمكتب ضد هذه السيدة وأنه سوف يقوم بمراقبة المترددين عليها .

كان ساتراً طبيعيا خدمتنا فيه الظروف غير السعيدة التى وقعت لنا فى أول يوم نراقب فيه أنطون يعقوب - وأعددت طاقم مراقبة بمقهى بجوار منزل أنطون يعقوب بشارع دمشق لمتابعة تحركاته إذا غادر سكنه . وكان الهدف من ذلك هو كشف شخصية أنيس الذى يقوم أنطون يعقوب بتشغيله فى العمل السرى . ولكن لم تسفر مراقبات أنطون يعقوب مع الأسف عن اتصاله بشخص تحمل الحروف الأولى من أسمه G.D. وهو توقيع أنيس على الإيصال بمرتبه ، حسبما عثرت عليه فى درج المستر سوينبرن .

وطبقاً لما جاء فى التقرير أن نيس يعمل بالمنصورة فى الأوساط القضائية - لذلك قررت السفر إلى المنصورة وقمت بإجراء تحريات واسعة هناك شملت جميع المحاكم، والقضاة والمحامين - حتى موظفى النيابة العامة ، إلا أننى لم أتمكن من كشف شخصية أنيس وقد أعيانى البحث والتحرى عن المذكور ومما زاد فى حيرتى أن جو - أنطون يعقوب - استمر فى تقديم تقارير مقابلاته لأنيس رغم مراقباتى المستمرة له .

ومن العجيب أنه عقب ضبط القضية ، أتضح أن أنطون يعقوب لم يكن يقابل أنيس هذا بل لم يكن يعرفه أصلاً ، حيث كان أنيس شخصية وهمية كان ينتحلها فى

تقاريره بهدف الحصول على مرتب أضافى من المخابرات البريطانية علاوة على مرتبه البالغ خمسين جنيها . كان يتقاضى ثلاثين جنيها أضافياً باسم أنيس نظير معلومات كان يحصل عليها بنفسه من أقاربه وأصدقائه وينسبها إلى أنيس الشخصية الوهمية .

كما اتضح من التحريات والمراقبات أن أنطون يعقوب صحفى يعمل مراسلاً لصحيفة « باكستان ديلى نيوز » ويحمل بطاقة نقابة الصحفيين . ولكن فى الحقيقة لا يقوم بأى عمل صحفى ، بل كان منصرفاً للبحث والتنقيب عن المعلومات التى يجمعها لحساب إدارة المخابرات البريطانية .

ومن الأشياء التى كشفتها المراقبة ، أنه كان يحاول التعرف بالناس بطريقة الإثارة ، فكان إذا ركب الأتوبيس وشاهد أحد جنود الجيش يتزاحم مثلاً للركوب ، يقول بصوت مرتفع : « شوف بتوع الجيش بيعملوا إيه » . وكان يرمى من وراء ذلك إلى أن يستدرج أحد الحاقدين على الحكم ، فيدخل معه فى حديث ، ثم يتعارف عليه .

كما كان أنطون يعقوب يقوم بترشيح أسماء أشخاص مصريين يشغلون مراكز حساسة لإدارة المخابرات البريطانية دون علم هؤلاء الأشخاص ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى اثبات نشاطه واتساع دائرة معارفه لهذه الإدارة التى يقوم على خدمتها . وقد رشح فى أحد تقاريره المرفوعة لإدارة المخابرات البريطانية من يدعى منير ويصا ويعمل بأرشيف وزارة الخارجية المصرية ، وقد أهتمت إدارة المخابرات البريطانية اهتماما كبيراً وطلبت من أنطون يعقوب أن يوضح لها أسم منير ويصا بالكامل ومن أى عائلة ينحدر – ومن أى محافظة وما هى حالته الاجتماعية والمالية – ودرجته الوظيفية – ومكان عمله بالضبط ، وأهمية المستندات التى تحت يده بحكم عمله ، والسبيل إلى التقرب إليه وتجنيده ، وهل هى النقود ، أم أن مصر فى طريقها إلى الشيوعية ، وعليه – أى منير ويصا – المساهمة والمساعدة فى أبعاد الشيوعية عن مصر وذلك بالانضمام إلى جهاز المخابرات البريطانية .

كان لتقرير أنطون يعقوب لإدارة المخابرات البريطانية أهمية خاصة لما تحويه من معلومات مهمة وذات حساسية خاصة . وكان جو « أنطون يعقوب » يحصل على معلومات دقيقة وقت أزمة الأخوان المسلمين . وكان يوضح فى تقاريره أن هذه المعلومات يستقيها من بلبل ، وهو الأسم الحركى لشخصية لم نكشف عنها بعد ، وكان جو على صلة صداقة وطيدة ببلبل هذا ، ولم يكن بلبل هذا يعلم أن نتيجة دردشته ومناقشاته مع أنطون يعقوب سوف تجد طريقها إلى إدارة المخابرات البريطانية .

كانت إدارة المخابرات البريطانية تضيف إلى مرتب أنطون يعقوب مبالغ اضافية علاوة على المرتبات نظير هدايا رمزية يقدمها أنطون يعقوب إلى بلبل هذا . ولكن المبالغ التى يتسلمها جو دائما مآلها إلى جيبه تماما كما يحدث بالنسبة لمرتب أنيس .

بعد القبض على أنطون يعقوب ، قرر أن بلبل هذا الأستاذ أحمد طاهر الخشاب المحامى وعضو مجلس الارشاد للأخوان المسلمين وتربطه به صداقة بحكم توكيله له فى بعض القضايا الخاصة به ، إلا أن الأستاذ الخشاب لا يعرف شيئاً أطلاقاً عن نشاطه السرى لحساب إدار المخابرات البريطانية .

ظهر ضمن مرتبات الشبكة الشهرية المسلمة إلى المستر سوينبرن خلال شهر يوليو (حيث يسافر صموئيل بك عطية المترجم إلى لبنان) ، ظهر إيصال لمندوب جديد أسمه الحركى « بيرسيغال » وكان يتقاضى خمسة عشر جنيها (عام ١٩٥٤) حيث تسلم سوينبرن هذا المندوب مؤقتاً بدلاً من صموئيل عطية .

لذلك أعدت فرض مراقبة دقيقة على المستر سوينبرن وفى مساء أحد الأيام وحوالى الساعة الخامسة مساء نزل سوينبرن من منزله وركب سيارته واتخذ مساراً جديداً عكس خط سيره المعتاد واتجه إلى كورنيش النيل بمنيل الروضة حيث تهادت سيارته فى مكان هادىء تماما ، توقف فجأة وأقترب من السيارة شخص ضخم يرتدى الملابس البلدية وعليها بالطو أصفر وطربوش وصعد بسرعة بجوار المستر

سوينبرن حيث أنطلقت بهما السيارة وفى نفس الطريق وبعد حوالى مائتى متر توقفت السيارة مرة أخرى ونزل منها الشخص المذكور ، ثم اتجه المستر سوينبرن بعد ذلك إلى مكتبه بعمارة الايموبيليا حيث وكالة الأنباء العربية .

تابع المساعدان أحمد عبد الغنى ومحمد أنيس هذا الشخص حتى مكان أقامته بامبابة وأتضح أنه يدعى حسن أحمد الصعيدى ، ووضح من تقارير المخابرات البريطانية أنه يعمل حامل رسائل سرية . ويتم اللجوء إلى خدماته فى حالة الطوارىء إذا كان هناك خطورة من الاتصال المباشر بالمندوبين السريين . وهذا المرتب الذى يتقاضاه مكافأة شهرية نظير أنه يعمل كمندوب سرى احتياطى للطوارىء . وكان اسمه الحركى « بيرسيغال » كما جاء فى كشف مرتبات الشبكة . وبهذا نكون قد نجحنا فى كشف النقاب عن شبكة المستر سوينبرن بكاملها .

الفصل الثامن :

المخابرات البريطانية تواجه التحدى

سبق أن ذكرت أن صلاح محمد على سكرتير المستر توم ليتيل مدير وكالة الأنباء العربية بالقاهرة ، والتى تعتبر جبهة أمامية لإدارة المخابرات البريطانية ، لم يكن يعلم شيئاً عن نشاط المستر سوينبرن نائب مدير الوكالة ، وكان يجهل تماماً كل ما حدث للقضية من تطورات . وأما بالنسبة لتعاونه معنا ، فقد تجمد موقفه فى مساعدتنا فى الحصول على التقرير السرى نصف الشهرى الذى يحرره المستر توم ليتيل ويرسله إلى السفير البريطانى ورجال المخابرات البريطانية داخل السفارة بالقاهرة كما يرسل صوراً منه إلى شركتى « شل » و « ICI » وكان صلاح يفتح خزينة المستر توم ليتيل كلما سنحت له الفرصة بذلك للبحث عن أى جديد .

كنت أقوم بدورى باستلام التقارير السرية من صلاح وتصويرها واعيدها له – ثم أقوم بتسليم النسخة المصورة إلى العميد يوسف القفاص مفتش المباحث العامة لفرع القاهرة ، ولا أعرف شيئاً عنها بعد ذلك نظراً لانشغالى الشديد بالقضية ، والذى كان يشرف عليها البكباشى حسن بلبل بإدارة المخابرات الحربية .

فجأة اتصل بى صلاح محمد على وطلب منى مقابلته لأمر مهم وعاجل بفندق هليوبوليس بالاس بمصر الجديدة . توجهت إليه فى الميعاد لأسمع منه المفاجأة الكبرى .

المخابرات البريطانية تعرف بأمر اختراقنا لوكالة الأنباء العربية وحصولنا على التقارير السرية نصف الشهرية – ثم بادرنى صلاح بالسؤال التالى :

كم فرداً يعلم بعملية التقارير السرية نصف الشهرية الخاصة بوكالة الأنباء العربية ؟

أجبت صلاح أنهم لا يتعدون أصابع اليد . فطلب منى أن أعدهم – فقلت له – أنا وأنت والمساعد محمد أنيس والعميد يوسف القفاص واللواء عبد العظيم فهمى مدير المباحث العامة « مباحث أمن الدولة حالياً » ثم الرئيس جمال عبد الناصر وبعده زكريا محيى الدين وزير الداخلية .

فقال لى : الا يوجد آخرون ؟ فأخبرته بأنه لا يوجد آخرون بقدر علمى . فقال وأين تحفظ التقارير بعد الاطلاع عليها . فقلت له أن العميد يوسف القفاص أخبرنى أن التقارير السرية بعد العرض باليد تحفظ بالأرشيف السرى برئاسة المباحث العامة التابع للواء عبد العظيم فهمى .

فقال لى : هل تشك فى وطنية أحد ممن ذكرت لى اسماءهم ؟

فأجبته بالنفى : فقال لى : أسمع هذه الحكاية :

طلب منى المستر توم ليتيل ان أرافقه إلى بار ومطعم « الارميتاج » أسفل عمارة الايموبيليا ودعانى على كأس من الويسكى . ذهبت معه . وبعد أن شربنا بضعة كئوس ، دار الحديث بالتالى :

توم ليتيل : هل تعرف يا صلاح أن التقارير السرية التى نكتبها قد تسربت إلى وزارة الداخلية ، وهذا أمر خطير – علما بأن هذه التقارير لا يعلم بأمرها أحد سواى وسواك والميستر سوينبرن .

صلاح : طبعاً لا يمكن أن تكون أنت أو المستر سوينبرن قد أبلغ وزارة الداخلية بهذه التقارير – لا بد أن يكون أنا الذى قمت بالابلاغ .

المستر ليتيل : فى الحقيقة أننى فى حيرة شديدة من أمرى ، لأنى أعرف انك شخص مخلص وخدمت معى مدة طويلة بكل أمانة وأخلاص ، الا أننى لا أدرى كيف أمكن لوزارة الداخلية الحصول على هذه التقارير .

صلاح : لماذا لا تكون التقارير قد تسربت عن طريق جهة أخرى كشركة شل أو الـ « ICI » أو السفارة البريطانية نفسها ، حيث ان كل هذه الجهات تحصل على صور من التقرير .

توم ليتيل : مستحيل ، حيث أن السفارة البريطانية تؤكد لى أن هذه التقارير حصلت عليها وزارة الداخلية من وكالة الأنباء العربية .

صلاح : ألم يدخل فى حسابك العامل الذى يعمل على آلة الرونيو ويقوم بطبع هذه التقارير الا يحتمل أن تكون التقارير قد تسربت عن طريقه .

توم ليتيل : يجوز ! وعلى اية حال فالأيام القادمة سوف تجيب عن كل هذه الأسئلة .

تعجبت حقاً من هذه القصة الطارئة والتى لم تكن فى الحسبان ، وشعرت بصدمة نظراً لأنها كفيلة بتدمير كل هذا الجهد الذى بذل على مدى شهور طويلة .

داهمتنى الأفكار والشكوك ، وحاولت عبثاً طردها خاصة ان الموضوع يتصل اتصالاً مباشراً بمستقبل صلاح ووظيفته التى سوف لا يمكننى تعويضها له . كما أننى لم أكن أحب ان يضار صلاح بسبب تعاونه معى من أجل مصر ، ويتضور هو وأولاده جوعاً .

ولكن رغم ثقل همومى ، حاولت رفع روحه المعنوية ، وطلبت منه أن يهدأ وأن نفكر معاً فى هدوء . وسألته ربما يكون المستر توم ليتيل ادعى هذه القصة إذ ربما يكون قد شعر بأن أدراج مكتبه تفتح فى غيابه – فقال لى صلاح أنه يطبق اجراءات الأمن بكل دقة .

كنت قد أعطيت صلاح محمد على فكرة عن بعض اجراءات الأمن التى يتخذها إذا ما فتح أدراج مكتب المستر توم ليتيل للحصول على التقارير السرية ، إذ ربما يقوم بعمل خداع ليتأكد عما إذا كان مكتبه يفتح فى غيابه من عدمه ، كأن يضع مثلاً جسما دقيقاً كشعرة على الصفحة الأولى من التقرير ، فإذا ما أخذ صلاح

التقرير لتصويره ، لا يعطى بالاً للشعرة فتسقط ، وهنا يعرف توم ليتيل أن شخصاً ما فتح درج مكتبه وعبث بالتقارير السرية .. هكذا .. ولكن صلاح أكد لى أنه كان يقظاً جداً دائماً ، وأنه يميل إلى تصديق المستر توم ليتيل عن قصة السفارة البريطانية .

حاولت تهدئة صلاح بكل ما أمكننى من جهد وتركته على أن أبحث الموضوع مع رئاستى ، وطلبت منه أن يبدو طبيعياً أمام المستر توم ليتيل .

وتركت صلاح وقد أثقلتنى الهموم ، وبدأت استعيد بذاكرتى سير العملية ، وعلاقة صلاح بها وأنه هو الباعث والمحرك لها . كما بدأت أسأل نفسى ، وقد هاجمتنى الظنون ، من ان يكون صلاح قد أصابه الملل والخوف على مستقبله من الاستمرار فى العملية والتى طال مداها شهوراً طويلة مضت ، ولشهور طويلة قادمة والله وحده يعلم متى سوف تنتهى – والعمل السرى يحطم الأعصاب ؟

هل يكون صلاح قد افتعل القصة لكى يتنصل من الاستمرار فى العملية ، ولكننى سرعان ما أعود إلى نفسى لاقنعها بأن صلاح كان دائماً صادقاً معى – وعلى فرض أنه قد ضادق ذرعاً من الاستمرار فى هذا العمل السرى الذى لا شك يطرق بمطارق ثقيلة على الأعصاب ، لكان أسهل له أن يفصح لى عما يدور فى عقله وقلبه بكل صراحة دون مواربة وسوف أكون له نعم الأخ والصديق والناصح الأمين فلا أكراه من مثل هذه الأعمال التى لا تستمد دافعها وقوتها المحركة الا من الوطنية الخالصة النقية لوجه الله ومن أجل مصر .

استبعدت كل هذه الشكوك بسرعة وأعود إلى تصديق رواية صلاح محمد على ، وعلينا أن نواجه هذه المشكلة التى جدت علينا بقلوب مؤمنة .

رأيت أن أضع العميد يوسف القفاص فى الصورة بالنسبة لواقعة تسرب المعلومات من المباحث العامة ، خاصة أن الأشخاص الذين يتداولون التقارير السرية الخاصة بوكالة الأنباء العربية معدودون ويمكن حصرهم بسهولة .

من مناقشتى له اتضح انه يقوم بتسليم التقرير الذى أسلمه له باليد إلى اللواء عبد العظيم فهمى مدير المباحث العامة – كما اتضح ان اللواء عبد العظيم فهمى يكلف مدير مكتبه بكتابة خطاب سرى للغاية ويرفق بالتقرير ثم يتوجه إلى السيد وزير الداخلية – وبعد اطلاع الوزير عليه يعيده إلى اللواء عبد العظيم فهمى – ثم يحفظ بالأرشيف السرى لرئاسة المباحث العامة .

ولكن العقيد محمود الحمزاوى والذى كان يرأس مكتب شئون الأجانب بالإدارة العامة للمباحث العامة وهو من ضباط القلم السياسى ، وهو المسئول عن الأرشيف السرى ، أكد باصرار بأن جميع موظفى الأرشيف السرى ، لا ينطرق إليهم أدنى شك . لم نصل إلى شىء فيما يختص بعملية تسرب المعلومات من المباحث العامة إلى السفارة البريطانية ، ووصلنا إلى طريق مسدود .

همهمة فى المباحث العامة :

ومما يبعث على القلق ، أن موضوع وكالة الأنباء العربية والذى كان غير معروف الا للرئاسات العليا فقط داخل جهاز المباحث العامة ، بدأ يتداول بين الضباط وخرج من دائرة السرية المطلقة إلى دائرة الأضواء بأمل الوصول إلى مصدر تسرب المعلومات .

ومما زاد الطين بلة قيام بعض العناصر من ضباط المباحث العامة ممن يشغلون مناصب كبيرة بوضع المستر توم ليتيل مدير وكالة الأنباء العربية سراً تحت المراقبة بهدف كشف نشاط المستر توم ليتيل وبالتالى معرفة ما أقوم به من نشاط ، بغية أن يكون لهم قدم السبق فى هذا الكشف والفوز بالوليمة – كل هذا تم دون علم من اللواء عبد العظيم فهمى مدير المباحث « مباحث أمن الدولة حاليا » .

ليتيل تحت المراقبة :

فرضت المراقبة على المستر توم ليتيل دون علمنا – وعرفت بأمر هذه المراقبة عن طريق الصدفة ، حيث أن عملية المراقبة لم تكن على المستوى المطلوب فى مثل

هذه العمليات السرية بالغة الحساسية – وقام بكشف المراقبة أحد خفراء عمارة الايموبيليا . حيث كان أحد المساعدين الذين يعملون معى قد تصادف جلوسه بجوار الخفير المذكور داخل ممر عمارة الايموبيليا . وكان الخفير يعتقد أن المساعد يعمل ساعيا باحدى الشركات فى العمارة . كان هذا الخفير على وفاء كبير للمستر توم ليتيل ، حيث كان الأخير كريماً معه – وكان يجزل له العطاء فى جميع المناسبات المختلفة كأعياد المسلمين وأعياد المسيحيين على السواء . لذلك أفصح الخفير لمساعدى عبد الغنى . انه لاحظ أن المباحث تراقب المستر توم ليتيل ، وأنه سوف يخبر المستر ليتيل بشأن هذه المراقبة ، وسوف يحصل منه على عيدية كبيرة بمناسبة العيد الكبير ، والذى كان على الأبواب .

سارع المساعد عبد الغنى بابلاغى بما يعتزم الخفير القيام به ، وكان الخفير قد التقط أرقام سيارة المباحث التى تقوم بعملية المراقبة وذلك لكى يعطيها إلى المستر توم ليتيل خدمة له وحتى يتحقق بنفسه من انه موضوع تحت المراقبة .

وجدت أنها فرصة ذهبية قد سنحت لنا لإعادة الثقة بصلاح ، فسارعت بإبلاغه بموضوع المراقبة وطلبت منه أن يخبر المستر توم ليتيل بنفسه بأنه مراقب وأعطيته رقم السيارة التى تراقبه وأوصافها ولونها وأخبرته ان يدّعى للمستر توم ليتيل انه لاحظ منذ يومين متعاقبين أثناء وقوفه فى نافذة الوكالة أن هذه السيارة تتعقبه ، كما قرر له أن السيارة حاليا تقف أمام العمارة انتظاراً لخروجه . وكنت قد تأكدت شخصياً من تعقب السيارة للمستر توم ليتيل ولكن بطريقة خفية دون أن يشعر الطاقم الذى يقوم بالمراقبة بذلك .

أبلغ صلاح المستر ليتيل بكل هذه المعلومات – وعندما نزل المستر توم ليتيل من مكتبه وخرج بسيارته من الجراج إلى شارع شريف تأكد له صدق رواية صلاح .

كنت فى نفس الوقت قد تصرفت بسرعة وأرسلت أحد المساعدين إلى خفير العمارة يطلب منه التوجه فوراً إلى إدارة المباحث العامة ، هادفاً من ذلك الحيلولة

دون اتصال الخفير بالمستر توم ليتيل عند نزوله إلى الجراج ليفضح له أمر المراقبة وأمام مبنى المباحث العامة تقابل مع الخفير أحد المساعدين « مصطفى » وتوعده بالا ينقل أخبار المباحث إلى الإنجليز – وبهذا فرضنا على الخفير الصمت وأمكن بذلك أمن جانبه من الثرثرة وأتلاف مخططنا .

من ناحية أخرى شكر المستر ليتيل لصلاح محمد على شعوره نحو باعتباره سكرتيره الأمين – الذى يسهر على مصلحته – وعادت الثقة بينهما من جديد بفضل عملية كشف مراقبة المباحث العامة له .

تعليمات جديدة من المخابرات البريطانية :

نظراً لكل ما حدث ، وبعد تسرب عملية التقارير السرية التى يحررها المستر توم ليتيل والتى تحصل عليها إدارة المخابرات البريطانية وكشفها للعملية السرية التى تقوم بها – فقد صدرت تعليمات من المخابرات البريطانية إلى المستر توم ليتيل بإيقاف طبع التقارير السرية نصف الشهرية – وعمل تقارير جديدة نصف شهرية غير سرية أى خالية من المعلومات السرية ، على أن يقوم المستر توم ليتيل بأرسال نسخة منها إلى السيد على صبرى مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر .

وبالفعل – بعد أن قام المستر توم ليتيل بطبع التقرير نصف الشهرى فى صورته الجديدة العلنية ، توجه إلى مكتب السيد صبرى بمقر رئاسة مجلس الوزراء ، وأخبره برغبته فى أرسال نسخة من تقاريره نصف الشهرية له بانتظام لما قد يحتويها من معلومات قد تهمه « أى السيد على صبرى » وتهم الرئيس جمال عبد الناصر ، وترك له النسخة الأولى من التقرير نصف الشهرى الجديد ، ووعده بأنه سوف يرسل إليه نسخة بشكل منتظم من هذا التقرير مرة كل أسبوعين .

وانتهز المستر توم ليتيل هذه الفرصة وشكى إلى السيد على صبرى بأمر المراقبة المفروضة عليه . وترك له رقم السيارة التى تقوم بمراقبته ، ورجاه ان يأمر برفع هذه المراقبة حفاظاً على سمعته الصحفية وبالفعل صدرت الأوامر لإدارة المباحث

العامة برفع المراقبة عن المستر توم ليتيل ، فرفعت فى الحال بأمر من السيد على صبرى شخصياً .

وهكذا عادت المياه إلى مجاريها بين المستر توم ليتيل وصلاح محمد على سكرتيره الخاص ، وأستمر العمل هادئاً بينهما ، بل زدات ثقة المدير بسكرتيره صلاح إلى الدرجة التى كان يستطلع فيه رأيه فى أخص خصوصياته .

كانت إعادة الثقة بينهما هى شغلى الشاغل بعد مشكلة تسرب المعلومات إلى السفارة البريطانية .

كما واجهت المخابرات البريطانية بسرعة وذكاء عملية اختراق المخابرات المصرية لوكالة الأنباء العربية وقامت بحرق العملية ببساطة وذلك بتحويل التقارير السرية إلى تقارير علنية رسمية لترسل صورة من التقرير إلى رئاسة مجلس الوزراء .

وكانت النهاية السعيدة لعملية التقارير السرية .نصف الشهرية لوكالة الأنباء العربية – وهو صدور قرار بنقل صلاح محمد على فعلاً إلى السودان وتسلم عمله بالوكالة هناك ترقية له وثقة فيه .

الفصل التاسع :

من هو العقل المدبر ؟

سبق أن أوضحت سابقاً أن حلقة الاتصال بين المستر سوينبرن وشبكته من جانب ورئاسة إدارة المخابرات البريطانية من جانب آخر هو المستر ستانبرى السكرتير الثانى بالسفارة الإنجليزية . فهو الذى يتولى تسليم المستر سوينبرن تعليمات إدارة المخابرات البريطانية الخاصة بالشبكة التى يديرها . كذلك المرتبات الشهرية لهؤلاء العملاء . وفى نفس الوقت يتسلم من المستر سوينبرن ما تحصل عليه الشبكة من معلومات .

كان اعتقادى دائماً بالنسبة لهذا الدبلوماسى البريطانى أو ممثل جهاز المخابرات البريطانية داخل السفارة البريطانية بالقاهرة أن عمله السرى أكثر إتساعاً من أن يكون مقصوراً على المستر سوينبرن وحده . أى لا بد أن يكون هناك إنجليز آخرون يقوم بالاشراف على عملهم السرى . لذلك قررت زرع أحد المساعدين الأكفاء وهو أنور حلمى شعبان ، مع بوابى العمارة التى يقيم فيها المستر ستانبرى بشارع الكامل محمد – ١ بالزمالك – تحت ساتر أنه يعمل مخبراً بمكتب حماية الآداب ويقوم بمراقبة شقة سيدة أجنبية تقيم بالعمارة المقابلة نظراً لورود شكاوى عديدة ضدها بأنها تدير شقتها لأعمال منافية للآداب وقد أمكن المساعد أنور شعبان من تسجيل اتصالات المستر ستانبرى وكافة المترددين عليه – فى أوقات مختلفة ليلاً ونهاراً وتمكنا من حصر الشكوك فى ثلاثة أشخاص ثبت ترددهم بشكل منتظم عليه – كذلك ثبت ترددهم على منزل مدير المخابرات البريطانية أوليفر جون . والذى كان

يقيم بشارع المعهد السويسرى بالزمالك بالقاهرة والذى فرضت مراقبة ثابتة على منزله هو الآخر . وهؤلاء الثلاثة هم :

١ - المستر ثونتون ستانلى ويعمل نائب المدير العام لشركة البرودنشيال للتأمين . ويقيم بالزمالك بشارع محمد مظهر رقم ٣٤ .

٢ - المستر بوسيفال رن مدير العلاقات العامة بشركة شل وأبار الزيوت البريطانية ويقيم بعمارة ليبون ١٩ بشارع الجبلاية بالزمالك .

٣ - الأسقف جونسون راعى الكنيسة الإنجليزية بشارع ماسبيرو بكورنيش النيل « وقد هدمت بسبب اعتراضها كوبرى أكتوبر وأقيم بدلاً منها ابراشية بالزمالك » بشارع لطف الله أمام فندق الميرديان .

وتجد الإشارة هنا أنه سبق أن ورد أسم واحد فقط من الثلاثة ضمن من يتسلمون التقارير السرية لوكالة الأنباء العربية من المستر توم ليتيل وهو المستر كريستوفر رن مدير العلاقات العامة بشركة شل . حيث كان يتردد بانتظام على مكتب المستر توم ليتيل لاستلام التقرير نصف الشهرى بنفسه .

كنت فى حيرة من أمرى ، وكنت متردداً على من يقع الاختيار لابدأ عليه العمل بالنسبة لهؤلاء الثلاثة . فلا شك أن هناك نشاطاً ما وراء كل واحد منهم ، نظراً لانتظام ترددهم على أهم ضابطين من ضباط المخابرات البريطانية والذين يتسترون وراء الساتر الدبلوماسى وهما المستر أوليفر جون السكرتير الأول بالسفارة ومدير جهاز المخابرات بها — والمستر ستانبرى السكرتير الثانى بالسفارة .

وبينما أنا غارق فى حيرتى ، قامت المخابرات البريطانية مشكورة بحسم الموقف . واختارت هى لى أحد الثلاثة لكى أبدأ به مشواراً جديداً فى العمل السرى . وكان لذلك قصة .

زيارة من لندن :

بينما كنت منهمكا فى مراقبة المستر جيمس سوينبرن خلال شهر يوليه وأغسطس

وهى الفترة التى سافر فيها صموئيل بك عطية « مارك » مترجم الشبكة وتولى سوينبرن مهام عمله كتعليمات تلقاها من المخابرات البريطانية – علاوة على عمله الأصلى ، وحوالى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، فى يوم شديد الحرارة وقفت فجأة سيارة المستر ستانبرى ضابط المخابرات والسكرتير الثانى بالسفارة على بعد حوالى خمسين متراً من منزل المستر سوينبرن وترجل منها رجل إنجليزى كان يجلس بجوار ستانبرى فى السيارة – وكان واضحاً من هيئته أنه وصل حديثاً من الخارج حيث كان يرتدى بذلة كاملة وقبعة خضراء اللون على غير المألوف لما يرتديه أعضاء الجالية الإنجليزية الذين يقيمون فى مصر فى هذا الوقت من العام . كان طويل القامة . نحيف الجسم يبلغ من العمر حوالى الخمسين عاماً .

أنصرف المستر ستانبرى بسيارته بينما تابع الإنجليزى المذكور سيره حتى دخل منزل المستر سوينبرن وصعد إلى شقته . فوجئنا بعد قليل بوصول الناظر السيد أمين محمود « بول » على غير موعده الذى أعتاد الحضور فيه وصعد أيضاً إلى شقة المستر سوينبرن . وبعد حوالى ربع ساعة فوجئنا بنزول المستر سوينبرن مرتديا القميص والبنطلون ومعه كلبه . وتجول مع الكلب حوالى ربع ساعة فى الشوارع المحيطة لمنزله ثم صعد ثانية .

عجبت من أمره فقد ترك الزائر الإنجليزى برفقة الناظر وحدهما فى الشقة . وبعد حوالى الساعة نزل الناظر عائداً إلى منزله أما الزائر الإنجليزى فانصرف بعد الناظر بدقائق وسار على قدميه إلى شارع فؤاد « ٢٦ يوليو » فى الزمالك – ووقف قليلاً على الرصيف المقابل لنادى القوات المسلحة ، ثم أخرج من جيبه خريطة لمدينة القاهرة وظل يطالعها ثم وضعها فى جيبه ، ثم أستقل تأكسى من تقاطع فؤاد وحسن صبرى واتجه به إلى داخل الزمالك ثم أوقفه أمام العمارة رقم ٣٤ بشارع محمد مظهر وصعد إلى الدور الرابع حيث يقيم المستر جون ثورنتون ستانلى نائب المدير العام لشركة البرونشيال للتأمين وأحد المترددين الثلاثة على كل من ضابطى المخابرات البريطانية أوليفر جون والمستر ستانبرى الأول سكرتير أول السفارة والثانى

سكرتير ثان بها ويتخذان الساتر الدبلوماسى كغطاء لعمل المخابرات . صعد الزائر الإنجليزى كما قلت إلى شقة المستر ستانلى ، واتضح أن المستر ستانلى لم يكن موجوداً فى شقته فى ذلك الوقت حيث وصل بعد دقائق من وصول الزائر الجديد .

مكثا معاً عشر دقائق ، ثم نزلا حيث استقلا سيارة المستر ستانلى وتوجها مباشرة إلى شارع لطف الله بالزمالك ودخلا العمارة رقم ٦ – والتى تقع أمام قصر لطف الله المطل على النيل « مكانه حالياً فندق ماريوت » – ودخل الرجلان شقة بالدور الأرضى . وبعد دقائق غادر المستر ستانلى هذه الشقة ، تاركاً الزائر الإنجليزى الغامض وحده فيها . ومكث الزائر الغامض فى هذه الشقة ما يقرب من ساعتين ثم خرج واستقل تاكسى إلى بنسيون كورنال كورت بالزمالك بشارع العزيز عثمان ٦ وبالكشف فى البنسيون على قائمة النزلاء اتضح أنه تم تسجيل الزائر المذكور تحت اسم المستر فيليب هوينتاكر براندبيرن بريطانى الجنسية – حضر منذ ثلاثة أيام بجواز سفر خاص .

واضح أن الإنجليزى المذكور ، شخصية مهمة بجهاز المخابرات البريطانية بلندن بدليل اتصالاته السابق الاشارة إليها – أولاً بالمستر ستانبرى ضابط المخابرات بالسفارة ثم المستر جيمس سوينبرن ثم ناظر المدرسة « بول » ثم أخيراً بالمستر ستانلى وما تبعه من اتصال رابع بقاطن الشقة بالدور الأرضى بشارع لطف الله ٦ بالزمالك جميع اتصالاته بشخصيات تعمل فى حقل العمل السرى والمخابرات البريطانية . بمراقبة المستر فيليب براندبيرن – الزائر الجديد – غادر فى اليوم الثانى البنسيون إلى مبنى السفارة البريطانية بشارع الطلمبات بجاردن سيتى ١٠ وهو مبنى مستقل عن مبنى السفارة – وكان خاصا بضباط المخابرات البريطانية الذين يعملون فى مصر تحت الساتر الدبلوماسى وبعض موظفى الشئون الإدارية . مكث هناك حتى الظهر ثم عاد إلى البنسيون الذى ينزل فيه . وفى اليوم التالى توجه إلى دار الآثار حيث أخذ أحد التراجمة وتوجه إلى القلعة والأهرامات . وفى المساء توجه إلى منزل المستر دونالد كوكس نائب مدير هيئة المخابرات بالسفارة البريطانية ، حيث كان قد أقام حفل عشاء حضره رجال المخابرات بالسفارة البريطانية بالقاهرة .

وفى اليوم التالى غادر مصر عائداً إلى بلاده .

ولكن ما هى مهمة المستر فيليب براندبيرن ؟

لقد اتضح من واقع المستندات التى حصلت عليها بعد ذلك أن المستر فيليب براندبيرن من كبار ضباط المخابرات البريطانية فى المركز الرئيسى بلندن - ويشرف على أعمال القسم الفنى - وحضر إلى مصر للتفتيش على سير العمل السرى فى مصر ولتدريب العملاء الرئيسيين الذين يديرون الشبكات السرية السيد أمين « بول » وغيره على طريقة كتابة الخطابات بالحبر السرى وإظهار الكتابة السرية بالوسائل الكيماوية - كذلك تدريب ضباط المخابرات البريطانيين كالمستر جيمس سوينبرن وستانلى وغيرهم على ذلك . حتى يمكنهم بدورهم تدريب العملاء السريين الذين لم يتح الوقت والظروف للمستر فيليب براندبيرن تدريبهم بنفسه .

كذلك كان المستر فيليب يراجع اجراءات الأمن التى ينفذها ضباط المخابرات وأى ثغرات تراءت له فيها . فمثلاً قام المستر سوينبرن على أثر زيارة المستر فيليب له فى شقته ، بتغيير مكان غرفة مكتبه والتى كانت تطل على شارع فؤاد بالزمالك والتى كان من السهولة كشف ما يجرى بها من أى عمارة مقابلة ، وبالتالى كشف المترددين عليه من عملائه السريين - فنقلها إلى الصالة الداخلية للشقة بعيداً عن عيون أى رقيب - وذلك زيادة فى تأمين نشاطه السرى وحماية لعملائه السريين .

ثم تلت زيارة المستر فيليب براندبيرن أن تسلم المستر سوينبرن معدات للكتابة السرية والتى أرسلها المستر فيليب عقب وصوله إلى لندن بالحقيبة الدبلوماسية كانت هذه المعدات عبارة عن ورقة سميكة من الكربون الأبيض - وهى تشبه ورقة النشاف الأبيض - وفى حجم الفولسكاب وعلى أحد سطحيها المادة الكيماوية - وعند الكتابة توضع ورقة الكربون فوق الخطاب المراد إرساله . وبالضغط على ظهر الكربون بقلم حبر جاف « خال من الحبر » تنطبع المادة الكيماوية على سطح الخطاب المراد ارساله - ولكن نتيجة آثار الضغط على الكربون لا ترى على سطح

الرسالة بالعين المجردة – لأن المادة الكيماوية التى على سطح ورق الكربون الأبيض تتكون من كريستالات ميكروسكوبية دقيقة للغاية وعديمة اللون .

وعن طريق الكتابة باستخدام الحبر السرى يمكن للعميل كتابة المعلومات السرية التى يحصل عليها على ظهر ورقة خطاب عادى ثم يقوم على الصفحة الأخرى بكتابة خطاب عادى بالحبر أو القلم الجاف العادى موجهة إلى المرسل إليه وأن يكون مضمون الكتاب متمشيا مع طبيعة عمل المرسل إليه . فإذا كان تاجراً مثلا تكتب فى الخطاب على الصفحة « البريئة » معلومات تجارية كالاستفسار عن البضائع وأسعارها وما إلى ذلك ، ثم يقوم العميل بالتوقيع على الخطاب « البرىء » باسم معين سوف يكون معروفا لدى المرسل إليه والذى لا بد أن يكون هو الآخر عميلاً سرياً للمخابرات البريطانية . فبمجرد أن يطلع المرسل إليه على أسم الموقع على الخطاب – سوف يعرف أن الخطاب يحوى حبراً سرياً وكتابة سرية – فعليه حينئذ أن يسلمه فوراً إلى مندوب المخابرات البريطانية الذى سوف يتولى معالجة الخطاب بمواد كيماوية لإظهار الكتابة السرية والحصول على المعلومات المكتوبة بالحبر السرى .

أرسل المستر فيليب برانديبرن مع الكربون الأبيض اقراصاً بيضاء فى علبتين ، الأولى برمز إليها بالحرف A والثانية يرمز إليها بالحرف B فإذا أذيب القرصان فى الماء « واحد من أ + واحد من ب » ينتج عنهما محلول كيميائى لإظهار الحبر السرى المكتوب على الرسالة ، وتغمس قطعة من القطن فى المحلول ثم تمرر فوق سطح الخطاب الذى عليه الكتابة السرية ويعمل المحلول على إظهار الكتابة وتصبح واضحة ومقروءة .

ظهور شبكة مراسلين فى بيروت :

صدرت التعليمات للشبكة بالتدريب على كتابة الخطابات السرية وارسالها إلى العناوين السرية التى تم تحديدها لكل منهم فى بيروت على سبيل التدريب حسب الترتيب التالى :

بول أو السيد أمين محمود – ناظر المدرسة :

يراسل شخصياً فى لبنان ويرسل خطاباته السرية على عنوانه ، ويدعى شفيق الحص ويقيم بعمارة تبارك بزقاق البولاط – بيروت ، وكانت التعليمات إلى بول تفرض عليه أن يبدأ كل رسالة بعبارة أخى العزيز شفيق ، وكان على الرجل بمجرد أن ترد إليه رسالة تحمل هذه العبارة أن يبادر بإرسالها دون أن يفتحها إلى مندوب المخابرات البريطانية الذى يعمل لحسابه فى لبنان .

أما « بيل » أو محمد عبيد فيتراسل مع شخص فى بيروت باسم توفيق فرح بشارع فوش بيروت ، وكانت التعليمات التى تلقاها عبيد تقتضى أن يتخذ تجارة السكر مادة لرسائله إلى هذا التاجر ، وأن يوقع على الرسائل باسم عبد الله وسوف يقوم التاجر بدوره بتسليم الرسائل إلى مندوب المخابرات البريطانية الذى يعمل تحت رئاسته فى بيروت .

وانطون يعقوب « جون » عليه أن يوجه رسائله إلى شخص باسم نيقولا شحاد ، وعنوانه بمبنى بطرس سبورتس فى شارع البطريرك حايك ببيروت وعليه أن يوقع رسائله باسم ناصف حمدى .

أما صموئيل عطية المترجم « مارك » فقد طلب منه أن يتراسل باللغة الفرنسية ، ويراسل شخصاً باسم خليل وأميل جيرالدينى ببيروت .

وكان مندوبو المخابرات البريطانية ببيروت يجمعون هذه الرسائل وترسل عن طريق الحقائب الدبلوماسية إلى لندن حيث يقوم المستر فيليب براندبيرن بالاطلاع عليها وفحصها فنياً ، ثم يبدى عليها ملاحظاته – كل خطاب على حدة ثم يعيدها بالحقيبة الدبلوماسية إلى ضباط المخابرات البريطانية بالسفارة البريطانية بالقاهرة ، فيقوم ضباط المخابرات بدورهم بإعادة الخطابات عن طريق مندوبيهم إلى العملاء السريين الذين قاموا بتحريرها ومرفق بكل رسالة تقرير بملاحظات المستر براندبيرن عن الأخطاء الفنية التى ارتكبها محرر الرسالة .

وبذلك تم تدريب جميع العملاء السريين على الكتابة بالحبر السرى إلى عناوين تحددت لكل منهم وذلك لتطبيق كل هذا فى حالة الطوارىء وفى حالة تردى العلاقات بين مصر وبريطانيا والذى قد يتم معها ترحيل الرعايا البريطانيين من مصر ، وتستمر المعلومات فى التدفق عن طريق الخطابات السرية إلى بيروت .

من هو الثانى بعد سوينبرن ؟ :

نعود حيث بدأت ، حينما كنت فى حيرة من أمرى ، متردداً على من يقع اختيارى لابدأ به العمل بالنسبة للبريطانيين الثلاثة الذين يترددون على مدير المخابرات البريطانية بالسفارة المستر أوليفر سانت جون السكرتير الأول ونائبه المستر ستانبرى السكرتير الثانى ، وكما سبق أن أوضحت أن هؤلاء البريطانيين الثلاثة هم :

١ – المستر جون ثورنتون ستانلى نائب مدير شركة البرودنشيال للتأمين .

٢ – المستر بيرسيفال كريستوفر رن – مدير العلاقات العامة بشركة شل وآبار الزيوت البريطانية .

٣ – المستر جونسون راعى الكنيسة الإنجليزية .

وقلت أن المخابرات البريطانية قامت مشكورة بحسم الموقف واختارت لى هى أحد الثلاثة ، وهذا الذى وقع عليه الاختيار هو المستر جون ثورنتون ستانلى نائب مدير شركة البرودنشيال للتأمين – وهو الرجل الذى زاره الإنجليزى الزائر براندبيرن – بعد أن زار المستر سوينبرن مباشرة لتدريب بول ، ناظر المدرسة على الكتابة بالحبر السرى .

جاء ذكر اسم ستانلى فى مناسبتين خلال عملنا بالمراقبات المفروضة بمعرفتنا على رجال المخابرات النشطين فى مصر ، المناسبة الأولى عندما تم تسجيل التردد المنتظم للمستر ستانلى على منزل المستر أوليفر سانت جون مدير المخابرات بالسفارة ، وعلى

منزل نائبه ستانبرى السكرتير الثانى بالسفارة والذى يقوم بتشغيل المستر سوينبرن فى نفس الوقت .

جاءت المناسبة الثانية عندما ساقت المقادير لنا الزائر الجديد براندبيرن مبعوث إدارة المخابرات البريطانية بلندن إلى القاهرة لتدريب الشبكات السرية على الكتابة بالحبر السرى ، كذلك التفتيش على عملها واجراءات أمنها .

أصبح واضحاً لنا تماما أن المستر ستانلى ضابط تابع لإدارة المخابرات البريطانية ولا بد أنه يدير شبكة كتلك التى يديرها المستر سوينبرن ، وعلى ذلك وقع اختيارى عليه لوضعه تحت المراقبة .

سبق أن ذكرنا أن المستر براندبيرن الزائر البريطانى والخبير فى الشئون الفنية ، قد زار المستر ستانلى بعد مغادرته لمنزل سوينبرن حيث استقل تاكسى إلى شارع محمد مظهر - ٣٤ وصعد إلى الدور الرابع حيث يقيم ستانلى - ولم يكن استانلى بسكنه ووصل من الخارج بعد بضع دقائق - ونزل ستانلى وبرفقته براندبيرن حيث قام ستانلى بقيادة سيارته ومعه ضيفه إلى شارع لطف الله - ٦ بالدور الأرضى بالزمالك ، حيث ترك ستانلى الزائر الإنجليزى بالشقة المذكورة وغادر هو المنزل المذكور وركب سيارته وانصرف ، وبعد ساعتين غادر الزائر الإنجليزى الشقة المذكورة إلى البنسيون الذى يقيم فيه . إذن ما هو سر هذه الزيارة الغامضة ، ومن الذى يقيم فى هذه الشقة الكائنة بشارع لطف الله - ٦ .

من هو أحمد السيد رمش ؟

قمنا بتحريات سريعة واتضح أن الذى يسكن فى هذه الشقة هو أحمد السيد رمش ويعمل مديراً لمكتب السيد حسين فهمى ، رئيس مجلس الإنتاج القومى ، وكان قبل ذلك يعمل مدير مكتب رئيس الوزراء على ماهر باشا وقبل ذلك مدير مكتب محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ عقب استقالة وزارة على ماهر باشا ، وهى

أول وزارة بعد الثورة ، عين أحمد السيد رمش مديراً لمكتب السيد حسين فهمى رئيس مجلس الإنتاج القومى بتوصية من على ماهر باشا ، والمذكور ينتمى إلى أحدى العائلات الكبيرة فى مصر ، وكان بحكم المناصب الخطيرة التى يشغلها أو كان يشغلها . كان محط اهتمام المخابرات البريطانية . كذلك نظراً لعلاقاته الواسعة بأوساط الطبقة الراقية ، وبعض ضباط القوات المسلحة وعدد كبير من الصحفيين ، فقد تم تجنيده للعمل لحساب إدارة المخابرات البريطانية .

بالتحرى من البواب عن أحمد السيد رمش أتضح أنه يشتهر بإسم أحمد بك السيد ، وأن الشخص البريطانى الذى يتردد عليه كل صباح - يقصد ستانلى - هو دكتور إنجليزى يكشف عليه ويقيس له ضغط الدم . وثبت من مراقبة ستانلى تردده يومياً تقريباً حوالى الساعة الثامنة صباحاً على سكن أحمد السيد قبل أن يتوجه إلى مكتبه بشركة البرودنشيال للتأمين .

كان أحمد بك السيد أو « فرانك » Frank ، كما كشفت الوثائق فيما بعد عن اسمه الحركى ، كان يتناول طعام الغداء يومياً على مائدة رئيس الوزراء على ماهر ، فى عوامته التى كان يعيش فيها ، والطافية على النيل فى شارع الجبلاية أمام النادى الأهلى بالزمالك ، كما كان يرافقه فى كافة تحركاته فى القاهرة وعند سفره إلى الاسكندرية ، وكانت زوجة أحمد بك السيد تقيم بصفة دائمة بالاسكندرية ، ويسافر إليها فى عطلة نهاية الأسبوع ويمضى معها يومى الخميس والجمعة ، ولم يكن له أولاد . كان يلعب القمار يومياً كل مساء حيث تتجمع يومياً الساعة التاسعة مساء فى مقهى نيو بار بميدان الأوبرا المجموعة ، أو الشلة ، التى سوف تلعب القمار ، ويتوجه الجميع أما إلى إحدى شقق الشلة أو إلى نادى الصحافة حيث يلعبون حتى ساعة متأخرة من الليل .

الفصل العاشر :

شبكة جديدة

يعتبر جون ثورنتون ستانلى من أبرز ضباط المخابرات البريطانية وله تاريخ مجيد خلال الحرب العالمية الثانية – وكان برتبة ميجور يتبع قوات الكوماندوز البريطانية – وقد انزلته غواصة بريطانية خلال الحرب العالمية الثانية على سواحل جزيرة كريت ليقود المقاومة السرية ضد الجيش الألمانى الذى كان يحتلها خلال الحرب .

متزوج من يونانية وتعرف على زوجته الكريتية الأصل واليونانية الجنسية خلال عمليات المقاومة السرية ضد الألمان بالجزيرة حيث كانت تشترك معه فى أعمال المقاومة السرية . ثم تحابا وتزوجا بعد الحرب – وكانت تقيم معه فى سكنه بشارع محمد مظهر رقم ٣٤ بالزمالك بالقاهرة .

وقد أثار حادث القبض على جون ثورنتون ستانلى فى قضية التجسس البريطانية فى القاهرة الاهتمام البالغ فى الصحف البريطانية دونا عن جميع الإنجليز الثمانية المتهمين فى هذه القضية . ونشرت الصحف البريطانية على صفحاتها الأولى بمانشيتات ضخمة أخبار القبض عليه – وقالت ان جو ثورنتون ستانلى أو الميجر ستانلى من أبطال الحرب العالمية الثانية – وقد انعم الملك عليه بنيشان البطولة العسكرية – تقديراً لأعماله الخارقة فى حقل الجاسوسية والمقاومة السرية ضد الألمان – واضافت أنه فى سنة ١٩٤١ كان ستانلى يعمل ضابطاً فى المخابرات البريطانية برتبة ميجور وأوفدته

فى مهمة للتجسس على الألمان وقت احتلال القوات النازية لها . وأنزلته غواصة بريطانية على ساحل كريت ليلاً . وظل يعمل فى المقاومة السرية مع مساعد له من أهل كريت يدعى خريستو ملنداركى – وفى ذات ليلة ، كان على موعد مع مساعده خريستو ملنداركى – ولكن مساعده لم يحضر فى الميعاد – وحضرت بدلاً منه فتاة فى السادسة عشرة من عمرها وتدعى ليلى ملنداركى – وأخبرته انها ابنة عم مساعده خريستو – كما أخبرته ان ابن عمها سوف لا يحضر لمقابلته ، حيث انه قتل بأيدى الألمان – وعرضت عليه العمل معه مكان ابن عمها ، فوافق – بعد الحصول على موافقة رئاسته فى لندن . وظلا يعملان معا فى ميدان الجاسوسية والمقاومة السرية ضد الألمان لمدة أربع سنوات – ثم تحابا وفى نهاية الحرب تزوجا طبقاً لتقاليد أهل جزيرة كريت حيث يجب أن تركب العروس حصانا أبيض عند ذهابها إلى مكان الاحتفال بعقد القران ، ثم سافر هو وزوجته إلى بريطانيا حيث عاشا فى شقة فى سوق كنسنجتون – ودرست زوجته الغناء وظهرت فى احدى فرق الأوبرا وغنت دور ميمى فى أوبرا « لابوهيمين » ثم انتقل الزوجان إلى القاهرة منذ أربع سنوات – حيث حدثت لهما دراما جديدة وهو القبض على رجل التأمين وبطل المخابرات أيام الحرب .

وتضيف صحيفة الديلى ميل ، ان استانلى أرسل زوجته وابنه « ينجيل » الذى يبلغ من العمر ثلاثة أشهر إلى بريطانيا – عندما بدأت أزمة السويس « انتهت أقوال الصحف البريطانية » والمستر ستانلى علاوة على عمله نائباً للمدير العام لشركة البرودنشيال للتأمين – فهو أمين صندوق نادى اليخت المصرى بالقاهرة وله – بفضل زوجته – علاقات اجتماعية واسعة فى أوساط المجتمع الراق فى القاهرة .

وثورنتون ستانلى يبلغ من العمر أربعين عاما – ذو بنية رياضية طويل القامة أشقر اللون ، ذو عيون زرقاء ، حاد النظرات كما يتمتع بذكاء حاد ، ويبدو أن الفترة التى قضاها فى عمله فى المقاومة السرية والجاسيوسية خلال الحرب العالمية أكسبته الكثير من الحرص – حيث كان يطبق تعليمات الأمن بالنسبة لاتصالاته

ونشاطه بكل دقة – وقد أمكننى الايقاع به ، ليس بسبب اخطائه ، ولكن بسبب أخطاء الآخرين من شبكته ، فهو داهية وشعلة من الذكاء والنشاط . لكل هذا فأنى أكن له كل الاحترام كضابط من ألمع ضباط المخابرات البريطانية الذين تعاملت معهم فى ميدان العمل السرى .

كان ستانلى يتخذ ساتراً لنشاطه السرى منصب نائب المدير العام لشركة البرودنشيال للتأمين . وهى منظمة أمامية خاصة لإدارة المخابرات البريطانية .

انتهزت فرصة وجود شقة مفروشة للإيجار بالدور الأول فوق الأرض بالعمارة التى يقيم بها ستانلى بشارع محمد مظهر ٣٤ بالزمالك حيث يقيم هو بالدور الرابع – وأستاجرت الشقة تحت أدعاء أننى تاجر من الاسكندرية ولى أعمال فى القاهرة – وكانت هذه الشقة تقع تحت شقة المستر ستانلى ولكنها بالدور الأول فوق الأرض .

انتقلت إلى السكن الجديد ومعى مساعدى محمد أنيس النحاس ، باعتباره سفرجيا وطباخا فى آن واحد – وكان يرتدى زى السفرجية المكون من جلباب أبيض وحزام أحمر – ويتوجه يومياً إلى السوق لاحضار الخضار واحتياجاتنا اليومية من اللحوم والفاكهة . ويضعها جميعا داخل سلة ويدخل بها أمام البوابين والسفرجية وسكان العمارة – حتى أصبح شكله مألوفاً للجميع . وقد حاول محمد أنيس أن يكون طباخاً ولكن لسوء طالعى فشل فى هذا المضمار – ولكن حتى هذه اللحظة لا أتذكر على وجه التحديد ماذا كنا نأكل – ولكن كل هذا لا يهم فقد كنا منصرفين بوجداننا إلى عملنا الضخم والذى كان يستغرق يوميا حوالى الثمانى عشرة ساعة فى أغلب الأيام – عمل متواصل طول أيام الأسبوع . كنا نستيقظ فى الساعات المبكرة من كل صباح للقيام بعملياتنا للحصول على المستندات وتصويرها داخل الشقة المفروشة هذه ، حيث كنت قد تسلمت ماكينة فوتوستات صغيرة من البكباشى حسن بلبل وأودعتها غرفة نومى لأقوم بتصوير المستندات التى أحصل عليها من مكتب جيمس سوينبرن بها .

بعد ذلك أقوم بقراءة المستندات التى تم تصويرها ودراستها وأتخاذ الخطوات السريعة بصددها من مراقبات جديدة أو محاولة تنسيق أهداف جديدة .. إلخ . وكنا لا ناوى إلى فراشنا الا بعد أن نتأكد من عودة كل أهدافنا إلى بيوتهم . فالشبكة قد أتسعت وقد بدأت تتسع معها أعمالنا وكذلك وقتنا . وتزيد بالتالى جهودنا والهموم والقلق والخوف من الانكشاف أو الفشل . هكذا كنا نعيش على أعصابنا تماماً .

مع استمرار اقامتنا بالعمارة المذكورة ، أصبح من السهولة بمكان على المساعد محمد أنيس النحاس الاختلاط بالبوابين والسفرجية من خلال فترات راحتهم وفعلاً تم تعارفه على السفرجى الذى يعمل فى خدمة المستر ستانلى وكان يدعى محمد . وكان يقوم بعمله كسفرجى وطباخ فى آن واحد وقد قمنا بتجنيده ، وسهل لنا مهمة تفتيش شقة ستانلى ولم نعثر بها على شيء فقد كانت نظيفة تماماً .

تكرر تردد ستانلى على أحمد السيد والذى اكتشفنا فيما بعد أن اسمه الحركى هو « فرانك » حيث أخبرنا السفرجى محمد أن شخصاً يدعى فرانك يتصل بستانلى تليفونيا ويستبعد أنه من الإنجليز ، ويعتقد أن يكون مصرياً حسب لهجة حديثه فى التليفون بلغة إنجليزية ركيكة . قد أثبتت الأيام أن الذى يتصل بستانلى بالتليفون تحت اسم فرانك هو أحمد السيد فعلاً .

بعد مرور ثلاثة أسابيع تقريبا على أقامتنا فى هذه العمارة ، لاحظت بنوع الصدفة أثناء خروجى إلى الشرفة المطلة على شارع محمد مظهر أن جو ثورنتون ستانلى يقف فى شرفته . ولاحظت أنه مشدود . وكانت الساعة الثالثة الا عشر دقائق بعد الظهر وكنا خلال شهر أغسطس والجو حار جداً . ولا يستحب الوقوف فى الشرفات فى مثل هذا الوقت من النهار فى هذا الحر الخانق . أثار ذلك انتباهى ودخلت الشقة وطلبت من محمد أنيس سرعة النزول والجلوس مع البوابين عسى أن يكون المستر ستانلى ينتظر زائراً . وفى نفس الوقت توجهت إلى الشرفة وجلست على أرضها وظهرى للحائط حتى اتفادى ان يرانى ستانلى من موقعه الذى يعلونى بدورين .

وكان المكان الذى جلست فيه ، يتيح لى أن أرى الشارع وان الاحظ أى شخص غريب قادم - حيث مدخل العمارة على مرمى بصرى .

حدث ما توقعته تماما . ففى الساعة الثالثة تماماً . وقفت سيارة تاكسى أمام باب العمارة - ونزل منها شخص أجنبى يرتدى بدلة رمادية وقبعة . ولم أتبين شكل وجهه كانت القبعة تميل قليلاً إلى الأمام تجاه وجهه . سارعت إلى المطبخ ، حيث كان شباك المطبخ يطل على بئر السلم ، وكان يمكننى بسهولة متابعة المصعد وتحديد الدور الذى يقف أمامه .

ولم يكن بالمصعد عامل لتشغيله - لذلك كان لزاما علينا أن نعتمد على أنفسنا - وقف المصعد أمام الدور الرابع وخرج منه الزائر - وصعد المساعد محمد أنيس عن طريق السلم بحذر حيث تأكد من دخول الزائر شقة المستر ستانلى ، حيث فتح له الباب بنفسه نظراً لأنه صرف السفرجى محمد للراحة . وحتى لا يكون موجوداً فى الشقة وقت حضور الزائر المنتظر .

أرتديت ملابسى فى الحال واخرجت السيارة من جراج العمارة ووقفت بها بشارع أحمد حشمت الموازى لشارع محمد مظهر حيث تقع العمارة وقفت فى مكان يسمح لى بمشاهدة أشارة المساعد محمد أنيس عندما ينزل الزائر من شقة ستانلى حتى يمكننا متابعته والتعرف على شخصيته .

بعد ساعة غادر الزائر العمارة - وتصادف مرور أحد التاكسيات من أمام العمارة ، فاستقله واتجه به التاكسى فى اتجاه شارع ٢٦ يوليو .

حضر لى مسرعاً المساعد محمد أنيس وأخبرنى بذلك وطلب منى عدم دخول شارع محمد مظهر لأن المستر ستانلى يقف فى شرفة شقته لملاحظة انصراف الزائر . اضطررت للسير فى شارع أحمد حشمت الموازى لشارع محمد مظهر أى موازيا لسير السيارة التاكسى . وبعد بضعة شوارع متقاطعة وبعد مسافة كافية تجعلنا بعيدا على مرمى بصر ستانلى دخلت بالسيارة شارع محمد مظهر حيث يسير التاكسى .

وعندما وصلنا إلى شارع ٢٦ يوليو بالزمالك اتضح لى أننا نراقب تاكسياً آخر - فقد اختفى التاكسى الذى ركبه الزائر المجهول .

كدت أفقد صوابى من المفاجأة فقد عولنا كثيراً على هذا الاتصال الجديد للمستر ستانلى - لا شك أن الزائر عميل سرى ذو أهمية خاصة - حيث أن المستر ستانلى كان ينتظر قدومه فى الشرفة تأمينا له ، حتى يتأكد بنفسه أن الزائر غير مراقب وغير متابع من أحد . كذلك الحال عندما انصرف الزائر - وقف ستانلى فى الشرفة ليلاحظ بنفسه أنصراف الزائر ويتابعه بنظره ليتأكد من نفس الشىء وهو أن زائره غير متابع من أحد - وهو بذلك يقوم بتأمين نفسه وتأمين الزائر أيضاً ، عله لا يفطن بأن أحداً يتبعه .

لم يكن أمامنا بعد هذا الاحباط الا أن نصبر - فقد كان الصبر زادنا والأمل سلوانا - الأمل فى أن نكشف الجديد - وكان إيماننا بالله كبيراً ، والإيمان دواء نفوسنا التى أرهقها العمل المتواصل ، فكل ما نفعله من أجل مصر ، ولهذا فلن يخذلنا الله أبداً . وسوف نستكمل مشوارنا الطويل . وسوف يوفقنا الله بإذن الله . هكذا قلت لمساعدى محمد أنيس ، حتى لا يقتله الحزن الذى تجسم على صفحات وجهه .

عدنا بالسيارة إلى جراج العمارة من المدخل الجانبى والذى يطل على شارع جانبى تجنبا من أن يشاهدنا المستر ستانلى ان كان ما زال واقفاً بالشرفة .

كان مساعدى محمد أنيس قد التقط رقم التاكسى الذى استقله الزائر المجهول من أمام العمارة . وبالكشف عن صاحب التاكسى توصلنا على عنوانه ولم نجد صاحب التاكسى قد عاد إلى منزله بعد وانتظرناه حتى عاد بعد منتصف الليل . أستفسرنا من السائق عن الراكب « الخواجة » الذى أستوقفه بشارع محمد مظهر بالزمالك فقال لنا أنه انزله أمام فرن أفرنجى بشارع المونسيير سيجارو بالزمالك وهو شارع متفرع من شارع حسن صبرى بالزمالك قرب تقاطعه بشارع ٢٦ يوليو .

فى صباح اليوم التالى توجهت أنا ومساعدى محمد أنيس مبكرين إلى الشارع المذكور ، وكان هدفنا هو ملاحظة سكان الشارع عند خروجهم إلى أعمالهم فى الصباح – لعل وعسى نلتقى بالمذكور – ولكن ومع مرور الوقت بدأ اليأس يسرى فى نفوسنا عندما تجاوزت الساعة العاشرة والنصف صباحاً .

من دراستى لسلوك المستر سوينبرن مع شبكته لاحظت الانتظام الشديد فى اتصالاتهم بعملائهم السريين – فإذا كان هذا الزائر أحد العملاء السريين فى شبكة ستانلى – فسوف يعود مرة أخرى يوم الخميس القادم الساعة الثالثة تماما بعد الظهر لزيارة المستر ستانلى – وان غداً لناظره قريب .

بعد انقضاء الأسبوع ، وفى نفس الموعد ، وقبل ذلك بقليل – اعدت الترتيبات لاستقبال الزائر المجهول .

الا ان المستر ستانلى قد خذلنى ، وخيب أملى ، فلم يظهر فى الشرفة كما عودنا . وكما حدث فى الأسبوع الماضى ، ومرت الدقائق ثم الساعات طويلة ومملة حتى تجاوزت الساعة الخامسة – ولم يحضر أحد – وفى تمام الساعة الخامسة والنصف نزل المستر ستانلى من مسكنه كعادته متجهاً إلى مكتبه بشركة البرودنشيال للتأمين ، أذن لن يحضر الزائر المجهول هذا الأسبوع .

كنت خلال اقامتى بالشقة المفروشة بالزمالك على بعد قريب من شقة المستر سوينبرن ، وطلبت من الصاغ « الرائد » حسن بلبل ماكينة تصوير مستندات حيث أخبرنى انهم قد اشتروا مجموعة من الماكينات الفوتوستات الحديثة صغيرة الحجم لتصوير المستندات ، فأحضر لى ماكينة صغيرة فى حجم حقيبة الأوراق كما أحضر لى الورق الحساس والأملاح اللازمة للتحميض والتثبيت ، كذلك حوضين من الصاج وكنت حريصاً على إدخال كل هذه المعدات بعد منتصف الليل دون أن يلاحظها أحد ، وأودعتها غرفة نومى داخل الشقة – كما سبق أن ذكرت – وقد سهلت هذه الماكينة مهمتى إلى حد كبير ، فكنت أزور شقة المستر سوينبرن بانتظام

لتصوير كل ما يجد من مستندات داخل الشقة ولا تستغرق هذه العملية سوى دقائق قليلة . وهكذا تحولت الشقة إلى مركز لنشاط مقاومة التجسس البريطانى .

مضت الأيام متكاسلة حتى قدوم الخميس التالى وأعددت العدة ، ونزل محمد أنيس ليجلس مع البوابين أعتباراً من الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، وحوالى الساعة الثالثة الا عشر دقائق حضر ليخبرنى ان المستر ستانلى ظهر فى الشرفة ، فاستبشرت خيراً ، ثم نزل محمد أنيس منتظراً الفرج . وفى الساعة الثالثة تماماً وقف تاكسى أمام باب العمارة ونزل منه نفس الشخص الأجنبى مرتدياً نفس ملابسه السابقة وقبعته على رأسه تميل إلى الامام قليلاً ، واتخذ طريقه إلى شقة المستر ستانلى . وكانت زوجة ستانلى قد صرفت السفرجى محمد قبل حضور الزائر بدقائق . وفتح المستر ستانلى باب الشقة للضيف بنفسه ، وبعد أن تأكد عن طريق الشرفة ان ضيفه غير مراقب أو متبوع من أحد .

غادر الزائر المنزل بعد ساعة وأوقف تاكسى عابراً كما حدث فى المرة السابقة واستقله – وكنت قد أعددت العدة لمتابعته – فاتجه التاكسى مباشرة إلى شارع المونسير سيجارو ، وكما حدث معه فى المرة السابقة ثم ترجل أمام العمارة رقم ١٧ وصعد إلى الشقة رقم ١١ واتضح فيما بعد أنها لسيدة يوغوسلافية تدعى مدام دورا – وهى تدبر شبكة كل اعضائها من اللاجئين اليوغوسلافيين المقيمين فى مصر – بعد نصف ساعة غادر الرجل الغامض سكنها واستقل تاكسى آخر وتوجه إلى شارع شمبليون بالانتكخانة . وتوقف أمام العمارة رقم ١٨ أ بنفس الشارع ودخل محل مسح أحذية أسفل العمارة ، ومسح حذاءه ، ثم أصلح من هندامه وشعره ، وصعد إلى الدور الرابع من العمارة المذكورة .

انتظرنا فى مقهى بشارع شمبليون حتى انتصف الليل وبدأت حركة الشارع تنحسر ، وطلب منا صاحب المقهى الانصراف حتى يغلق أبوابه فخرجنا ووقفنا على ناصية أحد الشوارع – ولم ننصرف حيث أن بعض الشقق فى العمارة المذكورة ما زالت أنوارها مضاءة – كما أن دخول الرجل محل أحذية لمسح حذائه ثم اصلاحه

لهندامه وشعره ، أوحى لى أنه سوف يقوم بزيارة ما ، وليس متجها إلى منزله ، وما توقعته حدث . وحوالى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل نزل الرجل المجهول من هذه العمارة وسار فى طرقات مظلمة حتى دخل العمارة رقم ٣ بشارع محمد حجاج بنفس منطقة الانتكخانة ولم يغادرها بعد ذلك .

وضعت مراقبة على العمارة المذكورة منذ الساعة السادسة صباح اليوم التالى ، لترقب خروج المذكور إلى محل عمله ، والتأكد من أنه يقيم فى هذا العنوان . وفى المساء حوالى الساعة الثامنة خرج واتجه إلى نفس العمارة بشارع شمبليون وصعد إلى نفس الشقة بالدور الرابع واستمر بها حتى منتصف الليل ونزل عائداً إلى مسكنه بشارع محمد حجاج - ٣ استمرت المراقبة واستمر المذكور فى روتينه اليومى حتى تأكدنا أن هذا العنوان هو مكان اقامته وسكنه .

قمنا بعد ذلك ببعض التحريات عنه فاتضح انه يقيم فى غرفة داخل بنسيون تديره وتملكه سيدة إيطالية ، فمن يكون هذا الرجل الغامض ؟

اتضح من التحريات ان الزائر المجهول للمستر ستانلى هو الكولونيل مليوفان جليجو ريبفتش مدير مخابرات يوغوسلافيا قبل انقلاب ثيتو الشيوعى وعقب الانقلاب الشيوعى الذى تم بزعامة الماريشال تيتو ، هرب الكولونيل جليجو ريبفتش مع الكثيرين من ضباط وجنود القوات المسلحة اليوغوسلافية ، وانضموا إلى قوات الحلفاء وكون البريطانيون من هذه الفلول الهاربة ، الفيلق اليوغوسلافى والذى اشترك فى الحرب العالمية الثانية مع قوات الحلفاء ضد القوات الألمانية فى الصحراء الغربية ، وعقب انتهاء الحرب بقى الكولونيل مليوفان جليجو ريبفتش فى مصر بعد أن طلب حق اللجوء السياسى . ونظراً لنفوذه القوى على الجالية اليوغوسلافية المنتشرة فى مصر والعالم ، فقد استخدمته المخابرات البريطانية لإدارة شبكة ضخمة من اليوغوسلاف ، نساء ورجالاً ، بغرض الحصول على كافة الأخبار والمعلومات عن بلاد الكتلة الشرقية .

وبعد أن عقدت مصر صفقة الأسلحة التشيكية أصبح شغل شبكته الشاغل هو تجميع أى معلومات عن هذه الصفقة ومواعيد شحنها من تشيكوسلوفاكيا ووصولها إلى الموانىء المصرية ، مستخدما فى ذلك شبكته فى مصر والتى يزيد عدد أفرادها على مائة وخمسين شخصاً والمنتشرين فى القاهرة وموانى بورسعيد والسويس واسكندرية .

كشفت المراقبة المفروضة على الكولونيل جليجو ريبفتش أنه لم يكن فقط يعمل لحساب المخابرات البريطانية ، بل كان يعمل أيضاً لحساب كل من المخابرات الفرنسية والمخابرات الايطالية ، كما سوف نوضح ذلك فيما بعد . كان الكولونيل جليجو ريبفتش بمثابة جهاز مخابرات مستقل داخل مصر يعمل لحساب الدول الغربية وعلى رأسها إدارة المخابرات البريطانية ، ونظراً لأن الكولونيل جليجو ريبفتش غير متزوج ، ولتغطية نشاطه واتصالاته فاختار الاقامة فى بنسيون تديره سيدة إيطالية بشارع محمد حجاج - ٣ بالانتكخانة . وكان جميع المقيمين بالبنسيون من الأجانب لذلك كان سكنه هذا يشكل غطاء جيداً لمندوبيه من الجالية اليوغسلافية الذين يترددون عليه ، وحيث ان المذكور يعتبر عميداً للجالية اليوغوسلافية فى مصر ، فيصبح تردد اليوغوسلافيين عليه شيئاً عادياً للأمور ولا يثير أى شكوك .

نظراً لخطورة الكولونيل جلجيو ريبفتش ، واستحالة إمكانية دخولنا البنسيون لتفتيشه حيث أن صاحبته الايطالية لا تغادره ، كما أن جميع نزلائه من الأجانب ، فلم يكن أمامنا سوى فاطمة الشغالة ، الحسناء ، التى تحضر كل صباح لتقوم بأعمال النظافة ، وتدخل جميع غرف البنسيون - بحكم عملها - ثم تنصرف الساعة الرابعة بعد الظهر إلى سكنها فى باب الشعرية .

كان الكولونيل جليجو ريبفتش لا يغادر غرفته إلا بعد غروب الشمس عندما يعود جميع سكان البنسيون الأجانب من أعمالهم - وبهذا يستحيل علينا دخول البنسيون - هذا مع اضافة أن باب البنسيون مغلق دائماً ولا يمكن لأحد أن يدخله إلا بعد ضغط جرس الباب فتتوجه صاحبة البنسيون بنفسها لفتح الباب - وهى

تعرف شخصية كل المترددين على البنسيون وعلى نزلائها الأجانب – ولا تسمح بالتالى لأى متطفل بالدخول .

مع مرور الأيام تكونت علاقة وطيدة بين فاطمة ومحمد أنيس وتم تجنيدها بهدوء ، وأخبرتنا أن الكولونيل جيليجو ريبفتش يعمل فى خدمته سكرتير خاص يوغوسلافى يحضر له يومياً من الثامنة صباحاً وينصرف الساعة الثالثة بعد الظهر ، ويقوم بالكتابة على الآلة الكاتبة تقارير يمليها عليه الكولونيل جليجو ريبفتش ، وأن السكرتير المذكور يهاب ويخشى الكولونيل والذى لا يتوانى عن صفعه عدة صفعات على وجه إذا ارتكب أية أخطاء أثناء الكتابة على الماكينة مثلاً .

كما اخبرتنا أن الكولونيل كثيراً ما يمزق التقارير التى تتعدد فيها الأخطاء والتى لا يرضى عنها ، ويلقيها فى سلة المهملات ، ليقوم السكرتير بكتابة غيرها .

بناء عليه كان أول تكليف لنا لفاطمة هو الحصول على الأوراق الممزقة من سلة المهملات الموجودة فى غرفة الكولونيل أثناء تنظيفها لغرفته .

وكانت عادة الكولونيل عندما يمزق تقريراً يحوى أخطاء أملائية كثيرة ، يقوم بتمزيقه بنفسه ، ويكون حريصاً ألا تتعدى قصاصة الورق الممزق السنتيمتر المربع – أى يمزقه فتافيت – وكان هذا يعنى بالتبعية أن أظل ساهراً الليالى الطويلة ، محاولاً إعادة ترتيب هذه « الفتافيت » ولصق قصاصات التقرير الممزقة المتناهية الصغر حتى يعود التقرير إلى حالته الأولى ويصبح مقروءاً . لعبة صعبة كنت ألعبها – مجبراً وعلى كره منى – كانت تحتاج إلى صبر أيوب وعلى دراية كاملة باللغة الفرنسية التى كانت تكتب بها التقارير .

كان الكولونيل جلجيو ريبفتش يتكلم الفرنسية بطلاقة ولا يعرف الإنجليزية وبالتالى كانت جميع تقاريره التى يقدمها إلى إدارة المخابرات الإنجليزية وإدارات المخابرات الغربية الأخرى « الفرنسية والايطالية » تكتب جميعها باللغة الفرنسية وعلى الآلة الكاتبة ولا يكتب شيئاً بخط يده .

كذلك أمكننا عن طريق جمع الأوراق الممزقة ، الحصول على أصول الاحتياجات الموجهة له من إدارة المخابرات البريطانية والمكتوبة على ورق الرز الشفاف بالآلة الكاتبة ، إلا أنها كانت مكتوبة باللغة الفرنسية التى يجيدها . وكان على رأس الاحتياج اسمه الحركى « أندريه » .

كان نشاط الكولونيل جلجيو ريفتش وشبكته يتركز على معلومات عن الكتلة الشرقية وعلاقاتها الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية مع مصر ، وكان التركيز بشكل كبير على صفقة الأسلحة التشيكية .

كان الكولونيل جليجو ريفتش قد نجح فى هذه الأثناء من اختراق جميع سفارات الستار الحديدى أو الكتلة الشرقية ، وكان له مندوبون فى السفارات الآتية :

١ – السفارة السوفيتية .
٢ – السفارة الرومانية .
٣ – سفارة المجر .
٤ – سفارة بولندا .
٥ – سفارة يوغوسلافيا .
٦ – السفارة التشيكية .

وكان له مندوبون فى بورسعيد والسويس والاسكندرية لمراقبة تحركات الملحق العسكرى الروسى والخبراء الروس الذين يترددون على منطقة القنال وعلى هذه الموانىء الثلاثة .

كذلك كانت له شبكة مهمتها الحصول على معلومات عن المجاهدين الجزائريين والأعداد التى تسافر للتدريب على الأعمال الفدائية خاصة إلى يوغوسلافيا ، كذلك كان له مندوبون فى مكاتب جبهات التحرير لدول شمال أفريقيا « الجزائر وتونس والمغرب » فى القاهرة ، وكان يسلم هذه التقارير إلى كل من المخابرات الفرنسية والمخابرات البريطانية .

الكولونيل جريجور ريبفتش :

كشفت المراقبات التى فرضناها على الكولونيل جليجو ريبفتش ، أنه يعمل لحساب المخابرات الفرنسية والمخابرات الايطالية علاوة على المخابرات البريطانية كما أوضحنا .

فقد سجلت المراقبات تردد المسيو جنيس هنرى ضابط المخابرات الفرنسى والذى يعمل تحت الساتر الدبلوماسى « سكرتير ثان » داخل السفارة الفرنسية بالقاهرة . وكان طبيعيا أن يكون اهتمام المخابرات الفرنسية الأول فى مصر هو نشاط جبهات تحرير شمال أفريقيا ومكاتبها فى القاهرة « الجزائر والمغرب وتونس » كذلك سجلت المراقبات تردد السنيور زولى ضابط المخابرات الايطالى والذى يعمل تحت ساتر نائب القنصل الايطالى بمدينة الاسكندرية ، وكان يحضر لزيارة الكولونيل بالبنسيون بشكل منتظم مرة كل أسبوعين ، مستقلاً الديزل من الاسكندرية الذى يصل إلى القاهرة العاشرة والنصف ، ويجرى اتصاله بالكولونيل جليجو ريبفتش ويعود بعد حصوله على التقارير الخاصة به ليستقل ديزل « المجرى » الساعة ٢ بعد الظهر فى طريقه إلى الاسكندرية .

وعن طريق الكولونيل جليجو ريبفتش ، كشفنا النقاب عن ضابطين لمخابرات الدول الغربية ، وكان أخطرهم هو الدبلوماسى جنيس هنرى .

وكان لكشف النقاب عن هذا الضابط بالذات – والذى جاء فى وقته تماماً – أن تسبب ذلك فى مواجهة لم تكن فى الحسبان بيننا وبين جهاز المخابرات الفرنسى .

الفصل الحادى عشر :

.. والمخابرات الفرنسية

كانت العلاقات المصرية - الفرنسية فى ذلك الوقت عام ١٩٥٥ فى أسوأ حالاتها . فمصر تمد الثوار الجزائريين بالسلاح والأموال ، والقتال سجال بين جيش جبهة التحرير الجزائرية والجيش الفرنسى بالجزائر الذى وصل إلى مليون رجل - يستنزف الخزانة الفرنسية - دون أمل فى نهاية قريبة لهذه الحرب ، ووقوف مصر بجانب الثوار الجزائريين تحد سافر لفرنسا ، والتى جن جنونها لهذا الموقف من جانب مصر . وبدأت المخابرات الفرنسية تخطط للقيام بعمليات عنيفة وتخريبية داخل القاهرة ، فقد انفجرت شحنة ناسفة كانت موضوعة داخل تاكسى بالقرب من المجمع الحكومى بميدان التحرير بالقاهرة واتضح من التحقيقات أن شخصاً مجهولاً سلم حقيبة إلى سائق تاكسى يونانى الجنسية وطلب منه توصيل الحقيبة إلى مكتب جبهة التحرير الجزائرية ، ولكن عندما صعد السائق إلى المكتب لتسليم الحقيبة إلى المرسل إليه رفض المناضل الجزائرى استلامٌ الحقيبة فعاد السائق بها إلى التاكسى ، وأثناء سيره فى ميدان التحرير انفجرت وأودت بحياة سائق التاكسى .

نشطت أجهزة الأمن وحاولت عبثاً كشف النقاب عن مصدر هذه المتفجرات والتنظيم الارهابى الذى يقف وراء هذه الحوادث الدامية . كان واضحاً أن المخابرات الفرنسية هى التى تقف وراء هذه العمليات لتصفية زعماء الثوار

الجزائريين والمغاربة الذين يقيمون فى مصر ، بالاضافة إلى احداث نوع من الذعر والفوضى داخل القاهرة وبين أفراد الشعب المصرى للضغط على السلطات المصرية لتتخذ موقفاً محايداً من الحرب الجزائرية .

ولكن أجهزة الأمن عجزت عن الوصول إلى أى خيط يساعدها على تتبع المخططين لهذه العمليات الأرهابية لايقافها .

بعد أن أدت المراقبات التى فرضناها على الكولونيل جليجور ريبفتش إلى الوصول إلى معرفة شخصية ضابط المخابرات الفرنسية المستر جنيس هنرى والذى لم يكن معروفاً لنا من قبل ، ولا لأجهزة الأمن المصرية ، لذلك بادرت بالذهاب ومقابلة العميد يوسف القفاص مفتش المباحث العامة لفرع القاهرة واطلعته على ما توصلت إليه وهو أن مندوب المكتب الثانى الفرنسى - وهو اسم إدارة المخابرات الفرنسية - وأخبرته أنه يعمل بالسفارة الفرنسية تحت ساتر دبلوماسى بدرجة سكرتير ثان ويدعى جنيس هنرى ، اقترحت عليه أنه بناء على هذه المعلومات يمكننا أن نبدأ به لكشف النقاب على المخطط وراء عملية حقائب المتفجرات .

اقترحت عليه كذلك أن يختار ضابطين من ضباط المباحث العامة الاكفاء للقيام بهذه المهمة ، وتوفيراً للجهد والوقت ، اقترحت عليه ضرورة القيام بعملية اختراق لمكتب جنيس هنرى ضابط المخابرات الفرنسية داخل السفارة الفرنسية بالقاهرة لتفتيشه والبحث عن حقائب المتفجرات .

تباحث معى العميد يوسف القفاص فى أمر الضابطين المقترح قيامهما بهذه العملية السرية ورشحت له أحدهما ورشح هو الضابط الآخر ، ووقع الاختيار على الضابطين محمود مراد وبهاء خالد ، استدعى العميد يوسف القفاص الضابطين وعقدنا اجتماعا مصغراً وسرياً للغاية ، وتم احاطتهما بالهدف المطلوب تحقيقه وهو اقتحام مكتب ضابط المخابرات الفرنسى جنيس هنرى مندوب المكتب الثانى بالقاهرة وأنه يعمل تحت ساتر دبلوماسى - سكرتير ثان - بالسفارة الفرنسية

والمطلوب تفتيش مكتبه والبحث عن حقائب المتفجرات والتى استخدم منهما حقيبتان حتى الآن داخل القاهرة أعطيت لهما أوصاف جنيس هنرى وأوصاف السيارة التى يستخدمها ورقمها .

كان الضابطان على مستوى المسئولية والشجاعة والرجولة المطلوبة لمثل هذه العمليات السرية الخطيرة .

حقق الضابطان المذكوران محمود مراد وبهاء خالد المعجزة الكبرى بشأن نجاحهما فى اختراق السفارة الفرنسية فى القاهرة ، وأقول المعجزة الكبرى ، حيث أن السفارة الفرنسية يقوم على حراستها مجموعة من كلاب الحراسة المدربة الشرسة ويشرف على تدريبها واطعامها حارسان فرنسيان من المجندين بالقوات المسلحة ويتناوبان الحراسة داخل السفارة ، ويقيم احدهما مع زوجته والآخر أعزب ، والجميع يقيمون داخل مبنى مستقل عن مبنى السفارة داخل الحديقة المحيطة بالسفارة ، وبالاضافة إلى الكلاب الشرسة فإن جميع أبواب مبنى السفارة الخارجية والداخلية تغلق جميعها بمفاتيح معقدة التركيب ، ويقع مكتب جنيس هنرى ببدروم مبنى السفارة ، ومكتبه محصن بالأقفال التى يستحيل فتحها بالوسائل الفنية .

رغم كل هذا ، وكل هذه العقبات وبعد مجهودات مضنية دامت أكثر من ثلاثة أشهر ، نجح الضابطان فى اختراق السفارة الفرنسية وبالتالى مكتب جنيس هنرى ، ضابط المكتب الثانى فى القاهرة ، حتى كلبا الحراسة نجحا فى ترويضهما لصالحهما وكانا يزوران الكلبين يومياً بعد منتصف الليل ولفترة تزيد على الشهر حتى تصادقا هما والكلبان وأمنا جانبهما ونباحهما وشرهما .

هكذا نجح الضابطان فى اختراق تلك القلعة المحصنة ، وبتفتيشهما دولابا حديدياً داخل مكتب جنيس هنرى وجد بداخله مجموعة من الحقائب المميتة والتى تحوى كل منها مواد ناسفة تكفى لنسف عمارة بأكملها .

وقد أمكن للضابطين بناء على أعداد سابق إخراج إحدى الحقائب خارج

السفارة ليلاً وتم عرضها على مندوبى جبهة التحرير الجزائرية اللذين رفضا استلام الحقيبة من سائق التاكسى اليونانى فتعرفا على الحقيبة وأقرا أنها مطابقة تماما لحقيبة المتفجرات التى انفجرت داخل التاكسى .

أعيدت الحقيبة فى الحال إلى مكانها داخل الدولاب الحديدى داخل مكتب جنيس هنرى ، والذى تم وضعه منذ ذلك التاريخ هو ومساعده المسيو بوجران تحت الرقابة الدقيقة للحيلولة دون تكرار عملية حقائب المتفجرات مرة أخرى ، والمساعد بوجران يعمل تحت ساتر ملحق دبلوماسى بالسفارة الفرنسية ، ولكنه يتبع المكتب الثانى للمخابرات الفرنسية .

كان أخطر من كشف مكان حقائب المتفجرات هو فتح الحقيبة الدبلوماسية للسفارة فى القاهرة — فى وقت كانت الأحداث السياسية الضخمة تتلاحق — من حولنا — فقد أمم جمال عبد الناصر قناة السويس وهاجت فرنسا لعملية التأميم التى اصابتها فى موجع، فبدأت تتآمر هى وبريطانيا ضد مصر .

تمكن الضابطان محمود مراد وبهاء خالد من الوصول إلى الحقيبة الدبلوماسية للسفارة الفرنسية من داخل مكتب جنيس هنرى ضابط المكتب الثانى « المخابرات الفرنسية » . وتصوير محتوياتها بانتظام .

كانت الحقيبة الدبلوماسية لسفارة فرنسا ترد مع حامل حقيبة فرنسى مرة كل أسبوع على إحدى طائرات « آير فرانس » فيتوجه إلى المطار جنيس هنرى السكرتير الثانى لسفارة فرنسا ومعه مساعده المسيو « بوجران » ضابط المخابرات الثانى بالسفارة والذى يعمل بها تحت الساتر الدبلوماسى بدرجة ملحق . يتوجه الاثنان بسيارة جنيس هنرى ويتسلمان الحقيبة الدبلوماسية الخاصة بسفارة فرنسا فى القاهرة من حامل الحقيبة الفرنسى ، ثم يعودان بها إلى السفارة الفرنسية المطلة على النيل ولها مدخل يطل على حديقة حيوان الجيزة — وينزلان إلى البدروم حيث مكاتب ضابط المخابرات الفرنسية داخل السفارة « المكتب الثانى الفرنسى » ويدخل الاثنان

مكتب جنيس هنرى ويغلقان عليهما الباب ثم يقوم جنيس هنرى بفتح الحقيبة الدبلوماسية بشفرة فى حوزته ويخرج محتوياتها ويطلع عليها ويتركها مفتوحة ليقوم بعد ذلك بعرضها فى اليوم التالى على السفير – حيث كانت طائرات « آير فرانس » تصل غالبا فى ساعة متأخرة من الليل . ولكن الضابطين محمود مراد بهاء خالد كانا هما بالمرصاد وعالمين مسبقا بموعد وصول الحقيبة الدبلوماصسية القادمة على طائرة آير فرانس من باريس – فيراقبان الأمور بهدوء عن كثب – وبمجرد أن يغلق جنيس هنرى أبواب مكتبه ويخرج هو مساعده بوجران عائدان إلى منزليهما – تبدأ مهمة محمود مراد وزميله بهاء خالد ، فيقومان بالدخول إلى مكتب جنيس هنرى وتصوير محتويات الحقيبة الدبلوماسية التى تم فتحها بمعرفة ضابط المكتب الثانى ويعيدان المستندات والتى تحمل جميعها درجة « سرى للغاية » إلى مكانها .

وليس من حقى هنا أن استرسل فى أية تفاصيل أخرى بالنسبة لهذه العملية البطولية النادرة التى قام بها الضابطان المذكوران حيث أنه من حقهما وحدهما – وأنى أسردها هنا بإيجاز شديد كتسجيل للتاريخ نظراً « أولاً » لأنها جاءت عارضة بسبب عملى السرى ضد نشاط المخابرات البريطانية فى مصر وظهور جنيس هنرى لنا فى الصورة فى وقت زامل حوادث حقائب المتفجرات المرسلة ضد مكاتب رجال ثورة التحرير الجزائرية والمغربية .

وثانياً : للنتائج الخطيرة التى ترتبت على هذه العملية الجريئة والتى تمت فى الوقت المناسب تماماً ، وكأنهما كانا على موعد مع القدر . وهذا بفضل توفيق من الله سبحانه وتعالى .

فعندما صدر قرار تأميم قناة السويس يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ بمعرفة الرئيس جمال عبد الناصر كان الضابطان قد نجحا مسبقا فى دخول مكتب المسيو جنيس هنرى رجل المكتب الثانى الفرنسى فى القاهرة وتصوير الحقيبة الدبلوماسية – واستمر منتظمين فى عملية الاختراق والتصوير حتى جاءت أحداث التأميم . وفى

إحدى الحقائب التى تم الوصل إلى محتوياتها – تم العثور على وثيقة خطيرة هدفها هو تخريب عملية تأميم قناة السويس من جانب جمال عبد الناصر .

عندما صدر قرار تأميم قناة السويس يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ كانت قناة السويس تدار بمعرفة جهاز قناة السويس الفرنسى ، واستمر هذا الجهاز يزاول عمله فى تشغيل هذا المرفق العالمى حتى لا تتوقف الملاحة وبالتالى التجارة العالمية .

والوثيقة السرية التى تمكن الضابطان من تصويرها من الحقيبة هى عن مؤامرة دبرتها فرنسا بالاشتراك مع شركة قناة السويس الفرنسية – وتتلخص فى إيقاف الملاحة فجأة فى قناة السويس ليلة ١٤ – ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ وذلك بتوقف جميع مرشدى شركة قناة السويس فجأة عن العمل وجميع العاملين والفنيين الأجانب بها وفى نفس الوقت تم الاتفاق مع بريطانيا على إرسال ٦٠ « ستين » سفينة تجارية . فى هذه الليلة للمرور بالقناة (طاقة المرور فى ذلك الوقت لا تتعدى ٣٦ باخرة للمرور فى قافلتين إحداها من بورسعيد إلى السويس والأخرى من السويس إلى البحر الأبيض المتوسط) .

وكانت مصر سوف تفاجأ بذلك – وسوف تقف عاجزة عن مواجهة الموقف ، وسوف تتوقف الملاحة بقناة السويس وسوف يكون ذلك مبرراً لغزو مصر تحت ادعاء السماح بمرور الملاحة العالمية التى عجزت مصر عن الحفاظ عليها وأوقفتها وفشلت فى إدارة المرفق العالمى ولتأليب دول العالم ضد مصر .

عثر الضابطان على هذه الوثيقة قبل شهر ونصف – ٤٥ يوماً – من تاريخ تنفيذ المؤامرة ونتيجة لحصول الضابطين على تفاصيل هذه المؤامرة وفى تاريخ مبكر – أمكن للرئيس جمال عبد الناصر من إصدار نداء لدول العالم البحرية يطلب مرشدين بمرتبات مغرية وصلت إلى ما يزيد على الألف جنيه استرلينى شهريا (وهذا كان يشكل ملبغاً ضخماً بالنسبة لمقاييس هذا الوقت) .

وقد فطن الكثير من الدول الاشتراكية لأهمية هذا النداء وسارعت بإرسال كبار قباطنتها إلى مصر – بل الكثير من قباطنة العالم الغربى تحت اغراء المرتب الكبير .

وهكذا عندما أوشك التاريخ المحدد للايقاف المتعمد للعمل بالمرفق البحرى العالمى – كانت مصر مستعدة – ونجحت مصر فى الابقاء على استمرار سير الملاحة فى قناة السويس . وفشلت خطة الحكومة الفرنسية ومخابراتها فى إيقاف الملاحة الدولية – والتى كانت المبرر الوحيد أمامها لاستخدام القوة ضد مصر .

كل هذا كان بفضل هذين الضابطين والعميد يوسف القفاص ذات القلب الجرىء والارادة الحديدية ــ والذى قام بتشجيعهما وحمايتهما ــ حيث كان يقف بجوارهما دائماً إذا احتاجا إلى ذلك .

وهكذا نجد أن عملية الكولونيل جليجور بيفتش مدير المخابرات اليوغوسلافية السابق قد دفع المخابرات المصرية إلى جولة غير متوقعة مع جهاز المخابرات الفرنسية .

كان كشفنا لمخطط ايقاف الملاحة فى قناة السويس ذا أثر كبير فى تطور الاحداث بعد ذلك ، فقد كان استمرار الملاحة رغم انسحاب المرشدين عاملاً أعطى قوة كبيرة للسلطات المصرية . ولعل من المفيد هنا أن نذكر مقتطفات مما ذكره المهندس محمد عزت عادل رئيس هيئة قناة السويس الحالى والذى عاصر أحداث تأميم القناة منذ بدايتها لمدة ثلاثين عام :

أثناء احتفال الرئيس جمال عبد الناصر بافتتاح خط أنابيب البترول السويس – مسطرد ، أوائل يوليو عام ١٩٥٦ طلب جمال عبد الناصر من محمود يونس المرور عليه بعد الاحتفال فى مجلس الثورة بالجزيرة . ويقول المهندس عزت عادل : أنه كان وعبد الحميد أبو بكر يعملان مع محمود يونس فى هيئة البترول . وفى نهاية الاحتفال انسحب محمود يونس دون أن يخبرنا بوجهته كما اعتدنا منه ، ثم عاد فى المساء شخصاً غارقاً فى التفكير – غير قادر على الكلام . كان واضحاً أن شيئاً مهما يشغله – ولم يرد على تساؤلاتنا . ركبنا معه سيارته وقادها طويلاً فى طريق المعادى ذهاباً وأياباً إلى أن وصلت الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ، كانت أسرته فى الاسكندرية ، بينما اسرنا فى القاهرة احتججنا وسألناه ، ما الحكاية ؟

لم يقل شيئاً وتركنا نعود إلى بيوتنا . وفى اليوم التالى حضر إلى المكتب بهيئة البترول وخرج دون أن يخبرنا بوجهته ثم عاد قبل الظهر بقليل وطلبنى أنا وعبد الحميد أبو بكر فى مكتبه وأغلق الباب بالمفتاح ، وهنا القى علينا بالخبر الخطير . وهو قرار جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس – وكلفه بتنفيذ قرار التأميم – وانه استأذن الرئيس عبد الناصر ، فى اختيارنا لنساعده فى الترتيبات والتنفيذ .

كان الأمر خطيراً ، وهناك صعوبات عديدة فى التنفيذ . لا نعرف مواقع الشركة الرئيسية ولا كيفية إدارة العمل .. ولا .. ولا ..

كانت السرية عاملاً أساسياً . أحضر محمود يونس معه من مجلس الثورة كل ما كتب عن قناة السويس . كذلك تقارير الاحصاء وإدارة الشركات . وكان علينا بعد قراءة كل هذا ، وتحديد الموقع – التفكير فى مجموعة العمل التى ستنفذ التأميم . بدأنا فى استعراض الاسماء على أن يستبعد أى ترشيح لا نوافق عليه ثلاثتنا بالاجماع . ووفقنا فى النهاية إلى مجموعتين ، تتضمن العناصر المطلوبة . منهم مجموعة كبيرة من الضباط المهندسين ، حيث أن ثلاثتنا – محمود يونس وعبد الحميد أبو بكر وأنا من سلاح المهندسين .

أخترنا أيضاً خبراء ماليين للرسوم والخزانة والتحويلات والبنوك . ومجموعة من أساتذة الجامعات من المهندسين المتخصصين فى الهيدروليك والمواقع المائية .. وخبراء من وزارة الرى .. وبسبب السرية اكتفينا بابلاغهم أنهم مكلفون بمهمة سرية ، وأن كل المطلوب منهم الوجود يوم ٢٦ يوليو ومع كل منهم حقيبة بها احتياجاته الشخصية لمدة أسبوع . والتجمع فى هيئة البترول . كان عددهم حوالى ٢٧ شخصاً .

فى صباح ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ – تجمعنا بمبنى هيئة البترول الساعة ١١ صباحاً ثم أبلغناهم أن نقطة التجمع الثانية – هى القيادة العامة للقوات المسلحة . بكوبرى القبة – وهناك أذعنا جزءاً صغيراً من المعلومات وهو أن وجهتنا إلى معسكر الجلاء بالاسماعيلية . وتحركت السيارات بفارق ٥ دقائق بين كل سيارة وأخرى ووصلنا إلى معسكر الاسماعيلية .

صدرت التعليمات إلى الفريق على على عامر قائد المنطقة الشرقية والذى وصل على وجه السرعة من غزة على متن طائرة خاصة بناء على تعليمات جمال عبد الناصر للتواجد فى معسكر الجلاء قبل ساعات من التأميم - وأن يتعاون مع محمود يونس فى مهمة سرية وطنية كلف بها . ووصل أيضاً إلى المعسكر بنفس التعليمات الدكتور حلمى بهجت بدوى وغيره من رجال القانون .

وضعت القوات المسلحة على أهبة الاستعداد لمواجهة أى احتمالات . وكان للمهندس محمود يونس فى تنفيذ العملية ، سلطات رئيس الجمهورية على كافة الهيئات .

بعد وصولنا للمعسكر ، فتحنا الراديو مع بداية القاء الرئيس عبد الناصر خطابه ، عندئذ أخبرنا الحاضرين ان الهدف هو تنفيذ قرار رئيس الجمهورية بتأميم شركة قناة السويس . وسوف نقوم بعملية التنفيذ عند سماعنا كلمة (ديليسبس) حيث قال عبد الناصر فى خطابه « وابتديت انظر إلى المستر يوجين بلاك مدير البنك الدولى وهو جالس على الكرسى ، وكنت اتخيل أنى جالس أمام ديليسبس » وعندما وصل إلى نهاية الخطاب قال والآن وأنا أتكلم إليكم ، يقوم أخوة لكم من أبناء مصر ليديروا شركة القناة . فى نفس هذه اللحظة كنا جميعا ندخل مراكز الشركة ونتولى إدارة القناة .

طلبنا المديرين الفرنسيين الثلاثة فحضروا من منازلهم بالشورتات وكان شغلهم الشاغل خصوصا فى ظل حماس الجماهير بعد خطاب التأميم هو أمنهم وأمن أولادهم وعائلاتهم . وقد أمنهم المهندس محمود يونس على أنفسهم وأولادهم . وأكد أن كل مخصصاتهم ومزاياهم سوف تستمر ، وأنهم مستمرون فى عملهم وسيلقون معاملة كريمة .

فى الواقع بدأت المشكلة ، بعد نجاح عملية التأميم ولكن لا أحد منا يعلم على وجه الدقة كيف تدار قناة السويس . وجدنا دولة داخل دولة .

كل المراكز الدقيقة والحساسة ع كانت للأجانب - والمصريون فى الوظائف المتوسطة أو الدنيا . بل أن الطاقم والشركة الموجودة فى مصر ليست الا جهازاً تنفيذياً . والإدارة والقيادة فى باريس . وكان علينا أن نتعلم كل شىء وبسرعة .

كان تأميم قناة السويس حدثاً غير عادى بكل المقاييس . حرك ذلك مشاعر الدول الأفريقية ذات المعاهدات غير المتكافئة مع الدول الاستعمارية لاستغلال ثرواتها ، والتى سرعان ما راودتها فكرة تأميم الشركات الاستغلالية الغربية ، على الجانب الآخر تحركت دول الاستعمار بجنون وبدأوا يخططون للتآمر على مصر . وفى يوم ٢٧ يوليو أصدرت الحكومة البريطانية قراراً بتجميد حسابات مصر الجارية من الاسترلينى فى لندن « ١١٢ مليون جنيه استرلينى » . وقراراً بحظر تصدير الاسلحة والمواد العسكرية إلى مصر . ومنعت سفر أربع مدمرات مصرية كانت موجودة فى ذلك الوقت فى موانىء بريطانيا ومالطا . وتبعتها فرنسا فى هذا السلوك العدوانى . كما جمدت أمريكا ٦٠ مليون دولار لمصر فى بنوكها . ويضيف المهندس محمد عزت عادل حصلت المخابرات المصرية على معلومات خطيرة تؤكد أن هناك مؤامرة مخططها انسحاب المرشدين والفنيين وجميع العاملين الأجانب من العمل بشركة قناة السويس فجأة وبشكل جماعى - وتحدد للتنفيذ ليلة ١٤ - ١٥ سبتمبر . وكان الهدف من ذلك إيقاف الملاحة بقناة السويس ، وهذا سيكون ذريعة لتأليب دول العالم ضد مصر لفشلها فى فتح الممر المائى . لم يكن هذا أمراً وارداً فى عملية التأميم وتشغيل قناة السويس بالقوة ، هو الهدف النهائى لهذه المؤامرة . خاصة وان ليلة تنفيذ المؤامرة ، تكشفت ابعادها ، حيث ارسلت انجلترا وفرنسا ستين سفينة إلى بورسعيد وهو عدد ضخم يصل للمرور لأول مرة فى تاريخ قناة السويس . وسميت هذه العملية فى مخطط المؤامرة « بالفخ » .

كان أمام هيئة تشغيل القناة شهر ونصف (٤٥ يوما) لحل هذه المعادلة الصعبة . خاصة أن الشركة الفرنسية لقناة السويس انذرت أى مرشد ، ممن يعملون بها قبل التأميم - بالحرمان من المعاش ومكافآت نهاية الخدمة وكافة الاستحقاقات المالية ، إذا تعاون مع المصريين بعد تاريخ تنفيذ المؤامرة .

ومرشد قناة السويس – أى مرشد – لا يتم تعيينه ليتولى مسئولية الارشاد الا بعد مروره على مراحل فنية مختلفة . فهو يرشح ضمن الحاصلين على درجة ربان أعالى البحار ، ثم يتم تدريبه لمدة تصل إلى سنتين على ٦٠ باخرة فى ميناء بورسعيد ، باعتبار ميناء بورسعيد مدرسة اعداد المرشدين . وذلك بأن يتم التدريب على ادخال البواخر للغاطس إلى الميناء والعكس – ثم يلى ذلك امتحان فنى عملى ونظرى – وبعد النجاح يصير القبطان مرشداً على السفن الكبيرة – فهل مدة الـ ٤٥ يوماً الباقية على تنفيذ مؤامرة إيقاف الملاحة تكفى لتدريب مئات المرشدين الجدد لارشاد ناقلات السفن ؟ قامت مصر فوراً باعلان نداء عالمى إلى مرشدى العالم للمساهمة فى تشغيل قناة السويس . ووصل إلينا العديد من المرشديدن خاصة من يوغسلافيا وكندا وغيرهما من البلاد وانضم إليهم سبعة من المرشدين اليونانيين الذين يعملون فعلا بقناة السويس ورفضوا الانصياع إلى مخطط التوقف عن العمل . علاوة على ٢٧ ضابطاً من القوات البحرية المصرية . هؤلاء جميعا كتبوا بعرقهم فشل خطة المؤامرة الاستعمارية لايقاف الملاحة بالقناة » . أنتهى حديث المهندس محمد عزت عادل رئيس هيئة قناة السويس الحالى .

الفصل الثانى عشر :

مراقبة المستر ستانلى

نعود مرة أخرى إلى العمارة رقم ٣٤ بشارع محمد مظهر بالزمالك حيث يقيم المستر ستانلى نائب مدير شركة ابرودنشبال للتأمين وضابط المخابرات البريطانية البارع وحامل وسام الشجاعة العسكرية .

كنت أقيم مع ستانلى فى نفس العمارة ٣٤ ، شارع محمد مظهر ، حيث استأجرت أحدى الشقق المفروشة كما سبق أن ذكرت .

لم تكشف مراقبتى لسكن المستر ستانلى عن تردد اشخاص آخرين عليه سوى الكونيل جليجو ريبفتش . لذلك فكرت فى وضعه تحت المراقبة خارج سكنه ، أى تغطية كافة تحركاته واتصالاته عندما يغادر سكنه . ونظراً لاستحالة ذلك عمليا بمعرفتى حيث أنه كان يرانى على فترات متقاربة أثناء الصعود والنزول باعتبار أننا من سكان عمارة واحدة ، لذلك تقابلت مع البكباشى (المقدم) حسن بلبل بإدارة المخابرات والذى يشرف على سير وتطورات القضية ، وشرحت له موقفى الحرج بالنسبة لاقامتى فى عمارة واحدة مع المستر ستانلى ، وانه من الخطورة تعريض أمن العملية السرية للخطر ، إذا قمت بنفسى بمراقبة المستر ستانلى ، وطلبت منه أن يعهد إلى من يتراءى له ويثق فيه لمراقبة المستر ستانلى نيابة عنى ، طوال الفترة التى يغادر فيها منزله ، قرر لى أنه سوف يعهد بأمر مراقبة ستانلى إلى ضابطين عائدين تواً من بعثة تدريبية على المراقبات والتحريات من الولايات المتحدة الأمريكية ، وتم

الاتفاق على موعد لمقابلتهما لاشرح لهم كافة البيانات المتوافرة لدى عن المستر ستانلى ، وتمت المقابلة وقمت بتلخيص الموقف لهما بهدف تسهيل عملية بدء المراقبة .

مضت أربعة أيام على بدء مراقبة المستر ستانلى ، الا أننا - أنا والمساعد محمد أنيس - لاحظنا سلوكا غير طبيعى على تصرفات المستر ستانلى ، فكان قبل ان يغادر منزله يقف لفترات طويلة فى الشرفة على غير عادته فى الصباح ، كذلك إذا نزل لا يركب سيارته مباشرة ، بل كان يقف أمام باب العمارة يمسح الطريق بعينيه يمينا ويساراً ، ثم إذا ركب سيارته لا يتجه مباشرة فى خط سيره المعتاد ، بل يتخذ مساراً جديداً عكس اتجاه مساره السابق وهو فى طريقه إلى مكتبه صباحاً ومساء . وكان يدخل شوارع الزمالك بلا هدف معين . وأخيراً استدعت زوجة ستانلى السفرجى محمد الذى يعمل على خدمتهم واستفسرت منه عما إذا كان أحد من البوليس قد سأله أو سأل أحد بوابى العمارة عن زوجها المستر ستانلى ، كما أضافت أن زوجها رجل طيب ويحب مصر والمصريين ، كما يحب الرئيس جمال عبد الناصر جداً .

أخبرنا السفرجى محمد بتفاصيل هذه المحادثة فى حينها ، وأصبح واضحاً لدينا أن المستر ستانلى قد كشف المراقبة ، ومما أوصل شكوكنا إلى درجة اليقين ، هو حضور شخص إنجليزى بسيارة من سيارات السفارة البريطانية ، وأوقفها بعيداً عن العمارة وأتجه إلى العمارة راجلاً ، ولاحظه محمد أنيس أثناء ان كان جالسا مع البوابين ، وقام هذا الإنجليزى بعملية مسح لصناديق البريد التى عند مدخل العمارة ، وكان يدون اسماء السكان على ورقة كانت معه ثم انصرف .

وتجدر الاشارة إلى أنهُ لم يكنْ بالعمارة إنجليز خلاف المستر ستانلى ، وكان يقطنها من الأجانب أربعة من الدبلوماسيين الروس والذين يعملون بالسفارة السوفيتية التى تقع عند أول شارع محمد مظهر وهو نفس الشارع الذى تقع فيه العمارة .

وفى اليوم التالى حضر شخصان بسيارة من سيارات السفارة البريطانية ونزلا منها الشخصان يحملان صندوقاً أسود كبيرا وسعدا إلى شقة المستر ستانلى ، وبعد

حوالى ساعتين انصرفا ومعهما الصندوق عائدين من حيث أتيا .

اتصلت بالبكباشى حسن بلبل بالمخابرات وأخبرته عن تفاصيل ما حدث من تطورات ، وشكوكى من أن المستر ستانلى قد كشف المراقبة .

وافقنى السيد حسن بلبل على رأيى وأضاف أن الصندوق الأسود الذى صعد به الرجلان إلى شقة المستر ستانلى هو جهاز مهمته الكشف عن أى ميكروفونات سرية مخبأة داخل جدران شقته .. بناء على كل ما حدث ، وافقنى البكباشى حسن بلبل على ضرورة إيقاف المراقبة المفروضة على المستر ستانلى فوراً ، وفى تلك اللحظة واتتنى فكرة وقلت للبكباشى حسن بلبل : ان مجرد إيقاف المراقبة سوف لا يبعد الشكوك التى أثيرت لدى جهاز المخابرات البريطانى نظراً لأننا تصيدنا المستر ستانلى وهو من أهم عملائهم السريين من بين مئات البريطانيين المقيمين فى مصر ، ولذلك ، لكى نعيد الطمأنينة إلى قلوبهم من جديد ، اقترحت على البكباشى حسن بلبل أن تفرض مراقبة بواسطة نفس الطاقم وبطريقة مكشوفة على المدير العام البريطانى لشركة البرودنشبال للتأمين على الحياة والذى يرأس المستر ستانلى فى عمله بالشركة . وكان هدفى من ذلك هو أشعار المخابرات البريطانية أن المراقبة لم تكن مفروضة على المستر ستانلى وحده وعلى شخصه بالذات ، بل هى نوع من الرقابة الدورية الروتينية على نشاط الرعايا البريطانيين بشكل عام ، وبذلك نخفف الشكوك الى أثارتها عملية كشف المراقبة المفروضة على المستر ستانلى .

وافقنى البكباشى حسن بلبل على هذه الفكرة ، وطلب من الضابطين اللذين قاما بمراقبة ستانلى ، بإيقاف هذه المراقبة وفرض مراقبة جديدة على مدير عام شركة البرودنشبال للتأمين البريطانى الجنسية والذى كان يقيم بشارع شجرة الدر بالزمالك .

نجحت الفكرة ، ونتج عن فرض المراقبة على مدير عام شركة ا لبرودنشبال أن أصيب هذا الإنجليزى بتوتر شديد فى أعصابه انعكس على تصرفاته ، حيث بدأ يطيل هو الآخر الوقوف فى شرفة منزله لمحاولة كشف السيارة التى تقوم بمراقبته ،

كذلك إذا نزل يقف طويلاً أمام باب عمارته ، ثم يقود سيارته بلا هدف داخل شوارع الزمالك لكشف المراقبة وتحديد السيارة التى تقوم بمتابعته .

بعد أسبوع أوقفت المراقبة على مدير عام شركة البرودنشبال للتأمين بعد أن حققت الهدف المطلوب منها تماماً .

على أثر كشف المستر ستانلى للمراقبة التى كانت مفروضة عليه ، ورغم أننا رفعنا عنه المراقبة فوراً ، الا أن الأمور لم تمض سهلة ، إذ أن المخابرات البريطانية لم تترك الأمر باعتباره مصادفة عابرة ، فالمستر ستانلى من خيرة ضباط الخدمة السرية البريطانية ، وتعرضه هو بالذات للمراقبة - دون سائر البريطانيين الذين يقيمون فى مصر - تعنى بالنسبة لهم الشيء الكثير وبالنسبة للمخابرات البريطانية ، يحتاج الأمر إلى وقفة وأكثر من تفسير . ولا بد أن تضع العديد من الأسئلة ، والتى لا بد أن تجد لها جوابا معقولاً ، حتى يقتنع المسئولون فيها ، أن المراقبة التى فرضت على المستر ستانلى كانت من قبيل المراقبة الدورية ، وليس على شخصه كهدف محدد بالذات .

وبناء على ذلك قامت المخابرات البريطانية بعدة اجراءات مضادة ، لحين أن ينجلى الموقف تماما بالنسبة للمستر ستانلى ، وهذه الاجراءات تتلخص فى الآتى :

١ - الايقاف الفورى للنشاط السرى للمستر ستانلى ، حيث صدرت تعليمات للمستر جيمس سوينبرن أن يتسلم فرانك - وهو أحمد السيد على - الذى يتردد عليه ستانلى كل صباح تقريبا تحت ادعاء أنه طبيب يقيس له الضغط ، والذى يعمل مدير مكتب السيد حسين فهمى ، رئيس مجلس الإنتاج القومى ، وأخبروا سوينبرن أن ذلك سوف يكون مؤقتاً ، وأظهروا أسفهم بالنسبة للمستر سوينبرن لعلمهم بمدى أنشغاله بعمله ، ولكنهم يأملون فى نفس الوقت ، ألا يستمر ذلك طويلاً .

٢ - انقطع الكولونيل جليجو ريفتش من التردد على المستر ستانلى بمنزله بالزمالك حسب النظام الذى كان سارياً بينهما . وكشفت الأيام والمراقبات أن

الكولونيل قد تم تسليمه إلى إنجليزى ثالث ليقوم بتشغيله بدلاً من المستر ستانلى .

٣ – ما قامت به المخابرات البريطانية من التحرى على سكان العمارة التى يقيم بها المستر ستانلى ، كذلك مسح شقته بجهاز كشف الميكروفونات ، للتأكد من عدم وجود أجهزة تصنت مزروعة داخل جدران شقة سكنه .

٤ – حامت الشبهات حولى ، أنا ومحمد أنيس ، « سكان الشقة المفروشة الجدد بالعمارة » نظراً لأننى المصرى الوحيد الذى أقيم فى شقة مفروشة بالعمارة حيث حدث بعد واقعة كشف المراقبة بأسبوع تقريبا أن تلقيت زيارة مفاجئة فى صباح أحد الأيام من إحدى سكرتيرات السفارة البريطانية ، والتى تعمل بمكتب المستر دونالد كوكس ، والذى يشغل منصب مدير المخابرات داخل السفارة البريطانية خلفا للمستر أوليفر جون والذى نقل من مصر ، وهذه السكرتيرة معروفة لدينا وتدعى مسز أدواردز ، حيث دقت جرس الباب .

ففتح لها مساعدى محمد أنيس النحاس ، وكان برفقتها سائق مالطى ، كان يقود سيارتها ، وتعرف عليها محمد أنيس فى الحال فاغلق الباب ثانية وحضر إلى وكنت وقتها أقوم بتحميض بعض المستندات التى قمت بالحصول عليها وتصويرها من منزل المستر سوينبرن ، وفى الحال أغلقت باب غرفة النوم ، وتوجهت لباب الشقة وفتحته ، فوجدت مس أدواردز ما زالت واقفة بالباب ومعها السائق . وكانت تدخن سيجارة بفم أنيق من الفضة ، كانت جميلة وتبلغ من العمر حوالى ٢٧ عاماً ، وأبتسمت لى وقالت أنها سمعت أن هذه الشقة سوف تخلو فى نهاية الشهر ، وأنها تريد أن تلقى نظرة عليها ، واعتذرت فى أنها تسببت فى ازعاجى .

رحبت بها وسمحت لها بالدخول هى وسائق سيارتها ، كنت فعلاً قد أخبرت وكيل صاحب العمارة الذى قام بتأجير الشقة لى بأننى اعتزم تركها نهاية الشهر ، حيث أننى قد أنهيت أعمالى فى القاهرة وسوف أعود إلى الاسكندرية ، وفى الحق فقد استنفدت الشقة الغرض الذى استأجرتها من أجله ، وآن الأوان لكى ابتعد أنا

ومساعدى محمد أنيس النحاس عن أنظار المستر ستانلى خاصة بعد كل ذلك الذى حدث .

عندما واجهت المس أدواردز الموظفة بمكتب مدير المخابرات بالسفارة البريطانية بالقاهرة ، كنت فى موقف حرج للغاية ، حيث لم أكن أتوقع اطلاقاً مثل هذا الاتصال المباشر مع إدارة المخابرات البريطانية .

عندما دخلت مس أدواردز الشقة المفروشة ، أخذت تتجول فيها ، وكان هدفها ونظراتها تتجه إلى أسلاك الكهرباء ، خاصة بجوار البلكونات ، وكذلك عندما دخلت المطبخ ، حيث كان محمد أنيس يعد طعام الأفطار ، كانت نظراتها تتابع أسلاك الكهرباء المجاورة لشباك المنور ، وعندما أقتربت من غرفة النوم والتى كان بداخلها ماكينة التصوير وأحواض التحميض والتى إذا رأتها فسوف تقطع بأننا نقوم بنشاط سرى ، أعتذرت للزائرة الإنجليزية بأدب ، بأن أحد أقاربى ما زال نائما داخل الغرفة « حيث كنت قد أغلقت بابها » فابتسمت ولم تقترب منها .

وقبل أنصرافها سألتنى عما إذا كان هناك إنجليز يسكنون نفس العمارة ، فنظرت إليها بسذاجة وأخبرتها بأننى لا أدرى ولكننى أضفت بأن العمارة يقيم بها أربعة من الدبلوماسيين الروس ، فضحكت بصوت مرتفع كما لو كانت أجابتى قد أصابت ما كانت تفكر فيه ، ثم شكرتنى وانصرفت مع سائقها .

كان واضحا أن هدف هذه الزيارة المفاجئة هو تفتيش الشقة بطريقة دبلوماسية ، عسى أن تجد أسلاكاً صاعدة من المنور أو من فتحات النوافذ إلى شقة المستر ستانلى وتكون طبعاً منتهية بميكروفونات مخبأة داخل شقته ، ولكنها أطمأنت من هذه الناحية ، كما كان ظاهراً من سلوكها وخلجات وجهها .

معنى هذه الزيارة أن المستر ستانلى والمخابرات البريطانية تشك فى وجودنا واقامتنا فى هذه العمارة .

لقد « حرقت » بزيارة مس أدواردز لى بشقتى ، ولاشك أن ضباط المخابرات البريطانية بالسفارة بالقاهرة سوف يكتشفون شخصيتى بعد أن شاهدتنى المس أدواردز عن قرب ، حيث أننى معروف فى نادى الجزيرة الرياضى بالزمالك باعتبارى من ضباط المخابرات المصرية لذلك تعمدت أن أذكر لسكرتيرة المخابرات البريطانية أن بالعمارة أربعة من الدبلوماسيين السوفييت ،حتى أوجه أنظارها إليهم ، حيث أنه فى هذه الفترة الزمنية كانت المباحثات المصرية - البريطانية بشأن ا لجلاء تسير سيراً مرضياً ، والعلاقات مع بريطانيا فى تحسن ، وهذا قد لا يرضى الاتحاد السوفيتى - مجرد تخمين واستنتاج - لقد تركت عموما للمس أدواردز ومن ورائها المخابرات البريطانية باب الخيال واسعاً ، حتى يمكنهم أن يتصوروا أن المخابرات المصرية ربما تكون قد وضعت الدبلوماسيين الروس تحت المراقبة خوفا من قيامهم بأى نشاط مضاد لحين توقيع اتفاقية الجلاء .

هذا ما أردت أن أوضحه لمندوبة المخابرات البريطانية ، أو بمعنى آخر أردت طمأنتها بأننا هنا فى هذه العمارة من أجل الروس وليس من أجل الانجليز .

مراقبة لحساب المخابرات البريطانية :

أنجريد فتاة ألمانية جميلة تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً ، حضرت إلى مصر مع والدها خبير صناعة الصلب المستر أوتو سينفدورفر الذى أقام فى مصر متعاونا مع بعض رجال الأعمال المصريين ا لذين يتعاملون مع ألمانيا فى ميدان الصناعة والتجارة .

والمستر أوتو سينفدورفر متزوج من ألمانية ولكنها ليست والدة أنجريد حيث أن زوجته الأولى انفصلت عنه ، وأنجريد فتاة لطيفة ومثقفة وتتقن اللغة الفرنسية علاوة على الإنجليزية والألمانية ، وكانت تحب المصريين ، وكانت تخصنى بصداقتها وتعتبرنى أخاً لها ، وتحكى لى مشاعرها وظروفها العائلية وكراهيتها لزوجة أبيها إلى غير ذلك من أخبارها الخاصة..

ونظراً لظروف والدها المالية غير المتيسرة ، سواء فى ألمانيا حيث دمر المصنع الذى كان يملكه خلال الحرب العالمية الثانية ، أو فى مصر نظر لعدم وجود فرص عمل ناجحة سريعة ، لذلك بدأت انجريد فى البحث عن عمل فى مصر ، والتحقت بأحد المكاتب التجارية فى وظيفة سكرتيرة .

وكانت انجريد طبيعية فى تصرفاتها معى ، ولكن بعد واقعة كشف ستانلى للمراقبة وزيارة مس ادواردز لى بشقتى بالزمالك ، شاهدت بنوع المصادفة فى نادى الجزيرة الألمانية انجريد فى مكان منعزل من النادى فى صحبة شاب إنجليزى مشتبه فى نشاطه وصلته بالمخابرات البريطانية ويعمل نائبا لمدير البنك العثمانى فى القاهرة ، ألا أنها لم تلاحظ إنى شاهدتها .

وبعد أيام قلائل ضبطتها دون قصد منى ، تقوم بتفتيش الأوراق التى داخل سيارتى حيث كنت قد تركت انجريد بداخلها لاشترى بعض حاجاتى من الزمالك .. وتكررت هذه العملية من جانبها ، إلا أننى لم أعرها من جانبى أى أهتمام .. ثم بدأت تسألنى عن عملى وماذا أفعل ، فوجدتها فرصة ذهبية لأخبرها بأن تخصصى هو مكافحة الشيوعية والشيوعيين ، وملاحظة نشاط دبلوماسيى الكتلة الشرقية ، وقد اضطرنى هذا الكذب والإدعاء من جانبى إلى دراسة واسعة لجميع ديبلوماسيى الكتلة الشرقية النشطين منهم واسمائهم حتى أتمكن من إتقان هذا الساتر الجديد .

وقد حدث ماتوقعته ، فبدأت انجريد خلال مقابلاتنا تسألنى عن اسماء ضباط المخابرات المعروفين فى سفارات الكتلة الشرقية ، وقد مكنتنى دراستى السابقة لهؤلاء الدبلوماسيين من الرد عليها بتحفظ مصطنع عن نشاطهم ومدى خطورتهم ودرجاتهم الدبلوماسية فى السفارة . وكان معظمهم يشغلون منصب المستشارين التجاريين نظراً لما يسهله هذا المنصب من الاتصال بأكثر عدد ممكن من الناس ..

كنت أعلم أن حديثى مع انجريد سوف ينتقل مباشرة إلى المخابرات الريطانية بطريق غير مباشر عن طريق نائب مدير البنك العثمانى صديق انجريد .. وقد أمكننى

عن هذا الطريق ، أقناع المخابرات البريطانية بطريق غير مباشر أيضا بأ ن خط نشاطى واهتماماتى هو الكتلة الشرقية وليس المخابرات الريطانية أو الانجليز .

من كل ما تقدم تأكدت أننى أصبحت هدفا من أهداف جهاز المخابرات البريطانية ، وعلىّ أن أستمر فى عملى واضعاً فى اعتبارى هذه الحقيقة ، وعلىّ أن أتوخى من الآن الحرص والحذر فى كل خطوة أخطوها .

الفصل الثالث عشر :

شبكة ثالثة

سبق أن ذكرت أنه نظراً لكشف الميجر ستانلى للمراقبة التى فرضت عليه بواسطة المخابرات المصرية ، وإجراءات الأمن الواسعة التى قامت بها المخابرات البريطانية ، أن أوقف المستر ستانلى نشاطه كلية بتعليمات من رئاسته ، وبناء عليه فقد تسلم المستر سوينبرن أحد مندوبى ستانلى وهو فرانك وأحمد بك السيد كما جاء بتعليمات إدارة المخابرات البريطانية لسوينبرن . أما الكولونيل جليجو ريبفتش ، والذى كان يعتاد زيارة المستر ستانلى بمنزله مرة كل أسبوعين يوم الخميس الساعة الثالثة بعد الظهر ، فقد توقف عن الزيارة ، معنى هذا ، لا بد أن يكون شخص آخر قد تسلم الكولونيل جليجو ريبفتش بدلاً من الميجور ستانلى ، ولكن من يكون هذا الشخص .

من واقع المراقبة المفروضة على الكولونيل جليجو ريبفتش كشفت المراقبة عن تردد زائر جديد على الكولونيل جليجو ريبفتش فى البنسيون .. ويستخدم السيارة رقم ٨٠٥ ملاكى إسكندرية ، وكان يقف بسيارته بعيداً جداً عن منزل جليجو ريبفتش ، ثم يتجه إليه راجلاً واتضح انه يدعى جيمس زارب من قوة سلاح المظلات البريطانية خلال الحرب ، وحارب فى أوروبا والشرق الأوسط ، وعقب انتهاء الحرب اقام فى مصر ، وافتتح مصنعا لصناعة الخزف بالزمالك ، بالاشتراك مع أحد اليهود المصريين ، والمصنع بشارع محمد مظهر / ١ بالزمالك ، وهو متزوج من إنجليزية وله طفلان منها .. انتظم تردد المستر جيمس زارب على الكولونيل

جليجو ريفتش لمدة شهرين .. بواقع مرة كل أسبوع ، ثم أنقطع عن زيارته فجأة .

ثم بدأنا نلاحظ أن الكولونيل جلجيو ريفتش يخرج من منزله الساعة السابعة مساء الخميس من كل أسبوعين ويستقل تاكسيا ثم يختفى فى ميدان التحرير أمام المجمع الحكومى ، وقد فشل طاقم المراقبة فى اقتفاء أثره .

عقب فشل المساعدين فى اقتفاء أثر الكولونيل جلجيو ريفتش ، قمت بمراقبته شخصياً خلال الخميس المرتقب والفترة الزمنية المعتادة فاستقل الكولونيل جليجو ريفتش تاكسى كالمعتاد واتجه إلى ميدان التحرير وهناك ترجل وصرف التاكسى ودخل فى شارع الجامعة الامريكية وهو شارع متفرع من ميدان التحرير ويقع خلف الجامعة الأمريكية . وقد ترجلنا خلفه من على بعد فى الظلام وتحت ساتر الاشجار الكبيرة التى تحجب اضاءة الشارع . وفجأة توقفت سيارة فى مكان مظلم تماما وجميع أنوارها مطفأة ، ثم فتح قائدها الباب وقفز بداخلها الكولونيل جليجو ريفتش ولحسن حظنا ، انه بمجرد فتح قائد السيارة الباب ، ليدخل الكولونيل جليجو ريفتش ، أن اضىء أوتوماتيكيا وتلقائيا مصباح داخلى بالسيارة وللحظات كافية لتكشف أن قائد السيارة هو الميجر ستانلى وجلس بجواره الكولونيل جليجو ريفتش ، ثم اتجهت بهما السيارة مسرعة فى اتجاه شارع القصر العينى ثم فندق سميراميس وكورنيش النيل .

سعدت كثيراً لعودة المستر ستانلى لمزاولة نشاطه السرى ، وهكذا قد تسلم من جديد عميلهم الثمين الكولونيل جليجو ريفتش مع تعديل نظام اتصالاتهم ، لتكون فى الشوارع المظلمة ، بدلاً من زيارات المنازل ، كاجراء من اجراءات الأمن .

ومما زاد فى سعادتى أيضاً — عودة تردد الميجور ستانلى على أحمد بك السيد تحت ساتر طبيبه الخاص ، وتوقف المستر سوينبرن عن الاتصال بالعميل « فرانك » أو أحمد السيد .

وهكذا أصبح من المؤكد أن التعليمات قد صدرت إلى الميجور ستانلى بإعادة مزاولة نشاطه السرى من جديد ، وأن الشكوك التى أثارتها عملية مراقبته وفشلها قد تبددت معنى هذا أننى نجحت فى اقناع المخابرات البريطانية أن الميجور ستانلى لم يكن هدفاً للمخابرات المصرية ، وهكذا التقطوا الطعم بعد معركة ذكاء صامتة بين أجهزة المخابرات .

صموئيل بك عطية يعود من اجازته بلبنان :

سبق أن ذكرت أن صموئيل بك عطية مترجم الشبكة وحامل الاسم الحركى « مارك » والمقيم بعمارة الايموبيليا بشارع شريف بالقاهرة ، قد استأذن المخابرات البريطانية للقيام بأجازة شهرى يوليو وأغسطس ، وقد وافقت المخابرات البريطانية على ذلك ، وتوجه المستر سوينبرن لزيارته فى شقته وسلمه مرتب شهرين .

كنت خلال فترة سفر صموئيل بك عطية إلى لبنان أقوم بعمل ترتيب لمراقبة شقته بعمارة الايموبيليا عقب عودته من الأجازة .. حيث توقعت أن يكون هناك آخرون يترددون عليه فى شقته خلاف المستر سوينبرن من ضباط المخابرات البريطانية أو مندوبيها .. وذلك بهدف تسليمه مستندات باللغة العربية أو الفرنسية لترجمتها إلى الإنجليزية .

سبق أن ذكرت أن صموئيل يقيم بعمارة الايموبيليا بالبلوك الأيسر بالدور الرابع ، وكان فى كل دور أربع شقق ، وأبوابها متجاورة ، وقد شاءت الظروف الحسنة ان كانت الشقة المجاورة لشقة صموئيل بك عطية خاصة بمهندس يدعى وفيق بدر ، والمذكور له قصة طريفة مع جهاز المباحث العامة ، حيث كان المذكور قد تلقى تهديدات بالقتل ، نظراً لأنه أدلى بشهادة يتهم فيها أشخاصاً لهم انتماءات حزبية ، بأنهم ضمن من قاموا بحرق القاهرة بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ، وأدلى بشهادته بذلك فى المحكمة التى كانت تنظر

فى قضية حريق القاهرة ، وبناء على هذه التهديدات بالقتل ، خصصت له المباحث العامة أحد المخبرين لحراسته فترة عمله بالمكتب ، وتصادف أن كان هذا المخبر يدعى أحمد عبد الغنى شقيق أحد المساعدين - عبد الغنى أحمد عبد الغنى - والذى كان يعمل معى فى هذه القضية ، ونظراً لأن مكتب المهندس وفيق بدر مفتوح طول اليوم حتى التاسعة مساء ، نظراً لتردد عمال البناء عليه - حيث كان مهندسا معمارياً - كما أن باب شقة المهندس وفيق بدر يقع على زاوية عمودية مع باب صموئيل بك عطية ، لذلك يسهل لأى شخص يجلس داخل مكتب المهندس وفيق بدر أن يرى المترددين على شقة صموئيل بك عطية .. ومما زاد فى اطمئنانى أن المخبر الذى يقوم بحراسة المهندس وفيق بدر قرر لى أن صموئيل عطية صديق شخصى للمهندس وفيق بدر وكثيراً ما يتردد الأول على مكتب الثانى لاستعمال تليفونه ، عندما يتعطل تليفون صموئيل بك عطية ، كما كان يتردد المخبر أحمد عبد الغنى الذى يقوم بحراسة المهندس وفيق بدر ، على سكن صموئيل بك عطية بغرض أحضار ماء مثلج للمهندس وفيق بدر من ثلاجة صموئيل بك عطية .

فكرت فى حيلة لوضع أحد المساعدين الذين يعملون معى بجوار المخبر أحمد عبد الغنى داخل مكتب المهندس وفيق بدر ، نظراً لأن المخبر الذى يقوم بحراسة وفيق بدر لا يمكنه ترك مكتب المهندس فجأة ، إذا حضر زائر غريب لصموئيل بك عطية ، حتى يتابعه وينزل خلفه لمعرفة شخصيته ، لذلك كان ضروريا وجود أحد المساعدين الذين يعملون معى ولديهم معرفة بجميع أفراد الشبكة السرية البريطانية ، كذلك حتى يتسنى له سهولة الحركة والتصرف بدون قيود مفروضة عليه ، كما أن شقة صموئيل بك عطية يجب أن تكون دائما تحت أعيننا ولن يتأتى ذلك الا فى وجود أكثر من شخص ، كذلك لمواجهة احتمال تغيب المخبر المكلف لحراسة وفيق بدر الذى كثيراً ما كان يكلفه بقضاء بعض حاجاته كشراء سجائر أو طعام أو ما شابه ذلك .

تقابلت مع المهندس وفيق بدر واقترحت عليه تعزيز الحراسة نظراً لحساسية الظروف السياسية التى تمر بها البلاد ، ولكنه رفض الفكرة وقرر أنه يكتفى بمخبر واحد فقط .

بعد بضعة أيام فكرت فى طريقة عملية لتنفيذ خطة مراقبة صموئيل بك عطية « مارك » وذلك باستغلال فرصة تملك والدتى لقطعة أرض بناء بضاحية مصر الجديدة ، وطلبت منه عمل رسم هندسى لها .

رحب المهندس وفيق بدر بالفكرة ، وبالفعل توجهنا معاً لمعاينة قطعة الأرض ، وتم الاتفاق معه على أن يقوم بتصميم رسومات العمارة وأتضح أن المهندس وفيق بدر يقيم بمصر الجديدة بجوار سكنى ، فاستغللت هذه الفرصة للمرور عليه كل صباح لتوصيله إلى مكتبه بعمارة الايموبيليا حيث أنه لا يملك سيارة .. وعن طريق الرسومات الهندسية الخاصة بالعمارة التى ستقام على قطعة الأرض المملوكة لوالدتى ، أصبح التردد عليه بمكتبه من الأمور الطبيعية ، بل كان يرحب به .

وبدأ المساعدون ينتظروننى بمكتبه ، ويوماً بعد يوم ، صرنا أصدقاء وأصبح مكتب المهندس وفيق بدر مركزاً لمقابلاتى مع المساعدين وبذلك نجحت فى بناء الساتر الذى كنت أسعى إليه لاستمرار وجودنا بجوار شقة صموئيل بك « مارك » حيث مكتب المهندس وفيق بدر هو المكان المثالى لمراقبة شقة صموئيل بك عطية والمترددين عليه ، هذا مع العلم أن توفيق بدر لا يعلم شيئاً اطلاقاً عن هدفنا من استمرار وجودنا بمكتبه .. وفى ظل هذا الجو الطبيعى ، استمرت مراقبة صموئيل عطية بنجاح لفترة تزيد على الستة الأشهر .

كان ظهور جيمس زارب حسب ترتيب ظهور ضباط المخابرات البريطانية معنا على مسرح العمليات السرية هو الثالث بعد جيمس سوينبرن وجون ثورنتون ستانلى .

وظهر لنا جميس زارب للمرة الأولى عندما قام بالأتصال بالكولونيل جليجو ريبفتش مدير المخابرات السابق ليوغسلافيا قبل تيتو ، حيث زاره فى البنسيون الذى يقيم فيه بشارع محمد حجاج / ٣ بالانتكخانة بالقاهرة ، وذلك بناء على تعليمات المخابرات البريطانية بعد أن أمرت جون ستانلى بإيقاف نشاطه السرى عقب شعوره بأنه مراقبة من المخابرات المصرية .

وعندما بدأت مرحلة مراقبة شقة صموئيل بك عطية « مارك » مترجم المخابرات البريطانية من داخل مكتب المهندس وفيق بدر ، ظهر جيمس زارب للمرة الثانية ، يتردد على شقة صموئيل بك عطية .

وجيمس زارب يمتاز بجسم ضئيل ، ونحيف البنية ، يبلغ من العمر حوالى الأربعين عاماً ، سريع الحركة ، حريص حاد الذكاء ، على قدر كبير من الخبث والدهاء .

كان عند تردده على شقة صموئيل بك عطية المقيم بعمارة الايموبيليا ، لا يستخدم المصعد اطلاقاً فى الصعود والنزول ، زيادة فى الأمن ، ورغم أنه يملك سيارة ، فإنه كان دائماً يستخدم أما تاكسى أو قدميه عندما يقوم بأى إتصال سرى .

كان كثيراً ما يترك سيارته أمام مصنع الخزف للتضليل ثم يقوم باتصالاته السرية .. وإذا كان على موعد مع أحد ضباط المخابرات البريطانية ممن يعملون بالسفارة تحت الساتر الدبلوماسى ، كان يتجول داخل شوارع الزمالك المظلمة على قدميه .. ثم يلتقطه الدبلوماسى بسيارته ، ويظلان يتجولان فى الشوارع المظلمة ، ثم ينزل من السيارة فجأة كما ركب ، ويختفى بسرعة فى الظلام .

كان المستر جوفى السكرتير الثانى بالسفارة والضابط بإدارة المخابرات البريطانية هو الذى كان يقوم بالاشراف وتشغيل المستر زارب فى حقل العمل السرى .

كانت مراقبة جيمس زارب أكثر من صعبة ، نظراً لطبيعته الحذرة والمرتابة دائماً .

ظهر من مراقبة جيمس زارب كثرة تردده على الأجانب الذين ينتمون إلى بلاد الكتلة الشرقية ، وكان معظمهم خبراء وأعضاء ضمن بعثات ثقافية أو فنية أو تجارية ، وكان يتردد على أماكن إقامتهم سواء كان ذلك فى فنادق أو شقق مفروشة أو بنسيونات ، وقد زادت هذه الإتصالات من غموض شخصية جيمس زارب ، وأن كان أصبح مؤكداً أن جيمس زارب يعتبر من ضباط المخابرات البريطانية الخطرين بحكم نشاطه الغامض واتصالاته الواسعة الشاذة .

فكرت فى تفتيش المصنع الذى يملكه وهو خاص بصناعة الخزف كالتماثيل والأوانى الصغيرة الحجم ، والتى تستخدم لتجميل الصالونات داخل المنازل .. وكان المصنع عبارة عن بدروم العمارة رقم ٣ بشارع محمد مظهر بالزمالك ، كان يعمل بالمصنع حوالى سبعة عمال مصريين ، كانوا يعملون على خمسة أفران حرارية كما كانوا يقومون بتلوين التماثيل والأوانى الخزفية ، الا أن زارب قلما كان يستقر لفترة طويلة داخل مصنعه ، بل كان دائم الحركة والتنقل من مكان إلى مكان ، لا يستقر على حال أو نظام ثابت فهو يخرج من منزله فى الصباح الباكر ، ويتوجه مباشرة إلى مصنعه ويبقى بعض الوقت ، وقد يستقر حتى الثالثة بعد الظهر ، وقد يخرج فوراً للمرور على المحلات التجارية لتسويق انتاجه كمحلات عمر أفندى وشكوريل وشملا وغيرها .. ثم نجده يتردد على محلات بيع الجبس والأسمنت والبويات ، ثم يدخل أزقة وحوارى داخل الأحياء الشعبية بقصد شراء المواد الخام اللازمة لمصنعه .. وقد تتجاوز اتصالاته هذه الحدود ، فيتوجه فجأة لزيارة غامضة لمن سبق الاشارة إليهم من رجال الكتلة الشرقية بالفنادق والبنسيونات والشقق المفروشة . وقد يغلق مصنعه فى الثامنة مساء ويطفىء الأنوار ويغلقه .

ثم يعود إليه فى العاشرة مساء ويظل به حتى ساعات متأخرة من الليل ..

أرهقنا هذا المخلوق ، كما أرهق طاقم المراقبة التى سارت خلفه ليلاً ونهاراً .. كما أن عملية تفتيش مصنعه ..تيقنت من صعوبتها ، بل استحالتها ، نظراً لأن الحصول على مفاتيح المصنع والتى هى فى حوزته فقط لا يمكن التوصل إليها لأخذ نسخة منها كما أن تفتيش مسكنه مستحيل أيضاً حيث أن زوجته لا تغادر شقتها بالزمالك إلا نادراً ، ولا يقوم على خدمتها هى وأطفالها الثلاثة أحد من الخدم .

لكل هذه الاعتبارات المعقدة ، رأيت أن أترك المستر جيمس زارب مؤقتاً لكى أتفرغ لباقى الشبكة .

جيمس سويبنرن يطلب القيامة بأجازة :

فى خلال صيف عام ١٩٥٥ أبدى المستر جيمس سوينبرن رغبته للسفر مع زوجته لتمضية ثلاثة أشهر بانجلترا .. وافقت إدارة المخابرات البريطانية على ذلك ونظراً لضرورة تسليم شبكة سوينبرن إلى شخص آخر يحل محله وقت غيابه عن مصر ، فقد توقعت من جانبى أن ثمة مقابلة لا بد أن تتم بين المستر سوينبرن وهذا الشخص الآخر الذى سوف يتسلم أعمال سوينبرن السرية قبل سفر المستر سوينبرن إلى إنجلترا .. وبناء عليه وضعت المستر سوينبرن تحت المراقبة الدقيقة وتم ما توقعته ، ففى أمسية أحد الأيام ، أقام المستر سوينبرن مأدبة عشاء فى منزله حضرها أربعة أشخاص هم :

المستر أوليفر جون مدير المخابرات البريطانية داخل السفارة .
المستر دونالد كوكس نائبه - بدرجة سكرتير ثان .
المستر مارسيل ضابط مخابرات بالسفارة ويعمل تحت ساتر سكرتير ثالث .
والمستر ليك رجل أعمال بريطانى ويعمل فى مصر .

والمستر ليك يعمل مدير الشركة الهولندية الشرقية للهندسة ، ومركزها ٥٠ شارع قصر النيل ، والشركة تستورد الآلات من إنجلترا لتوزيعها فى مصر والمذكور سنه ٥٠ عاماً ويقيم بمصر منذ عشرين عاما ، واتضح أن مأدبة العشاء كانت بمناسبة ترشيح المستر سوينبرن للمستر ليك لكى يحل محله ، وحصول ضابط المخابرات البريطانية بالسفارة فى القاهرة على موافقة المستر ليك على ذلك ، إلا أن المستر ليك - كما ظهر فيما بعد - أعتذر عن القيام بهذا العمل السرى تحت إدعاء إنه مثقل بالأعمال التجارية ، وبذلك فشلت هذه المقابلة .. وصرف النظر عن هذا المرشح ..

بعد خمسة أيام ، تجددت دعوة العشاء فى منزل سوينبرن نائب مدير وكالة الأنباء العربية ، حضرها نفس طاقم المخابرات البريطانية السابق .. كما حضرها مرشح جديد

آخر بريطانى يدعى المستر الكسندر رينولدز ويعمل مدير شركة قدرى محمود وشركاه للمقاولات بشارع عدلى ، وهو بريطانى يبلغ من العمر حوالى ٤٥ عاماً تقريباً ويقيم بشارع ويلكوكس بالزمالك .. ويبدو أن المستر الكسندر رينولدز هذا ، وافق على أن يحل محل المستر سوينبرن فى إدارة العمل السرى فترة تغيب الأخير لمدة ثلاثة أشهر الأجازة التى سوف يقضيها فى إنجلترا .

وحدث فى اليوم التالى مباشرة لهذه الدعوة على العشاء ، أن تردد المستر الكسندر رينولدز بمفرده فى المساء على سكن المستر سوينبرن ، كما حضر إلى شقة سوينبرن محمد عبيد « بيل » أحد المندوبين بشبكة المستر سوينبرن ، وقام سوينبرن بعملية تعارف بين الزبائن ، مما يؤكد أن المستر الكسندر رينولدز قد قبل أن يتولى مهام المستر سوينبرن فترة غيابه .

ثم سافر المستر سوينبرن بعد ذلك إلى إنجلترا لقضاء أجازته هناك ، لاحظت أن المستر سوينبرن لم يقيم بعملية التعارف بين المستر الكسندر وبين ناظر المدرسة السيد أمين محمود « بول » قبل سفره - وهو من أهم المندوبين بشبكة المستر سوينبرن .. وقد استنتجت أحد احتمالين ، أما أن الناظر سوف يتم تسليمه إلى إنجليزى ثالث أو أن الناظر على معرفة سابقة بالمستر الكسندر رينولدز فلم يكن هناك داع لعملية تعارف .. وأظهرت الأيام أن الاحتمال الأخير هو الصحيح .

الفصل الرابع عشر :

الوقـوع فـى المصـيدة

تأكدت شكوكنا فى المستر الكسندر رينولدز بعد أن دعاه المستر سوينبرن على عشاء فى منزله ، فى حضور كبار ضباط المخابرات البريطانية بالسفارة بالقاهرة - وذلك بمناسبة إعتزام المستر سوينبرن القيام بأجازة ثلاث أشهر يقضيها فى بريطانيا - .

ويبدو أن رينولدز وافق على أن يحل محل المستر سوينبرن وعلى ذلك قام سوينبرن بتقديم محمد عبيد « بيل » من أعضاء شبكته إلى المستر الكسندر رينولدز - إلا أنه لم يقدم « بول » (ناظر المدرسة) إليه وأثار ذلك تساؤلاتنا - ولكن بمجرد أن سافر المستر سوينبرن إلى بريطانيا للقيام بأجازته - بدأ المستر الكسندر فى مزاولة العمل السرى مباشرة .

كان الكسندر رينولدز يقيم بشارع ولكوكس فى الزمالك بالدور الأوسط لفيلا ضخمة تتكون من ثلاثة أدوار . كانت شقة واسعة الأرجاء تتكون من ثمانى غرف - وصالتين كبيرتين ويقيم مع زوجته ، والتى كانت تعمل بالسفارة البريطانية بالأعمال الكتابية . وكانت صديقة حميمة لسكرتيرة السفير البريطانى وكانت زوجة المستر الكسندر رينولدز سيدة مجتمع من الدرجة الأولى وكانت تدعو الكثير من سيدات المجتمع المصرى الراقى على الشاى أو العشاء بمنزلها - وكان معظمهن يزاولن أنشطة اجتماعية وزوجات سياسيين قدامى - وكانت أكثرهن تقرباً منها هى حرام المرحوم

حسين سرى باشا رئيس الوزراء الأسبق . وكان يعمل طرف المستر الكسندر سفرجي وطباخ ومربية يونانية – حيث كانت زوجة المستر الكسندر قد وضعت طفلاً قبل أن تسوقنا الأقدار إليهم بأسابيع قليلة . كانت المربية لا تفارق المنزل اطلاقاً إلا مساء السبت ، لتعود مساء الأحد – وكانت زوجة الكسندر تسهر على طفلها خلال تلك الفترة حتى عودة المربية . ومما زاد الأمور تعقيداً بالنسبة لنا ولمخططاتنا لتفتيش شقة المستر الكسندر رينولدز هو حضور والدة زوجة المستر الكسندر من إنجلترا – بمناسبة مولد الطفل الأول لأبنتها – وبهذا أصبح المنزل لا يخلوا من أحد ثلاثة ، أما المربية أو زوجة الكسندر أو والدتها – أو ثلاثتهم معاً .

كان السفرجي والطباخ اللذان يعملان فى خدمة المستر الكسندر رينولدز من أهل النوبة – ونظراً لأن مهمة الطباخ محدودة داخل المطبخ ، فلم يكن ذا نفع لنا – لذلك بدأنا فى دراسة شخصية السفرجي – وكان شاباً هادئاً يبلغ من العمر ٣٥ عاماً – وطنياً مخلصاً – ولم نجد مشقة فى تجنيده ليتعاون معنا .

فرضت المراقبة من جديد على كل من ناظر المدرسة « بول » السيد أمين محمود – كذلك على محمد محمد عبيد – وهما ضمن شبكة سوينبرن – والمفروض – حسب سير الأحداث أن يتولى أمرهما الكسندر رينولدز وقت تغيب المستر سوينبرن فى لندن – وقد فرضت المراقبة للتأكد من صحة ما ذهبت إليه من تخمينات . وقد أثبتت المراقبة فعلاً تردد كل من « بول » و « بيل » – كل على حده على سكن المستر الكسندر رينولدز وكان قبل حضورهما يصرف السفرجي والطباخ ليلتقى بهما على انفراد .

ورغم ظروف شقة الكسندر – ووجود المربية اليونانية بصفة مستديمة بها مع الطفل – فإننى رغم ذلك دخلت الشقة فى حضور المربية ، حيث كانت الغرفة مغلقة عليها هى والطفل – وحيث غرفة مكتب الكسندر رينولدز كانت بعيدة عن غرفة الطفل – وتبين من تفتيش شقة الكسندر رينولدز وغرفة مكتبه وجود دولاب (خزانة) داخل غرفة مكتبه مغلق بمفتاح أما باقى غرفة المكتب فكل أدراجها مفتوحة .

طلبت من السفرجى محاولة الحصول على صورة طبق الأصل للمفتاح على قطعة من الشمع الاسكندرانى . وأمكننى من تصنيع المفتاح - وانتظرت الفرصة المناسبة لمحاولة تجربته .

سنحت الفرصة أحد أيام الأحاد - حيث خرج جميع أفراد عائلة الكسندر معه ومعهم الطفل والمربية إلى نادى الجزيرة الرياضى بعد الغداء - فدخلت شقة الكسندر وحاولت فتح الدولاب بالمفتاح الذى قمت بتصنيعه ففتح ، وعثرت داخل الدولاب (الخزانة) على الأوراق الخاصة بالشبكة والتعليمات الصادرة إلى أفرادها من المخابرات البريطانية على ورق الرز تماما كما هو الحال مع المستر سوينبرن - لم أحاول تصويرها نظراً لتوقع عودة الكسندر رينولدز مع عائلته فى أية لحظة . وأطمأننت فقط على مكان المستندات السرية على أن أعاود الكرة فى وقت مناسب .

بعد أن عثرت على الوثائق السرية الخاصة بالشبكة أعدت كل شىء إلى مكانه وحاولت إغلاق الدولاب وفوجئت بأن المفتاح لا يدور ، ومعنى ذلك أن يظل الدولاب مفتوحاً - وشعرت أننا نواجه كارثة . حاولت عبثاً معالجة الكالون والمفتاح . كان الوقت ضيقاً . وقد يعود الجميع فى أى لحظة - احتفظت برباطة جاشى - ونجحت فى إخراج المفتاح من الكالون ولكن دون أن يغلق كالون الدولاب .. وتذكرت أن سائقى الأمين السيد عامر - وبدون سبب واضح كان قد أشترى لى منذ يومين مبردين صغيرين وضعهما داخل تابلوه السيارة - نزلت مسرعاً وأحضرتهما - كما أحضرت علبة كبريت وأخذت أشعل أعواد الثقاب وأقوم بتعريض سن المفتاح للنار بهدف أن تتكون طبقة من الكربون على سطح سنون المفتاح - وكان الهدف من ذلك هو محاولة معرفة السن المسبب لهذا العطل حيث أن السن سوف أجده لامعاً بعد معالجة المفتاح من جديد داخل الكالون ، فأقوم ببرادة الجزء الزائد بالمبرد والتى تعترض ريش الكالون من الداخل - وقمت بهذه المحاولة أكثر من مرة - وفى كل مرة أقوم ببرادة نفس الجزء الزائد حتى تمكنت من ازالته وتهذيب المفتاح - ونجحت أخيراً فى إغلاق الدولاب كما كان .

تنفست الصعداء . وكذلك السفرجي والمساعد محمد أنيس . وكنت غارقاً فى بحر من العرق . طلبت من السفرجى فتح النوافذ لتهوية الغرفة من رائحة الكبريت واشعال أعواد الثقاب – ثم أسرعت بمغادرة المنزل – وبمجرد أن وضعت قدمى داخل سيارتى ، وشعرت بسيارة تتوقف خلفى مباشرة – ونظرت فى مرآة سيارتى ، فوجدت سيارة ماركة أولدز موبيل خضراء يقودها المستر الكسندر رينولدز – فأبتسمت ونظرت إلى مساعدى محمد أنيس وأخبرته بأن العائلة الكريمة وصلت من نادى الجزيرة فى رعاية الله .

تنفست الصعداء للمرة الثانية – وسألت نفسى عن السبب الذى من أجله اشترى سائق السيارة السيد عامر قبل أسبوع مضى ، هذين المبردين ليضعهما داخل تابلوه سيارتى ؟

وكم لهذين المبردين الصغيرين فى هذه اللحظة الحرجة من قيمة تفوق فى نظرى ملايين الجنيهات .

ليس لدى أى تفسير لما حدث إلا أن الله كان يرعانا ويرعى عملنا ، وتذكرت أن هذا اليوم بالذات كان يوم ذكرى مولد الرسول الكريم .

تكررت زياراتى لشقة المستر الكسندر – وكانت الفرصة الوحيدة التى يمكننى الدخول فيها للحصول على المستندات لتصويرها ، هى فترة نزول المربية اليونانية بالطفل إلى نادى الجزيرة ، وبرفقتها والدةالمسز الكسندر ، كذلك نزول الطباخ إلى السوق لشراء احتياجاته ثم نزول زوجة الكسندر إلى عملها بالسفارة البريطانية . ونظراً لاحتمال عودة أى هؤلاء فى أى لحظة ، كما كانت عادتهم – لذلك قمت باستئجار شقة مفروشة جديدة بشارع أبو الفدا بالزمالك – بجوار منزل الكسندر . وكانت الشقة لا تبعد عن شقة الكسندر سوى بضعة مئات من الأمتار ولا يفصلها عن شقته سوى شارعين . وضعت داخل الشقة المفروشة الجديدة كل معدات التصوير وبدأت أزاول بداخلها عملية تصوير المستندات السرية التى أحصل عليها من شقة المستر الكسندر رينولدز .

كانت المستندات خاصة بشبكة سويبنرن ولم يظهر فيها سوى اسم حركى جديد (ساندى) ، وأتضح فيما بعد ، أنه الاسم الحركى لالكسندر رينولدز .. وهو يتناسب إلى حد كبير مع طبيعة عمله ، فى أماكن بها رمال – فهو كثيراً ما يسافر إلى الصحراء الغربية للتفتيش والاشراف على أعمال شركته التى تقوم بالانشاءات والخدمات لشركات البترول وتلبية كافة احتياجاتها .

لم تستمر الأمور سهلة لعملية الحصول على المستندات وتصويرها من شقة الكسندر – حيث أصيب الطفل ابن المستر الكسندر فجأة بالتهاب رئوى – وأمر الطبيب بعدم خروجه من المنزل لمدة ثلاثة أشهر – واستدعى قرار الطبيب أن تبقى المربية داخل المنزل طول الوقت ولا تبارحه أبداً . كان هذا فألاً سيئاً قد يؤدى إلى توقف العملية كلية . ولكن لم أجد أمامى سوى المجازفة ودخول الشقة والحصول على المستندات من غرفة المكتب مع وجود المربية فى غرفتها مع الطفل – حيث أن غرفة المكتب كانت على يمين الداخل فى حين أن غرفة الطفل كانت على يسار الداخل – ونظراً لشدة اتساع الشقة وتباعد الغرف بالتالى عن بعضها – فقد قلل ذلك من تسرب الصوت بسهولة من غرفة إلى أخرى .

وكانت عملية دخولى للحصول على المستندات وخروجى لا يتعدى الدقيقة الواحدة وكان ذلك بمساعدة محمد أنيس والسفرجى – كما كانت عملية الذهاب لتصوير المستندات والعودة بها لإيداعها مكانها لا تتعدى الدقائق العشر على أكثر تقدير .

كنت أستخدم أنا والمساعد محمد أنيس الدراجات – حيث كانت السيارة بالاسكندرية لمراقبة الرائد بحرى أحمد لطفى السيد (فيليب) وكان استخدام الدراجة مثالياً لقرب المسافة بين شقة الكسندر والشقة المفروشة التى استأجرتها – وكذلك كانت الدراجات لا تثير أى فضول – وتتم عملية دخولى كالآتى :

كان يسبقنى محمد أنيس لمراقبة شقة الكسندر منذ الصباح الباكر حتى يتاكد من خروج الجميع إلى أعمالهم ثم خروج الطباخ إلى السوق ووالدة الكسندر إلى

نادى الجزيرة – يحضر لى محمد أنيس بالدراجة مسرعاً حيث كنت انتظره فى الشقة المفروشة – فنتوجه معاً بالدرجات إلى سكن الكسندر حيث يصعد محمد أنيس إلى السفرجى من سلم الخدم ليتأكد من أن كل شىء هادىء . ويقوم السفرجى بغلق باب غرفة الطفل وبرفقته المربية اليونانية تحت ادعاء أنه ينظف الصالة – ثم يفتح الباب الرئيسى للشقة ويتركه موارباً ثم ينزل محمد أنيس لاعطائى التمام – أصعد أنا مسرعاً لأجد باب الشقة مفتوحاً – فأدخل إلى غرفة المكتب للحصول على المستندات التى يراد تصويرها – وأتوجه إلى الشقة المفروشة بالدراجة بينما يبقى محمد أنيس لمراقبة الموقف – ثم أعود وأصعد إلى الشقة بعد أن يعطينى محمد أنيس إشارة الأمان لأجد أن باب الشقة ما زال موارباً – فاتجه مرة أخرى إلى غرفة المكتب لاعيد المستندات كما كانت وانصرف – فيقوم السفرجى بغلق باب الشقة وتنتهى المهمة .

وكان داخل شقة الكسندر كلب ضخم – أصبح صديقاً لى بفضل السفرجى الذى كان ينزله لى فى الشوارع المحيطة لمنزل الكسندر وكنت آلاطفه وأربت عليه وبعد عدة مرات أصبحنا أصدقاء .

ولم تمر هذه المحاولات بدون مفاجآت – فقد حدث فى إحد المرات خلال الفترة التى توجه فيها المساعد محمد أنيس لاحضارى لتصوير المستندات – وإعطائى إشارة الامان – وركنت الدرجة داخل حديقة منزل الكسندر كالمعتاد – وصعدت السلم – وفى الدور العلوى حيث شقة الكسندر – سمعت صوت الكلب وسيدة تداعبه نظراً لأن الباب كان مفتوحاً ، فخرج لها وتبين أنها زوجة الكسندر عادت فجأة على غير عادتها إلى المنزل وأنقذنى الكلب بصوته من الخطر الماثل أمامى ، حيث كانت الفترة الزمنية بين وصولها ووصولى ثوانى معدودة . تداركت الأمر بسرعة وإنسحبت بهدوء دون أن تلحظ شيئاً .

من هى حلقة الأتصال ؟

كشفت المراقبات أن الآنسة أدواردز وهى سكرتيرة المستر دونالد كوكس نائب

المدير بجهاز المخابرات البريطانية – والتى سبق أن شرفتنى بزيارتها بالشقة المفروشة التى كنت أستأجرها بعمارة المستر ستانلى بشارع محمد مظهر بالزمالك هى حلقة الاتصال بين المستر الكسندر ورجال المخابرات فى السفارة – وكان ترددها تحت ساتر جيد ، فهى صديقة زوجة المستر الكسندر وتتردد عليها بصفة مستمرة – حيث كانت الأخيرة تدعوها فى دعوات الشاى أو العشاء التى تقيمها لصديقاتها المصريات كما سبق أن نوهت .

كانت المس أدواردز خلال ترددها على شقة المستر الكسندر ، تسلمه مظروفاً يحوى تعليمات المخابرات للشبكة – وتتسلم منه مظروفاً آخر بنشاط هذه الشبكة – كان الاتصال طبيعياً جداً – ولا يثير أى شكوك .

تعليمات جديدة :

اظهر جهاز المخابرات البريطانية اهتماما بالغاً بصفقة الأسلحة التشيكية التى عقدها جمال عبد الناصر مع تشيكوسلوفاكيا . وركزت اهتمامها على (فيليب) وقد وصلت تعليمات من رئاسة المخابرات البريطانية للمستر « الكسندر رينولدز ، بالتنبيه على فيليب ، بأن يقوم بالاتصال مباشرة مع مندوبهم بالاسكندرية بدلاً من سفر الناظر إلى فيليب كل أسبوعين للاسكندرية للحصول منه على المعلومات التى تطلبها إدارة المخابرات البريطانية منه عن السلاح البحرى ، توفيراً للوقت . وصدرت التعليمات لفيليب بأن الاتصال سيتم يوم الجمعة ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥٥ فى نفس المكان والزمان . دون أن يذكروا أين هو المكان وما هو الزمان . بناء على ذلك سارعت إلى الاسكندرية ، وتبين لى أن أحمد لطفى السيد ترك شقته بلوران ، إلى شقة أخرى بالازاريطة بشارع شمبيليون ٢١ شقة ٦ بالدور الثالث .

وجدت شقة خالية بالدور الأرضى بنفس العمارة ، فقمت باستئجارها وهى شقة صغيرة مظلمة تقع على منور العمارة تتكون من غرفتين صغيرتين – فقمت بتأثيثها وذلك عن طريق استئجار بعض المنقولات من تجار الموبيليا المستعملة تحت

ساتر أننا نعمل أنا والمساعدان محمد أنيس وأنور شعبان بشركة بترول بالصحراء الغربية واستأجرنا هذه الشقة للاستراحة فيها عقب عودتنا من الصحراء فى عطلتنا الشهرية .

وضعت أحمد لطفى تحت المراقبة فى اليوم المحدد للاتصال بمندوب المخابرات البريطانية بالاسكندرية – وفى هذا اليوم خرج فيليب أو الرائد البحرى أحمد لطفى السيد فى الصبح مع زوجته وأولاده إلى سيدى بشر ، حيث مكثوا فى أحدى الكبائن التى على الشاطىء – ثم توجه لصلاة الجمعة بمسجد سيدى بشر – ثم عاد إلى منزله .

وبعد الظهر خرج مرتدياً القميص والبنطلون . ووقف على محطة الأوتوبيس إلا أنه لم يكن طبيعيا فى تصرفاته ، بل كان يكثر التلفت إلى اليمن وإلى اليسار وإلى الخلف وكان يحاول أن يطمئن بأنه غير مراقب لكى يؤمن اتصاله السرى . كان على محطة الأوتوبيس بعض الأشخاص ينتظرون قدوم الأوتوبيس فوقف أحمد لطفى السيد خلفهم جميعاً ، وعندما وصل الأوتوبيس ركب جميع المنتظرين على المحطة – إلا هو فقد ظل واقفاً مكانه واستمر على هذا الحال حتى مرت سيارتا أوتوبيس ، وعند حضور الأوتوبيس الثالث وبدأ فى التحرك من المحطة ، قفز أحمد لطفى السيد ووقف على السلم الخلفى للأوتوبيس – وكنت أراقبه وأنا جالس داخل السيارة من شارع جانبى دون أن يلحظنى – فبدأت اتحرك بالسيارة خلف الأوتوبيس من بعد – وفوجئت به ينزل فى المحطة التالية – ووقف ينتظر قدوم أوتوبيس جديد. واستقله على السلم الخلفى أيضاً حتى فندق سان استفانو حيث غادره وسار مسرعاً ودخل الفندق – بعد برهة من الزمن دخلت خلفه مترجلاً أنا والمساعد محمد أنيس النحاس – إلا أننا لم نعثر على أثر – لقد أختفى .

رجحت أن يكون قد دخل طرف أحد موظفى الفندق أو طرف أحد النزلاء إلا أنه قد طال انتظارنا دون أن نراه – وانقضى اليوم دون أن ننجح فى الكشف عن مندوب المخابرات البريطانية بالاسكندرية .

ونظراً لانشغالى الشديد بالقضية بالقاهرة – ووجودى حيوى ومهم بها – لذلك تركت السيارة بالاسكندرية والشقة المفروشة إلى المساعدين أحمد عبد الغنى وشقيقه عبد الغنى أحمد عبد الغنى وأعطيتهما تعليمات بعدم القيام بأى مراقبات إلا يوم الجمعة فقط . وبالفعل تمكنا من متابعته مرتين – وكان فى كل مرة يدخل فيها فندق سان استفانو ثم يختفى عن الأنظار . ونظراً لعجزهما عن الوصول إلى نتيجة – طلبت منهما العودة إلى القاهرة لاحتياج العمل لهما .

اعتقدت أن مندوب المخابرات بالاسكندرية هو نائب القنصل البريطانى ويعمل بالقنصلية البريطانية بالقاهرة ، حيث ثبت تردده مرة كل شهر على المستر أوليفر سانت جون مدير المخابرات بالسفارة البريطانية بالقاهرة . وكان غالباً ما يمضى الليلة ضيفاً على المستر ثورنتون ستانلى . ولهذا سافرت إلى الاسكندرية وتقابلت مع البكباشى ممدوح سالم مفتش المباحث العامة بالاسكندرية (رئيس مجلس الوزراء المصرى فيما بعد) وطلبت منه معلومات عن نائب القنصل وذلك مسترشداً برقم السيارة التى يحضر بها إلى القاهرة .. واتضح أن نائب القنصل هو المستر ستوك بريدج ويقيم بشارع على بك بلوران فى فيلا ملك المرحوم أمين عثمان باشا وزير المالية السابق فى حكومة الوفد – والذى اغتيل لعلاقته الوثيقة بالإنجليز – قرر لى السيد ممدوح سالم أن نائب القنصل المذكور نقل إلى لندن منذ أسابيع قليلة وحل محله قنصل جديد هو المستر (سميلينج) ويقيم بنفس العنوان .

ولكن نظراً لضيق الوقت وتأجيلنا موضوع نشاط المخابرات بالاسكندرية مؤقتاً – ثم صدور تعليمات جمال عبد الناصر لضبط القضية – فلم تتح لى الفرصة للكشف عن مندوب المخابرات البريطانية فى الاسكندرية .

وبعد القبض على أفراد الشبكة – واستجواب أحمد لطفى السيد أعترف بأن مندوب المخابرات البريطانية بالاسكندرية كان رجلاً إنجليزياً كبير السن يعمل مدرساً بكلية فكتوريا بالاسكندرية . وكان يقيم فى بنسيون قرب محطة الرمل – وكان يتقابل معه أما فى أحد البارات أو على ناصية أحد الشوارع الهادئة – وأما موضوع فندق

(سان استفانو) فقد كان أحمد لطفى السيد - يتعمد قبل موعد مقابلته مع الإنجليزى المذكور أن يخرج من منزله قبل الموعد بساعة ويتجول فى الشوارع ثم يدخل فندق سان استفانو من مدخله الرئيس المطل على ترام الرمل ثم يسارع بالخروج من بوابته الأخرى المطلة على كورنيش الاسكندرية ثم يتوجه إلى موعده مطمئناً بأنه غير مراقب ، مستقلاً أحد التاكسيات المارة بالكورنيش وكنا نعتقد طوال الوقت أن مقابلة أحمد لطفى السيد بالإنجليزى المذكور تتم فى مكان ما داخل فندق سان استفانو .

الفصل الخامس عشر :

خطـــة للطـــوارىء

مع بداية عام ١٩٥٦ بدأت الضغوط تتزايد على جمال عبد الناصر من جانب بريطانيا للدخول فى حلف بغداد خاصة بعد أن وقعت بريطانيا على اتفاقية الجلاء وبدأت القوات البريطانية تنسحب من قاعدة القنال إلى قبرص وعدن ، وغيرهما من القواعد العسكرية التى لبريطانيا فى منطقة الشرق الأوسط ، ولكن جمال عبد الناصر قاوم هذا الحلف ودخل فى تحد سافر مع بريطانيا . هذا إلى جانب تردى علاقاتنا مع فرنسا بسبب مساعدة مصر لجيش التحرير الجزائرى – وتلبدت الغيوم فى المنطقة – إنجلترا من جانب وعلى رأسها أيدن وفرنسا من جانب آخر .. بناء على هذه الاعتبارات ونظراً لما كانت تبيته بريطانيا لمصر ونظراً لهذه الظروف السياسية السيئة التى كانت تسير من سيىء إلى أسوأ ، بدأت المخابرات البريطانية تعد نفسها لأسوأ الاحتمالات .. لذلك بدأت تعد شبكاتها للعمل السرى فى ظل حالات طوارىء – أى حالة طرد أو مغادرة الرعايا البريطانيين من مصر وقطع العلاقات الدبلوماسية .

لا بد أن تستمر الشبكات السرية فى العمل ، وبدأت فى اعداد كوادر من المصريين الذين يعملون لحسابهم فى الحقل السرى ، للقيام بمهمة إدارة الشبكات السرية بدلاً من ضباط المخابرات البريطانية ، كذلك تطوير عملية نقل المعلومات السرية إلى نظام الخطابات السرية والتى تم تدريب العملاء عليها بمعرفة خبير بريطانى حضر خصيصاً إلى مصر هو المستر « ونتاكر براندبيرن » . واستمرت الشبكة فى

مصر منذ تم تدريبها تراسل شبكة فى لبنان تقوم بتسليم الخطابات ذات الحبر السرى وترسلها إلى مندوب المخابرات البريطانية ببيروت .

وأصبحت الشبكة فى مصر ، بعد هذا التدريب الطويل جاهزة للعمل بنظام الطوارىء إذا ما صدرت إليها الأوامر بذلك .

ولاستكمال الشكل النهائى ، أو الفصل الأخير من الاعداد لبدء العمل السرى طبقاً لنظام الطوارىء ، أرسلت المخابرات البريطانية لكل عميل من عملائها السريين فى مصر خطابا شخصياً له ، يحوى كافة الخطوات التى يجب أن يتخذها فى حالة قطع العلاقات والعمل بالنظام الجديد .

على سبيل المثال ، كان نص الخطاب الذى أرسل إلى « بول » ناظر المدرسة السيد أمين محمود ، نصه كالآتى مترجماً من النص الإنجليزى :

السيد بول ..

١ - إذا اضطرتنا الظروف لتركك مؤقتا ، وأن نعهد بك إلى آخرين للعناية بك ، فأعلم أننا نفعل ذلك آسفين ولكن مما يثلج صدورنا ، أن نعلم أنك أنت ومندوبوك ، سوف تستمرون فى العمل من أجلنا ، علامة على ثقتنا فيكم ، ولكننا سنكون خلال تلك الفترة المؤقتة ، معتمدين على جهودك أكثر من أى وقت مضى .

٢ - ان هؤلاء الذين وافقوا أن يحلوا محلنا فى العمل حتى نعود هم رجال أوفياء ، يتمتعون بثقتنا التامة ، وهم سوف يقومون بعملهم هذا ، لايمانهم بقيمة العمل وأهمية القائمين به .. وأنت يا من تعتبر من أخلص أصدقائنا ، تستطيع أن تثق فى هؤلاء الذين سوف يحلون محلنا ، بالقدر الذى كنت تثق به فينا .

٣ - أن صديقك الذى تقوم بابلاغ المعلومات له حالياً ، سوف يقدمك إلى الشخص الذى سيحل محله ، وسوف يخبرك باسمه ، وبالكيفية التى سيتم بها عملكما معا ، ويجب ألا تذكر فى أى تقرير من تقاريرك اسم صديقك الجديد هذا ، ولكن

يجب أن تشير إليه دائما فقط باسم « جورج » ويجب أن تأخذ مذكرة فقط بالنقط المهمة ، والباقى يجب أن تحفظه فى الذاكرة ، من أجل سلامتك الخاصة ، يجب أن تلتزم الدقة بكافة الترتيبات التى يعملها جورج لمقابلتك ، حتى ولو كنت فى عجلة من أمرك أو فى مأزق .

٤ – وكما يجب ألا يستعمل الاسم الحقيقى لصديقك الجديد فى أى مراسلات معنا ، فيجب كذلك ألا تستعمل إسمك أنت الآخر وسوف ندعوك باسم « إسماعيل » .

٥ – من ناحيتك ، يجب أن توقع جميع تقاريرك بهذا الاسم ، وكذا ، ايصالات مرتبك ، والذى نأمل أن تستمر فى الوصول إليك بنفس الانتظام الحالى ، وإذا حدث أى تأخير فسيكون سببه طول الاجراءات .

٦ – سيكون لمندوبيك الآخرين أسماء جديدة .

٧ – كل تقاريرهم ، وكل إيصالات مرتباتهم ، يجب أن توقع باسمائهم الجديدة ، ومن الأفضل أن يقوموا هم بالتوقيع عليها ، ولا توقعها أنت .

٨ – سوف يسلمك جورج من وقت لآخر ، مظاريف تحتوى على ملخصات أعددناها لك ولمندوبيك نطلب منك فيها ما نريد معرفته ، موجهين إليك أسئلة ، وذاكرين لك النصيحة ، ويجب أن تقرأ هذه الملخصات بامعان ، وعندما يأتى كل مندوب لمقابلتك ، يجب أن تقرأ معه الملخصات وسوف يكون كل ملخص معنوناً باسم المندوب .

٩ – يجب أن تسلم تقاريرك ، وتقارير مندوبيك إلى جورج فى مقابلتك التالية معه ، وسوف يتولى هذا الأخير توصيلها إلينا .

١٠ – عند مقابلتك لجورج ، تستطيع أن تبلغه شفويا إذا وافق ، أو إذا رغبت أنت ، كل ما تحصل عليه من معلومات ، وإذا فضلت أنت ألا تفعل ذلك ، ففى

امكانك تسليم تقاريرك فى مظروف بطريقة سرية ، دون أن يدور بينكما أى حديث ، وأذكر دائما فى تقاريرك كيف حصلت على المعلومات ، وممن ، والتاريخ ، وعلاقتك بالمصدر ، أى لماذا أخبرك ذلك ، وكيف حصل هو على هذه المعلومات ، ونرجو أن تتأكد أن مندوبيك يفعلون نفس الشيء .

١١ - يجب ألا تنسى أن تقوم بإعدام المذكرات التى نرسلها لك ، ويجب ألا تحتفظ بأى صورة للتقارير التى ترسلها إلينا .

١٢ - سيوضع المرتب الذى كنت ومندوبوك تتقاضونه فى نهاية كل شهر فى مظورف ، وسيكون مرتب كل مندوب فى مظروف منفصل مؤشر عليه باسمه الحركى الجديد ، كما ستجد فى مظروفك مبلغاً آخر يعادل مرتب شهر مقدما وسوف تجد أننا زدنا مرتبك السبق بنسبة ٥٠ بالمائة على أن تتقاضى هذه الزيادة ، ما دام الترتيب الجديد قائماً .

وسوف يتولى جورج تسليمك مرتباتكم فى مظروف مختوم فى نهاية كل شهر وسيطلب منك ايصالات عنها ، وسوف يتولى هو إرسال الايصالات لنا ، والتى يجب أن تكون موقعة كما سبق أن أوضحنا .

١٣ - ربما يزعجك مندوبوك بطلب نقود اضافية ، وسلفيات ، ويكون ردك دائما أنك آسف وتعتذر .. ولكن يجب أبلاغنا بكل تلك الطلبات عن طريق جورج ، وسوف يتولى هو بعد ذلك عمل اللازم .

١٤ - إذا حدث أن فقدت الاتصال بجورج لسبب أو لآخر ، فعليك أن تكتب لنا خطابا على العنوان الذى أعطيناه لك ، وفى الخطاب يجب أن تخبرنا كيف يمكننا الاتصال بك ، على أن يكون ذلك بطريقة الكتابة بالحبر السرى الذى تعلمتها ، وسوف نرد عليك بخطاب مرسل لك من القاهرة يحوى رسالة سرية ، وقد يطلب منك فيها الاتصال بشخص آخر ، وسوف نعطيك اسمه وعنوانه ورقم تليفونه فى خطابنا السرى ، كما سنخبرك فى الرسالة كيف تقدم نفسك إليه ، وبمجرد أن تجد

أن ردنا هذا وقع عليه بالحرف « C » فيجب أن تفهم مباشرة أنه يحتوى على كتابة سرية وعليك إظهارها وقراءتها .

١٥ – يجب أن تستعد لأى ظروف أشد سوءاً ، إذ قد يتعذر الاتصال بك فى وقت ما ، ولسبب ما ، وفى هذه الحالة والتى نرجو ألا تحدث ، يجب أن تكون لدينا خطة مسبقة لكى يتولى جورج بنفسه الاتصال بمندوبيك .

١٦ – نقترح أن تعطينا فى أقرب وقت مستطاع ، اسم وعنوان وأوصاف أى شخص ترى أنه يستطيع أن يحل محلك فى تلك الظروف .. وهل فى امكانك أن تفعل ذلك ؟ وهل أنت مستعد إذا اضطررنا إلى تنفيذ ما جاء بهذه الخطة ، أن تتصل بهذا الشخص وأن تخبره بما يمكن أن يطلب منه ، وعليك أن تعطى حينئذ اسم وعنوان هذا الشخص إلى جورج الذى سوف يتولى الاتصال بك ، ليشرف على اتصال هذا الشخص بمندوبيك .

١٧ – لا تظن أننا سننساك ، رغم أننا لم نقابلك شخصياً فإننا نعرفك جيداً ونهتم بك اهتماما خاصا ، فقد خدمتنا باخلاص ، وما من شك أنك ستستمر معنا .. ونحن لا نريد أن نتركك ولكن قد نضطر إلى ذلك ، وثق أننا نعمل ما فى طاقتنا لنعتنى بك وبمندوبيك .

« انتهـــى »

لا شك أن إدارة المخابرات البريطانية كانت بعيدة النظر ، لاعداد مندوبيها السريين لخطة الطوارىء ، حيث قام العدوان البريطانى الفرنسى فى يوم ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ وهذا ما كانت تتوقعه كأسوأ الاحتمالات .

ولكن يشاء الحظ ألا ننفذ خطة الطوارىء هذه نظراً للقبض على جميع أفراد الشبكة قبل العدوان الثلاثى على مصر بوقت قليل .

بعد انقضاء الثلاثة الأشهر التى قضاها المستر جيمس سوينبرن هو وزوجته عادا يزاولان عملهما كالمعتاد ، وبعودة المستر سوينبرن استعاد بالتالى اشرافه على الشبكة

السرية ، وبها تكون مهمة المستر الكسندر رينولدز قد انتهت ونفض يديه من العمل السرى .

خبير غواصات بريطانى فى مصر :

بعد أن قام الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس ، بدأت رائحة الحرب تفوح فى الأفق ، وفى نفس الوقت استمر تدفق الأسلحة التشيكية والروسية على مصر خلال عامى ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ونظراً لاحتواء الصفقة على قطع بحرية وغواصات ، لذلك قررت رئاسة المخابرات البريطانية بلندن ، أرسال خبير من خبراء السلاح البحرى البريطانى لمقابلة الرائد البحرى أحمد لطفى السيد ومناقشته فى السلاح الجديد الذى تسلمته القوات البحرية المصرية خاصة الغواصات وزوارق الطوربيد ، ومناقشته مناقشة فنية بالنسبة لأنواعها وعددها وقوتها وتسليحها ، وكفاءتها القتالية ، ومدى استيعاب الأفراد للسلاح الجديد .. إلخ .

وقد تم تحديد موعد عاجل مع الرائد البحرى أحمد لطفى السيد « فيليب » مع خبير الغواصات البريطانى فى منزل المستر سوينبرن بالزمالك فى حضور ناظر المدرسة رئيس الشبكة .. وتمت مناقشة فيليب تفصيليا فى التسليح الجديد للسلاح البحرى وتوزيع القوات البحرية المصرية فى مرافىء الاسكندرية وبورسعيد والسويس .. واتضح من الوثائق أن الخبير البحرى يدعى الكابتن « جونى ووكر » .

« فيليب » يسافر إلى البحر الأحمر :

تلقى فيليب – الرائد البحرى أحمد لطفى السيد – تعليمات عاجلة من رئاسة المخابرات بلندن ، للسفر إلى البحر الأحمر تحت ستار السياحة والترفيه ، بهدف زيارة منطقة الطور وجزر تيران وصنافير وشرم الشيخ ، لتحديد الأماكن الدفاعية وأماكن الرادار ومواقع المدفعية الساحلية والاستحكامات الدفاعية بها .. وسافر فيليب فعلاً إلى البحر الأحمر وحصل لهم على المطلوب بالتفصيل متضمنا الرسومات الكروكية

لأماكن المدفعية الساحلية والرادار ووقع ذلك على خريطة تسلمتها إدارة المخابرات البريطانية .

وقد تمكن الرائد البحرى أحمد لطفى السيد من الحصول للمخابرات البريطانية على خطة مصر الدفاعية فى حالة تعرضها لغزو من جانب إنجلترا وفرنسا بسبب تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس .. وضمن الخطة التى أعدتها القوات المسلحة المصرية للدفاع عن مصر ، هو إغلاق قناة السويس وذلك بسد المجرى الملاحى بسفن محملة بالاسمنت احداها - الباخرة عكا - ومهمتها سد مدخل القناة من بورسعيد ، والثانية - أبو قير - ومهمتها الانتظار فى البحيرات المرة ، وعند قيام العمليات لعسكرية والغزو المرتقب تتجه إلى قناة السويس ويتم اغراقها لتسد المجرى المائى من الجنوب عند السويس .. أما الباخرتان السودان ومطروح فقد جهزتا أيضاً بالمفرقعات والأسمنت للبقاء بميناء الاسكندرية لأغراقهما عند مدخل الميناء عندما تصدر إليهما التعليمات بذلك .

ونظراً لخطورة المعلومات التى تسربت إلى المخابرات البريطانية والتى تحصلنا عليها ، ونظراً لزيادة احتمالات الحرب من واقع التقارير التى ترد من العالم الخارجى وتحركات الأساطيل الفرنسية والبريطانية فى البحر الأبيض المتوسط وتجمعاتها عند قبرص وشرق البحر الأبيض ، لذلك صدرت تعليمات الرئيس جمال عبد الناصر بضبط أعضاء التنظيم السرى للمخابرات البريطانية فى مصر .

ولكن الذى حسم الموقف وحدد ساعة الصفر لضبط قضية التجسس البريطانية هى المخابرات البريطانية نفسها ، حيث تمكنت أنا من الحصو ل على وثيقة واردة إلى المستر جيمس سوينبرن - ولكنها - أى الوثيقة - موجهة إلى شخصية بريطانية جديدة لم ترد علينا من قبل ويدعى المستر تشارلز بيتاك . ويعمل مدير شركة ماركونى بالقاهرة .. وأرسلت المخابرات البريطانية هذه الوثيقة لكل من المستر جيمس سوينبرن والمستر تشارلز بيتاك ، نظراً لاعتزام المستر جيمس سوينبرن السفر إنجلترا لمدة ثلاثة أشهر ، سيقوم خلالها المستر تشارلز بيتاك فى الحلول محله فى إدارة الشبكة السرية .

اجتماع فى شقة سوينبرن :

وقد تحدد يوم ٢٧ أغسطس الساعة الرابعة بعد الظهر موعداً لاجتماع كل من تشارلز بيتاك والمستر جيمس سوينبرن ، وناظر المدرسة السيد أمين محمود « بول » وذلك فى شقة المستر جيمس سوينبرن بالزمالك ، بهدف أتمام اجراءات التعارف والتسليم والاستلام خاصة أن المستر بيتاك سيقوم بتسليم أفراد الشبكة مرتباتهم حيث أنهم على أبواب الشهر الجديد .

هكذا أصبحت هذه المقابلة فرصة ذهبية للقبض على رءوس الشبكة مجتمعين ومعهم الوثائق السرية ومصادر تمويل الشبكة السرية - المرتبات - قبل سفر المستر سوينبرن .

وجاء فى الوثيقة الصادرة من إدارة المخابرات البريطانية إلى المستر جيمس سوينبرن فى هذه المناسبة ما يلى بالنص بعد الترجمة :

المستر سوينبرن ..
المستر تشارلز بيتاك ..

١ - شكراً على ما أبديتم من استعداد للتعاون معنا فى مسألة صعبة ، فهذا كرم منكما .

٢ - الرجل الإنجليزى الذى يعمل كحلقة اتصال فى هذه الشبكة والذى سيترك البلاد لبعض الوقت هو سوينبرن وهو يسكن فوقك ، والرجل الذى يقابله سوينبرن والذى ستقابله بدورك أنت نطلق عليه أسم « بول » .

٣ - بول يتكلم الإنجليزية ، ويمكن الاعتماد عليه ، وهو يقابل سوينبرن مرة أو مرتين كل أسبوع ، ويحضر لزيارته عادة فى شقته حوالى الساعة الثانية بعد الظهر حاملاً بعض البيض وأشياء أخرى من منتجات المزارع كغطاء للزيارة .. ولاشك أنه توفيق كبير ، أنك تسكن نفس العمارة ، فهذا سيمكن بول من الاستمرار فى تردده على بيت عرف بوابه .

٤ – سيحضر بول إلى شقة سوينبرن فى الساعة الرابعة بعد ظهر الاثنين ٢٧ أغسطس ، أرجو أن تذهب أنت إلى سوينبرن حوالى الرابعة إلا عشر دقائق ، فإذا وصل بول ، يقدمه لك سوينبرن ، وتتحدثون ثلاثتكم فى عمل الترتيبات .

٥ – فيما يلى النقاط التى يجب أن تناقش :

أ – أنسب وقت لمجيىء بول لشقتك ، هو الوقت الذى تكون فيه أنت فى البيت وعلى وجه التأكيد .. وعائلتك فى الخارج .. وعليك أن ترتب دائما ميعادك مقدماً .. ومعه ميعاد آخر احتياطى ، حتى إذ حدث ما يفوت الفرصة على الميعاد الأول ، يكون هناك الموعد الثانى وعليك أن تعرف برنامج بول فى الأيام التى بين المواعيد حتى تعرف مقدماً ، أن كان من الممكن لقاؤه فى أى وقت ..

ب – لا بد أن يعرف كذلك التفاصيل الكاملة للطريقة التى يتصل بها «س و ب» يقصد بول وتشارلز أحدهما بالآخر تليفونيا فى أوقات مناسبات أو غير متوقعة ، وعلى بول أن يتصل بك تليفونيا إذا ما أضطر إلى ذلك فى مكتبك وليس فى بيتك .

جـ – ناقش معهما المصادر الفرعية التى يتصل بها بول حتى تصبح ملماً باسماء هؤلاء ، وبالمادة التى يجمعونها .. وقد أرفقت بعض معلومات مختصرة عنهم فى الملحق «أ» .

د – أعد مع بول قصة تغطى بها زياراته لسكنك ، بحيث إذا سئلتما فى أى وقت يدلى كلاكما بنفس القصة .

٦ – نقطة أخيرة ، لك صوت رنان مثلى ، فأرجو أن تكون حريصاً عند الحديث مع بول فى شقتك بحيث لا يسمع السفرجى شيئاً .. وسأقول لك فيما بعد مزايا مرافقة الموسيقى لأى حديث مع بول .. ولعله من الحكمة أن تقول جملة عابرة أنك تنتظر صديقاً سيحضر بيضاً طازجاً ، حتى ينظر السفرجى إلى الموضوع نظرة عامة .

٧ – أى شيء يعطيه لك بول أرسله لى عن طريق فلوكس فى مظروف مختوم بالشمع الأحمر ومدون باسمى .

٨ – رغم أن هذا مفهوم ، ولكن أرجو أن تحرق هذه التعليمات بمجرد الانتهاء من قراءتها ، وأن تعدم بقاياها إعداماً تاماً بعد ذلك .

□ملحوظة : المستر فلوكس الوارد أسمه فى هذه الوثيقة هو المستر جون برنار فلوكس السكرتير الأول التجارى بالسفارة البريطانية وهو ضابط مخابرات يعمل تحت الساتر التجارى ، ويعمل تحت رئاسة المستر دونالد كوكس – رئيس جهاز المخابرات البريطانية داخل السفارة – ويعمل تحت ساتر سكرتير أول سياسى بالسفارة – وقد تم أبعاد المستر جون برنارد فلوكس ، كذلك المستر جون جوف سكرتير أول قسم التأشيرات بالسفارة بعد ضبط القضية مباشرة لتردد اسميهما فى التحقيقات .

« انتهت الملحوظة »

كانت الوثيقة الأخيرة بمثابة « الورقة الأخيرة » حيث حوت شبكة المستر سوينبرن ومرتباتهم ونظام عملها وكيفية تمويلها ، وسهلت للمحقق مشقة البحث عن الحقيقة .

وقد أذاعت وكالة أبناء الشرق الأوسط نص هذه الوثيقة على جميع وكالات أنباء وصحف العالم بتاريخ ١٣ أغسطس ١٩٥٦ حيث عقد البكباشى عبد القادر حاتم مدير مصلحة الاستعلامات مؤتمراً صحفياً وتلى نص هذه الوثيقة على المرسلين الأجانب .

وقد تم ضبط هؤلاء الثلاثة : سوينبرن وتشارلز بيتاك وناظر المدرسة بول ، فى يوم وميعاد اجتماعهم فى شقة المستر سوينبرن متلبسين بتهمة التجسس وتم ضبطهم بمعرفة السادة وكلاء النائب العام بالاشتراك مع بعض السادة ضباط المباحث العامة .

تسرب الخطة الدفاعية والعدوان الثلاثى :

نظراً لتسرب خطة إغلاق قناة السويس وميناء الاسكندرية قبل أعلان إنجلترا وفرنسا الحرب بوقت قليل ، لذلك كان من الصعوبة اجراء تعديلات جوهرية فيها .. لذلك عندما إندلعت الحرب والتى بدأت بالطلعة الجوية المفاجئة لسلاح الطيران البريطانى على المطارات المصرية كبداية للغزو والعدوان الثلاثى على مصر ، كان ضمن الأهداف الأولى إغراق السفن التى كانت محملة بالأسمنت والمتفجرات قبل دخولها لاغلاق الممر الملاحى لقناة السويس . ونظراً لوقوف الباخرة عكا بميناء بورسعيد قرب سفن أخرى لذلك تعذر على طيارى سلاح الطيران البريطانى تمييزها بسهولة وعلى ذلك تم اغراق سفن أخرى ذات جنسيات مختلفة دون اصابة السفينة التى تم ادخالها داخل ممر قناة السويس من مدخلها الشمالى ببورسعيد .. وتم إغراقها بما تحويه من شحنات الأسمنت . أما السفينة الثانية أبو قير والتى كانت تقف داخل البحيرات المرة ، فقد كانت هدفاً سهلاً للقاذفات البريطانية لسهولة تمييزها من الجو . واسقطت عليها وابلاً من القنابل لاغراقها داخل البحيرات قبل وصولها إلى القناة من قطاعها الجنوبى قرب مدينة السويس ولكن نظراً للشجاعة النادرة التى أظهرها قبطان الباخرة فقد تمكن من إدخال السفينة أبو قير إلى قناة السويس بل وقام بمناورة بالباخرة حتى أصبحت بعرض القناة تماما ثم تم اغراقها ، وتحولت إلى أكبر عائق بسد القناة ، بهذا نجحت مصر من تنفيذ خطتها باغلاق قناة السويس بعد أن بدأ العدوان الثلاثى عليها ، وبذلك فوتت على دول العدوان الفرصة فى احتلال منطقة القناة للاشراف على تسيير الملاحة فى قناة السويس بمعرفتها .. وكان لسبق مصر باغلاق القناة أسوأ الأثر على دول العالم خاصة دول أوروبا ، نظراً لانقطاع وارداتها من البترول والذى من أجله اجبرت دول العدوان الثلاثى تحت ضغط دول العالم والولايات المتحدة للجلاء عن مصر .

الفصل السادس عشر :

شبكة رابعة للمخابرات البريطانية

كانت الشخصية البريطانية الباقية ضمن جهاز المخابرات البريطانى الذى يعمل فى مصر ، هو المستر كريستوفر رن مدير العلاقات العامة لشركة شل وآبار الزيوت البريطانية . وقد سبق أن جاء ذكره فى بداية هذه القصة وبداية اختراقنا لوكالة الأنباء العربية . وقلنا أن المستر توم ليتل ، مدير عام هذه الوكالة والصحفى المخضرم فى شئون الشرق الأوسط يقوم بتحرير تقارير نصف شهرية ، يطبعها ويوزعها بطريقة سرية على السفير البريطانى ورجال المخابرات بها ، كما يحضر مندوب من شركة شل وآبار الزيوت البريطانية لاستلام نسخة منها وهذا المندوب هو المستر كريستوفر رن مدير العلاقات العامة بشركة شل ، والذى اتضح أنه ضابط بإدارة المخابرات البريطانية . كان كريستوفر رن ، يبلغ من العمر حوالى الخمسين عاماً ، واسع الاتصالات بحكم طبيعة وظيفته ، وكان يقيم فى شقة فاخرة بعمارة ليبون المطلة على النيل بشارع الجبلاية بالزمالك .

كان على علاقة وطيدة بصحفية مشهورة تنحدر من أصل لبنانى ، كانت متزوجة من أحد كبار رجال الصناعة فى مصر وطلقت منه واشتغلت بالصحافة فى إحدى صحف مصر الكبرى ، وقد أمكنه عن طريقها تكوين علاقات صداقة بالعديد من الشخصيات المرموقة فى المجتمع والتى يشغل بعضها مراكز حساسة وخطيرة .. وقد أمكنه تكوين شبكة من بعض هؤلاء ، وعن طريقها أمكنه الحصول لإدارة المخابرات

البريطانية على معلومات على جانب كبير من الأهمية . وكان على علاقة وثيقة باحدى العائلات التى تنحدر من أصل تركى وتتصل بصلة قرابة بالقصر الملكى والتى كثيراً ما رافقها فى رحلات صيد بالبحر الأحمر . وكان يكثر التردد على الغردقة ورأس بنياس لهذا الغرض .

وكانت شبكة المستر رن تتكون من أربع شخصيات ، وكان بعضهم يشغل مناصب حساسة وخطيرة فى الدولة .

ونظراً لأنه لم تتح لنا الظروف متابعة القضية والتركيز بشكل كاف على نشاط المستر كريستوفر رن الواسع ، لذلك لم تتح لنا الظروف إلا الكشف عن هذه الشخصيات الأربع .

ونظراً لأن معظم المستندات التى حصلنا عليها ضد كريستوفر رن كانت بخط يده والتى تثبت تورط جميع أفراد شبكته فى العمل السرى لحساب المخابرات البريطانية ، إلا أنه نظراً لمغادرة المستر رن مصر قبل العدوان بقليل فى مهمة فى لندن ، فلم يكن موجوداً وقت ضبط التنظيم السرى للمخابرات البريطانية فى مصر ، لذلك استبعدت السلطات هذه الشبكة ، ولم يقبض عليها ضمن شبكة قضية الجاسوسية البريطانية .

ضبط شبكة التجسس البريطانية :

نظراً لتردى الأوضاع السياسية مع بريطانيا بعد تأميم قناة السويس وتراكم سحب الحرب والتى خيمت على مصر ، ونظراً لخطورة المعلومات العسكرية التى تتسرب إلى المخابرات البريطانية ، لذلك أصدر الرئيس جمال عبد الناصر أوامره بضبط شبكة التجسس البريطانية فى مصر .

وقد أعددت خطة – الضبط – عندما توجه الناظر « بول » إلى سوينبرن للتعرف على المستر تشارلز بيتاك الذى كان سيحل محل سوينبرن الذى تقرر سفره إلى لندن

لمدة ثلاثة أشهر ، كما أسلفنا قبل ذلك ، وقد تم ضبط الجميع متلبسين ومعهم مستندات تعليمات المخابرات البريطانية لهم مع مظاريف المرتبات وعلى كل مظروف الاسم الحركى للعميل وبداخله مرتبه الشهرى .

وتلى القبض على المستر سوينبرن وناظر المدرسة والمستر تشارلز بيتاك ، القبض على بقية الشبكة ، ثم القبض بعد يومين على المستر ستانلى وشبكته وتبع ذلك القبض على جيمس زارب وشبكته ، وكانت المفاجأة الكبرى فى العثور على مستندات خاصة بتعليمات إدارة المخابرات البريطانية داخل أكوام من الأوراق داخل مصنع الخزف الخاص بالمستر جيمس زارب لشخصيات من شبكته والتى لم نكن قد كشفنا النقاب عنها بعد ، كما تمخض الكشف عن أحد عملاء المخابرات البريطانية ممن يعملون ضمن شبكة جيمس زارب عن قنبلة الموسم - كما يقولون - فقد ظهر خائن داخل الأرشيف السرى لإدارة المباحث العامة .

المخابرات البريطانية تخترق أرشيف المباحث العامة :

سبق أن أشرنا إلى تسرب المعلومات من المباحث العامة إلى السفارة البريطانية ، وقد أمكن بذلك للمخابرات البريطانية من كشف اختراقنا لوكالة الأنباء العربية وحصولنا على التقارير السرية نصف الشهرية التى كان يقوم بتحريرها المستر توم ليتل ، وقد أبلغوا المستر توم ليتل بذلك فى حينه - كما سبق أن ذكرنا - فقام المستر توم ليتل بابلاغ ذلك إلى سكرتيره الخاص صلاح محمد على ذلك الوطنى العظيم ، وقد تسبب هذا فى حرج بالغ لصلاح محمد على وأصبح موضع شك المخابرات البريطانية .

لم نتمكن وقتها من إيجاد أى تعليل معقول لهذا ، كما باءت كل محاولتنا للكشف عن سر تسرب المعلومات من الأرشيف السرى للمباحث العامة بالفشل ، ولكن شاء الله أن يتوج عملنا بهدية من عنده ، فعند قيامى بالقبض على جيمس زارب ، اجريت تفتيشا على منزله فلم أعثر على شيء ، وبتفتيش المصنع عثرت على ثلاثة

مستندات داخل أكوام مكدسة من الأوراق ، وهذه المستندات الثلاثة عبارة عن تعليمات إدارة المخابرات البريطانية لثلاثة عملاء واسمائهم الحركية كالتالى : آدم - ايربورن - انترنال .

لم يسبق لى أن سمعت عن عملاء بهذه الأسماء الحركية ضمن الشبكة ، فلا بد أن يكونوا عملاء جدداً علينا .

باستجواب جيمس زارب اعترف أن الأول الذى يحمل الاسم الحركى « انترنال » هو المدعو نصيف مرقص ويعمل بالأرشيف السرى برئاسة المباحث العامة ، ويقوم بسرقة كافة التقارير التى تحفظ بالأرشيف السرى والخاصة بالنشاط البريطانى والأجنبى فى مصر .. ومن هناء جاءت تسميته « أنترنال » أى الذى بالداخل ، وكان جيمس زارب يتسلم منه التقارير ثم يقوم بتصويرها وإعادتها له ، ليعيدها بدوره داخل ملفاتها ، وقد أمكن للمخابرات البريطانية عن طريقه اختراق الأرشيف السرى لرئاسة المباحث العامة « مباحث أمن الدولة حاليا » ، وعن هذا الطريق كشفت المخابرات كافة الأنشطة التى تقوم بها المباحث العامة والمخابرات المصرية ضد النشاط البريطانى فى مصر . مثال ذلك مثلاً كشفهم لعملية اختراقنا لوكالة الأنباء العربية وحصولنا على التقارير السرية نصف الشهرية التى يقوم بتحريرها المستر توم ليتل مدير الوكالة .

ويشاء حسن حظى - أو سوء طالع نصيف مرقص - أن يصدر رئيس مكتب الأجانب برئاسة المباحث العامة أمراً بوضع المستر جيمس سوينبرن تحت المراقبة - آملاً أن يكشف سر ما نقوم به من عمل سرى . وكانت بسبب فرض هذه المراقبة أن كانت تقارير المراقبات التى يرفعها الضباط الذين يقمون بها إلى رئيس مكتب شئون الأجانب برئاسة المباحث العامة والذى يطلع عليها يومياً ثم يؤشر عليها بالحفظ بالأرشيف السرى - فتحفظ بالأرشيف السرى حيث يتلقفها تلقائياً نصيف مرقص والذى يقوم بسرقتها وتخبئتها داخل طيات جريدة الأهرام اليومية ويخرج بها من إدارة المباحث العامة فى مواعيد خروج الموظفين - ثم تجد طريقها إلى المستر زارب

الذى يقوم بتصويرها وإعادتها فى الحال إلى نصيف مرقص الذى يعيدها فى المساء فى مكانها بالأرشيف السرى . حيث جهاز المباحث العامة يعمل فترتين إحداهما صباحية والأخرى مسائية .

ويقوم جيمس زارب بدوره بتسليم هذه التقارير السرية إلى المستر جون جوف ضابط المخابرات البريطانية بالسفارة والذى يعمل تحت ساتر السكرتير الأول ورئيس قسم التأشيرات بالإدارة القنصلية بالسفارة البريطانية . وعن طريق الأرشيف السرى تصبح جميع أنشطة المباحث العامة وإدارة المخابرات المصرية مكشوفة ومحروقة أولاً بأول لإدارة المخابرات البريطانية .

عندما كشف جيمس زارب النقاب عن شخصية العميل انترنال أو نصيف مرقص والذى يعمل بالأرشيف السرى برئاسة المباحث العامة كانت الساعة وقتئذ الحادية عشر صباحاً ، أى وقت العمل الرسمى - وبمجرد أن علم العميد يوسف القفاص بهذا الاعتراف - حيث كانت تحقيقات النيابة مع شبكة التجسس تجرى فى مبنى المباحث العامة بلاظوغلى - سارع بالصعود بالمصعد إلى الدور الأخير بمبنى المباحث العامة حيث الأرشيف وسأل بصوت مرتفع عن الموظف نصيف مرقص ، فحضر مسرعاً ، وكان قد تجاوز الأربعين عاماً ، فحمله كما يحمل الأطفال ودخل به إلى مكتب اللواء عبد العظيم فهمى مدير عام المباحث العامة « أمن الدولة حالياً » ليزف إليه هذه البشرى . وكانت حقاً مفاجأة مذهلة ومثيرة .

سارعت ومعى أحد وكلاء النيابة وأجريت تفتيش منزل نصيف مرقص ، فعثرت على ثلاثة تقارير مراقبات بدرجة سرى جداً صادرة من الضابط الذى كان يتولى مراقبة المستر جيمس سوينبرن - وكانت التقارير الثلاثة عن مراقبة المستر جيمس سوينبرن ثلاثة أيام متتالية وكانت مخبأة داخل فازة داخل غرفة الصالون . كانت هذه التقارير الثلاثة والتى خشى نصيف مرقص أن يعود بها إلى مبنى المباحث العامة بعد ضبط القضية ليعيد حفظها داخل ملفاتها - كانت هى الدليل الدامغ على إدانته وخيانته .

وهكذا فكان اختراق المخابرات البريطانية للأرشيف السرى لإدارة المباحث العامة بواسطة عميلهم نصف مرقص أو انترنال كفيلاً بكشف أى نشاط تقوم به أجهزة الأمن المصرية ضد المؤسسات البريطانية والنشاط البريطانى السرى فى مصر ، حيث كانت كافة التقارير الصادرة أو الواردة لها من إدارة المخابرات المصرية أو المتبادلة بينهما عن النشاط المضاد لجهاز المخابرات البريطانية أو للنشاط البريطانى فى مصر سرعان ما ستجد طريقها إليهم أولاً بأول عن طريق نصيف مرقص - وهكذا كانوا فى الصورة الكاملة عن أى نشاط لأجهزة الأمن المصرية ضدهم .

ومن هنا كانت ثقتهم واقتناعهم من أن الشكوك التى أثيرت يوماً ما حول مراقبة المستر ستانلى نائب مدير شركة البرودنشيال للتأمين من جانب أجهزة الأمن المصرية لم يكن لها أساس يخشى عليه منه - بدليل عدم وصول أى تقارير عن مراقبته للأرشيف السرى بالمباحث العامة . ومن هنا أيضاً صدرت التعليمات من رئاسة المخابرات البريطانية لكى يعود الميجر ثورنتون ستانلى إلى مزاولة نشاطه السرى . لم يدر بخلدهم أننى قد سبقتهم فى التفكير فى هذا الأمر - وكانت رؤيتى الصائبة فى أن أجعل أرشيفى السرى داخل دولاب ملابسى الموجود بغرفة نومى فى الشقة التى أقيم فيها مع عائلتى بضاحية مصر الجديدة ، نظراً لشعورى الشديد وإحساسى الملح بأن جهاز المباحث العامة ما زال يحوى بين جدرانه عناصر ممن كانوا يعملون بالقسم السياسى السابق والذى يحتمل أن يكون بينهم عملاء لإدارة المخابرات البريطانية .

بقية شبكة جيمس زارب :

نعود مرة أخرى إلى المستر جيمس زارب واعترافاته على شبكته حيث أقر أن الاسم الحركى الأول انترنال هو الموظف المدعو نصيف مرقص - أما الاسم الحركى الثانى وهو « اير بورن » فهو لموظف مصرى بسلاح الطيران ، وكان يعمل بمحطة

ألماظه الجوية ويدعى مريد يوسف بدير . ونلاحظ أيضاً هنا أن الاسم الحركى للمذكور « اير بورن » يتناسب ويتطابق وعمله بسلاح الطيران .

وقد اعترف جيمس زارب فى التحقيق أيضاً أن إدارة المخابرات البريطانية طلبت منه تكليف مريد يوسف بدير أن يقوم بتجنيد عناصر جديدة بسلاح الطيران المصرى – وقام فعلاً بتجنيد المدعو يوسف مجلى حنا .

اعترف يوسف مجلى حنا فى التحقيق أنه فى النصف الأخير من عام ١٩٥٣ اتصل به المدعو مريد يوسف بدير – وطلب منه أن يكتب له بعض المعلومات عن سلاح الطيران المصرى – فكتب له تقريراً ضبط ضمن وثائق القضية – كما طلب منه معلومات عن محطة غرب القاهرة الجوية . ونظراً لأهمية المعلومات التى يكتبها – طالبت إدارة المخابرات البريطانية من المستر جيمس زارب أن يكون اتصاله بيوسف مجلى حنا اتصالاً مباشراً دون وسيط . وبالفعل قام مريد يوسف بدير أو « ايربورن » بتقديم يوسف مجلى حنا إلى المستر جيمس زارب وكان ذلك فترة جلاء القوات البريطانية عن مصر « يونيو ١٩٥٦ » وأصبح من هذا التاريخ اتصال جيمس زارب مباشر معه .

قال يوسف مجلى فى التحقيق « سألنى زارب عن الجماعة الذين حضروا مع طائرات الميج » – ولما أجبته عنهم – قال لى : « فيهم واحد صاحبى » وطلب منى الاتصال به فأعتذرت .

أما الاسم الحركى الثالث « آدم » فاتضح أنه الاسم الحركى لجيمس زارب نفسه .

الفصل السابع عشر :

المحاكمة

هكذا انتهت القضية فجأة بصدور قرار الرئيس جمال عبد الناصر بضبطها ، وكنا لا نزال نعمل فيها - وكانت تمتد وتتسع - ولكن لكل شيء نهاية .

قدم المتهمون أمام محكمة الجنايات بباب الخلق - ورفض الرئيس جمال عبد الناصر تشكيل محكمة عسكرية لمحاكمتهم نظراً لوجود ثمانية متهمين من ضباط المخابرات البريطانية من الإنجليز ، منهم أربعة تم القبض عليهم وهم : جيمس سوينبرن نائب مدير وكالة الأنباء العربية ، جيمس زارب صاحب مصنع خزف ، جون ثورنتون ستانلى نائب المدير العام لشركة البرودنشيال للتأمين ، وتشارلز بيتاك مدير شركة ماركونى بالقاهرة .

والأربعة الباقون أثنان كانا فى إنجلترا وقت القبض على الشبكة وهما المستر بيرسيفال كريستوفر رن مدير العلاقات العامة بشركة شل وآبار الزيوت البريطانية فى مصر ، والمستر الكسندر رينولدز مدير شركة مقاولات وخدمات لمشركات البترول بالصحراء الغربية .

أما الأثنان الباقيان فكانا دبلوماسيين بالسفارة البريطانية ويديران عمليات شبكات التجسس - وقد وردت أسماؤهما صراحة فى الوثائق المضبوطة لدى المتهمين وكذلك فى اعترافات المتهمين أمام النيابة بعد القبض عليهم وهما : جون برنار فلوكس ويشغل منصب السكرتير التجارى الأول بالسفارة البريطانية وهو ساتر لاخفاء

نشاطه فى حقل المخابرات والعمل ، وجون جوف - سكرتير أول رئيس قسم الفيزات بالسفارة البريطانية - وهو ساتر دبلوماسى لاخفاء نشاطه فى حقل المخابرات البريطانية .

وجميع المذكورين الثمانية يعملون ضباطا لحساب أدارة المخابرات البريطانية فى ميدان العمل ضد مصر وداخل مصر - ويعملون متخذين السواتر المختلفة لهم كما هو واضح من وظائفهم وأعمالهم المتباينة .

وقد اعتبرت السلطات المصرية كلا من الدبلوماسيين جون برنار فلوكس وجون جوف شخص غير مرغوب فيهما ، وتم ابعادهما عن مصر ومنحا مهلة ٤٨ ساعة لمغادرة الأراضى المصرية .

وليس معنى طرد الدبلوماسيين المذكورين إعلان أنهما فقط هما اللذان يديران شبكات التجسس فى مصر لحساب المخابرات البريطانية - بل كان هناك أشخاص آخرون فى السفارة يعملون ضباطا تابعين لادارة المخابرات البريطانية تحت الساتر الدبلوماسى - كما أثبتت ذلك المراقبات والتحريات ومتابعة أحداث القضية بشكل مستمر ومتواصل لمدة ثلاث سنوات تقريبا ، وهؤلاء بعضهم نقل من مصر بمعرفة رؤسائه عندما حان موعد نقله بعد أن أمضى المدة المقررة لبقائه فى مصر كدبلوماسى - وهى مدة لا تزيد على ثلاث أو أربع سنوات على أكثر تقدير - وحل محل الذين نقلوا خلال فترة متابعة القضية دبلوماسيون آخرون جدد ليستمروا فى تسيير عجلة العمل السرى وأعمال التجسس داخل مصر وضد مصر .
وهؤلاء الدبلوماسيون هم :

- سكرتير أول دبلوماسى أوليفر جون .
- سكرتير ثان دبلوماسى دونالد كوكس .
- سكرتير ثان دبلوماسى ستانبورى .
- سكرتير ثالث دبلوماسى مارسيل .
- سكرتير ثالث دبلوماسى لى سوبير .

من هذا العدد الكبير من ضباط المخابرات البريطانية الذين يعملون فى ميدان العمل السرى تحت الساتر الدبلوماسى داخل السفارة البريطانية فى القاهرة - يمكن تقييم قوة جهاز المخابرات البريطانية داخل السفارة فى مصر - حيث كانوا سبعة من الدبلوماسيين - وكانوا وحدهم يكونون سفارة أخرى داخل مصر .

وقد تم ابعاد الدبلوماسيين فلوكس وجوف بأن استدعى السفير حسن محرم من وزارة الخارجية المصرية بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٩٥٦ مستشار السفارة البريطانية المستر ايفانس ، وابلغه أن الحكومة المصرية تعتبر كلا من الدبلوماسيين المذكورين شخصين غير مرغوب فيهما لقيامهما بنشاط معاد لمصر ، وأمهلا يومين لتنفيذ عملية الأبعاد .

وفى اليوم التالى اجتمع المستر ايدن رئيس وزراء بريطانيا مع المستر سلوين لويد وزير خارجية البريطانية وبحثا موقف أبعاد الدبلوماسيين المصريين بالسفارة المصرية فى لندن ، وهما السيد حمدى محمد ناصف الملحق التجارى والسيد صلاح عبد السلام كفافى الملحق السياسى ، كاجراء انتقامى لطرد مصر الدبلوماسيين البريطانيين ، وأمهلا ٧٢ ساعة لتنفيذ أمر الأبعاد ومغادرة الأراضى البريطانية .

وقد نظرت قضية التجسس البريطانية محكمة جنايات مصر برئاسة المستشار محمود عبد اللطيف وعضوية كل من المستشارين محمود حسن عمر وأحمد فؤاد سرى . وقام بالدفاع عن المتهمين الانجليز نخبة من كبار المحامين المصريين كما حضر من انجلترا محامون بريطانيون سمح لهم بحضور المحاكمة مع المحامين المصريين - والمحامون المصريون الذين تولوا الدفاع عن المتهمين الانجليز هم السادة أحمد رشدى - أحمد السادة - عباس الاسوانى وغيرهم - ومثل الاتهام الاساتذة مصطفى الهلباوى رئيس نيابة أمن الدولة - وعلى نور الدين ومحمد الأمام الحديدى وكيلا نيابة أمن الدولة . وحضر المحاكمة أعداد ضخمة من المراسلين الصحفين ومندوبى وكالات الأنباء العالمية والاذاعة وقامت بعض محطات التليفزيون الأمريكية بتصوير المحاكمة كما تابع المحاكمة بعض طلبة كلية الحقوق لجامعات القاهرة والأسكندرية .

وقد اعترف جميع المتهمين الانجليز باعترافات مكتوبة عن قيامهم بنشاط التجسس ضد مصر لصالح أدارة المخابرات البريطانية .

وقد انتدبت المخابرات الحربية - بناء على طلب المحكمة - اللواء مختار صالح مدير المخابرات الحربية والمقدم بحرى شوقى عبد المعطى وذلك للاسترشاد بشهادتهما فيما يختص بالمعلومات الخاصة بالقوات المسلحة والسلاح البحرى والتى تمكنت شبكة التجسس البريطانية من الحصول عليها من القوات المسلحة المصرية .

وقد أجاب اللواء مختار صالح مدير المخابرات الحربية عن أسئلة السادة رئيس المحكمة وهيئة الاتهام وهيئة الدفاع عن تسرب المعلومات العسكرية وما ورد فى تقارير شبكة التجسس منها على سبيل المثال :

- الشركة الهندسية كانت تقوم بإصلاح الطائرات وانتاج القنابل الصاروخية .

- وصول أسراب من سلاح الطيران السورى إلى مصر قبل العدوان الثلاثى مباشرة .

- تحديد محطات الرادار المصرية ومواقعها على الخرائط .

- تسجيل قطع المدفعية والدبابات والعربات المصفحة الداخلة والخارجة من ورش الاصلاح بسلاح الصيانة .

- تحركات القوات المسلحة وخاصة المتجهة منها إلى سيناء والعريش .

- تحديد أماكن مدفعية السواحل والاستحكامات بمنطقة البحر الأحمر وجزر تيران وصنافير وخليج العقبة .

- وصول أجهزة لا سلكية من إيطاليا وتوزيعها على تشكيلات القوات المسلحة .

- وصول بواخر تحمل آلات وماكينات للمصانع الحربية .

كما أجاب المقدم شوقى عبد المعطى من مخابرات السلاح البحرى عن أسئلة هيئة المحكمة والاتهام والدفاع فيما يتعلق بتسرب معلومات عن السلاح البحرى

المصرى خاصة التى نقلها الرائد البحرى أحمد السيد إلى جهاز المخابرات البريطانية منها :

- خطة مصر الدفاعية عن سد قناة السويس وميناء الأسكندرية فى حالة وقوع غزو بريطانى فرنسى على مصر . وجهزت البواخر الآتية بالأسمنت والمفرقعات - الباخرة عكا لسد مدخل القناة من ميناء بورسعيد وأبوقير لسد المدخل فى الجنوب . والسودان ومطروح لسد ميناء الأسكندرية .

- زوارق الطوربيد مستعدة فى بورسعيد إذا رأت سفن معادية فى المياه الاقليمية .

- تقرير مفصل عن المناورات البحرية للسلاح البحرى المصرى خاصة مناورات يومى ٢٨ و ٢٩ يوليه سنة ١٩٥٤ .

- معلومات عن موانىء شرم الشيخ وميناء الادبية من حيث الاتساع والعمق والتجهيزات وغيرها .

- سفر بعثات المشتريات لشراء طوربيدات بحرية من تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الغربية .

- الحصول على كورس تدريبات ضباط السلاح البحرى المصرى الذين سافروا للاتحاد السوفيتى للتدريب على القطع البحرية الجديدة .

وغير ذلك من عشرات التقارير التى تم الحصول عليها فى القضية وتعتبر دليلا دامغا على الخيانة والعمالة ضد البلاد .

وقد صدرت الأحكام ضد المتهمين بجلسة ٢٣ يونيو سنة ١٩٥٧ كالآتى :

١ - السيد أمين محمود ناظر المدرسة واسمه الحركى « بول » الاعدام شنقا .

٢ - الرائد البحرى أحمد لطفى السيد والياور السابق لرئيس الجمهورية وأسمه الحركى « فيليب » الأشغال الشاقة المؤبدة .

٣ – أحمد السيد بدير موظف بسلاح الصيانة بالهاكستب وأسمه الحركى « بادى » الأشغال الشاقة المؤبدة .

٤ – محمد محمد عبيد مدير مكتب وكيل وزارة الشئون الاجتماعية واسمه الحركى « بيل » ٥ سنوات سجنا .

٥ – انطون يعقوب عبد الملك صحفى واسمه الحركى « جو » السجن ٥ سنوات .

٦ – نصيف مرقص ميخائيل موظف بالأرشيف السرى برئاسة المباحث العامة واسمه الحركى « انترنال » وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .

٧ – صموئيل بك إبراهيم عطية مدير وكالة شئون السودان – ومترجم الشبكات السرية واسمه الحركى « مارك » وحكم عليه بالأشغال الشاقة ١٥ عاماً .

٨ – مريد يوسف بدير موظف بمحطة ألماظة الجوية واسمه الحركى « ايربورن » الأشغال الشاقة عشر سنوات .

٩ – يوسف مجلس حنا موظف بمحطة غرب القاهرة الجوية وحكم عليه بالأشغال الشاقة عشر سنوات .

١٠ – جيمس زارب بريطانى صاحب مصنع خزف واسمه الحركى « آدم » الأشغال الشاقة ١٥ عاماً .

١١ – المستر جيمس سوينبرن – بريطانى – نائب المدير العام بوكالة الأنباء العربية وحكم عليه بالأشغال الشاقة خمس سنوات واستعملت معه المحكمة الرأفة وتخفيف العقوبة لاعترافه اعترافاً تفصيليا على جميع أفراد الشبكة خاصة ضباط المخابرات البريطانية داخل السفارة البريطانية الذين يعملون تحت الساتر الدبلوماسى .

١٢ – المستر الكسندر رينولدز بريطانى صاحب شركة مقاولات واسمه الحركى « ساندى » حكم عليه بالاشغال الشاقة عشر سنوات .

١٣ – المستر جون ثورنتون ستانلى – بريطانى نائب مدير شركة البرودنشيال للتأمين على الحياة – وحكم عليه بالبراءة نظراً لأن القانون المصرى كان لا يعاقب فى جريمة التخابر والتجسس سوى على المعلومات العسكرية فقط – أما المعلومات الاقتصادية والسياسية أو أى معلومات تضر الأمن القومى – فلم تكن تجرم وبذلك هرب ستانلى من العقاب – وقد تم تعديل القانون بعد الحكم فى هذه القضية ليشمل جريمة التخابر أى معلومات تضر بالأمن القومى أياً كانت المعلومات عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو غيرها .

١٤ – الكولونيل ميلوفان جليجو ربيفتش – مدير مخابرات الجيش اليوغسلافى – واسمه الحركى « أندريه » حكم عليه بالبراءة لنفس الأسباب للحكم على ستانلى أى قصور فى تجريم جريمة التخابر فى قانون العقوبات .

١٥ – المستر تشارلز بيتاك مدير شركة ماركونى بالقاهرة – بريطانى – حكم عليه بالبراءة .

١٦ – المستر بيرسيفال كريستوفر رن – بريطانى – مدير العلاقات العامة بشركة شل وآبار الزيوت البريطانية لم يحاكم لعدم وجوده فى مصر وقت ضبط القضية .

وقد خص السيد رئيس المحكمة المستشار محمود عبد اللطيف المستر جيمس سوينبرن باهتمام خاص ، حيث قبل أن ينطق بالحكم عليه استدعاه للمثول أمام المحكمة ثم قال له بالإنجليزية .

« لقد رأت المحكمة بعد أن نظرت الاتهامات الموجهة إليك – أنك ارتكبتها جميعاً – وعقاب كل من يرتكب هذه الجرائم هو الأعدام – ولكن المحكمة لاحظت أنك كنت صادقاً فى أغلب أقوالك ، وبهذا كنت عونا فى أثبات التهم الموجهة إلى بعض الخونة الذين لا يستحقون شرف الانتساب لمصر . فهناك مسألة واحدة فى غير مصلحتك هى أنك لم تكشف عن شخصيات زملائك من رعايا بريطانيا الذين كانوا يحلون محلك أثناء غيابك فى الخارج . ولو أنك كنت صادقا من جميع النواحى

لادخلت المحكمة فى اعتبارها اعفائك من العقاب كلية . وعلى ذلك - ونظرا للمساعدة التى قدمتها أثناء التحقيق - قررت المحكمة استعمال الرأفة فى العقاب » .

وساعد المحكمة على هذه النتيجة التى انتهت إليها عاملان : أولهما أنك لم تخف اسماء رؤساء شبكة الجاسوسية الذين يعملون فى السفارة البريطانية والعامل الثانى أنك لم تكن مأجوراً باحثاً عن مال - بل كنت تتجسس بدافع من الوطنية من وجهة نظرك أنت . ولهذا سيكون عقابك الأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات - « انتهت كلمة المحكمة » .

هنا - ابتسم المستر سوينبرن واحنى رأسه شاكراً عدالة المحكمة .

وكان جيمس سوينبرن وجيمس زارب هما أول بريطانيين فى تاريخ مصر يدخلان ليمان طرة ، ويرتديان زى الليمان . ويقومان بتقطيع الاحجار من الجبل تنفيذاً للعقوبة الصادرة ضدهما .

وفى إنجلترا صدرت نداءات فى الصحف ، للشعب البريطانى ليقف بجانب الإنجليزيين اللذين يقضيان عقوبتهما فى سجون مصر باعتبار أنهما من أبطال الأمبراطورية البريطانية .

وانهالت عشرات الآلاف من الخطابات أرسلها المواطنون البريطانيون إلى كل من جيمس سوينبرن وجيمس زارب لشد أزرهما وتشجيعهما على اجتياز محنتهما ، والأعجاب ببطولتهما ، مما كان له أكبر الأثر فى رفع روحهما المعنوية المنهارة .

وتعتبر شبكة التجسس البريطانية فى مصر شبكة متكاملة ، ففى ميدان القوات المسلحة ، كان لها مندوبون يغطون الأسلحة الثلاثة للقوات المسلحة المصرية : الجيش - السلاح البحرى - السلاح الجوى ، وعن طريق هؤلاء المندوبين تسربت معلومات عسكرية على جانب كبير من الخطورة ، كتقارير المناورات البحرية والأرضية والجوية ، وسفر البعثات العسكرية إلى الخارج والحصول على كل

ما حصلت عليه من تدريبات ومحاضرات ، والبعثات التى سافرت إلى الخارج لشراء أسلحة كالطوربيدات البحرية ومصانع الأسلحة وأجهزة الاتصالات وغيرها ، كذلك نشاط المصانع الحربية كمصانع إصلاح الطائرات وصيانتها ، والدبابات والمدفعية والعربات المدرعة ومصانع القنابل الصاروخية ، وكم هائل من المعلومات العسكرية الأخرى ، وأخطرها ما جاء بالمستند رقم ٣١١ ، مخابرات بريطانية ، الخاص بتسرب الخطة الدفاعية للقوات المسلحة فى حالة تعرضها لغزو بريطانى - فرنسى للأراضى المصرية ، خاصة أسماء وأماكن السفن المعدة بالأسمنت والمتفجرات لغلق قناة السويس وميناء الأسكندرية .

وقد استمعت المحكمة إلى شهادة اللواء مختار صالح مدير المخابرات الحربية والمقدم شوق عبد المعطى للاسترشاد برأيهما فيما يختص بالمعلومات العسكرية التى تسربت عن طريق المتهمين إلى أدارة المخابرات البريطانية .

أما فيما يختص بميدان المعلومات عن السودان فكان شعل بريطانيا الشاغل هو سؤال واحداً : « هل السودان سيتحد أم سينفصل عن مصر ؟ » .

وكانت مجموعة من المتهمين تقوم بتغطية هذا الاحتياج أهمهم محمد عبيد باعتباره ينحدر من أصل سودانى وصمويل عطية باعتباره مدير وكالة شئون السودان ومن الخبراء القلائل فى الشئون السودانية .

وفى مجال النشاط المعادى للكتلة الشرقية ، كان الكولونيل جليجو ريبفتش مدير المخابرات اليوغسلافية سابقا ، هو الذى يغطى لهم كافة المعلومات التى يحتاجون إليها عن سفارات الكتلة الشرقية فى مصر ، عن طريق جيش من اللاجئين اليوغسلاف الذين يقيمون فى مصر - مايقرب من مائة وخمسين مندوبا - وهذه السفارات هى :

١ - السفارة السوفيتية :

٢ - السفارة الرومانية .

٣ – سفارة المجر .

٤ – سفارة بولندا .

٥ – السفارة اليوغسلافية .

٦ – السفارة التشيكية .

وكان له مندوبون فى بورسعيد والأسكندرية والسويس لتغطية نشاط قنصليات هذه الدول الشرقية فى هذه الموانىء الثلاثة ، وكان يهتم حسب احتياجات المخابرات البريطانية ، بكل ما يتعلق بصفقة الأسلحة التى عقدتها مع تشيكوسلوفاكيا والمعرفة بصفقة الأسلحة التشيكية .

كما كان جيمس زراب « ادم » مكلفا بمهمة تجنيد عناصر من خبراء الكتلة الشرقية الذين يترددون على مصر لكى يعملوا لحساب المخابرات البريطانية ضد الدول التى ينتمون إليها عن طريق وسيلة « الاتصال المباشر » كما هو معروف فى لغة المخابرات ، خاصة إذا صادفه أحد من الذين يجتاحهم الشعور بعدم الرضا أو الكراهية لأنظمة الحكم الشيوعية فى الدول التى ينتمون إليها .

ومن الطريف أن الكولونيل جليجو ريبفتش كان يتبع وسيلة جميلة وسهلة للحصول على المعلومات عن كل ما يجرى داخل سفارات الكتلة الشرقية ، وذلك عن طريق سيدات يوغوسلافيات يتقّن فن التفصيل الراقى ، فكانت الشقق التى يزاولن فيها حياكة الفساتين ، أشبه بصالونات تجتمع فيها زوجات دبلوماسيى سفارات الكتلة الشرقية . وعن طريق هذه الصالونات وما يجرى داخلها من دردشة وحكايات ، تجد طريقها إلى الكولونيل جليجو ريبفتش ثم إلى المخابرات البريطانية .

أما أخبار حركات التحرير لشمال افريقيا ، خاصة الجزائر والمغرب ضد الاستعمار الفرنسى ، فكانت تغطيها الشبكة عن طريق الكولونيل جليجو ريبفتش عن طريق

تدريبات المجاهدين فى يوغوسلافيا وبعض بلاد الكتلة الشرقية وعن طريق السيد أمين محمود الناظر « بول » والصحفى انطون يعقوب « جو » ، وكان الكولونيل جليجو رييفتش يسلم تقاريره عن نشاط هؤلاء المجاهدين إلى ضابط المخابرات الفرنسى جنيس هنرى ضابط المكتب الثانى بالسفارة « المخابرات الفرنسية » .

أما أخبار السلطة الحاكمة فى مصر وكانت وقتها مجلس قيادة الثورة ، فكان يغطى أخبارها محمد عبيد « بيل » وأحمد السيد « فرانك » والرائد البحرى ياور رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة فيليب .

أما أخبار المجتمع المصرى وكبار السياسيين القدماء فكان يغطيها المستر كريستوفر رن ، مدير العلاقات العامة بشركة شل هو وأفراد شبكته الذين ينتمون إلى الطبقة الارستقراطية فى مصر ، كذلك أحمد السيد رمش أو « فرانك » مدير مكتب رئيس الوزراء على ماهر باشا ، ثم مدير مكتب رئيس مجلس الانتاج القومى .

وقد تطلب التحقيق تفتيش مائة منزل وسماع أقوال ما يزيد على مائتى شخص منهم خمس وعشرون سيدة كلهن ضمن شبكة الكولونيل جليجو ريفتش ، واستغرقت صفحات التحقيق ٢٥٠٠ صفحة وحضر للدفاع عن المتهمين ثلاثون محاميا من كبار محاميى مصر .

ونظراً للقصور الكبير فى قانون العقوبات بالنسبة لجريمة التخابر ، فقد تم تعديل لقانون بالنسبة لجريمة التخابر ، حيث كانت جريمة التخابر مع سلطات أجنبية مقصورة على المعلومات العسكرية فقط ، وكانت هذه الثغرة فى القانون هى التى مكنت المتهمين الذين حصلوا على حكم البراءة لكى يفلتوا من العقاب ، رغم تورطهم لآذانهم فى أعمال التجسس ، وبعد تعديل القانون ، أصبح التخابر مع جهات أجنبية ، يجرم علاوة على المعلومات العسكرية ، أى معلومات سياسية أو اقتصادية أو أى معلومات أخرى تضر بأمن الدولة .

ولهذا السبب برأت المحكمة الميجر ثورنتون ستانلى والكولونيل جليجو ريبفتش . أما المستر شارلز بيتاك مدير شركة ماركونى وهو الشخص الذى قبض عليه فى شقة المستر سوينبرن – يتسلم منه الشبكة ومرتباتها بحضور ناظر المدرسة – بول – فقد برأته المحكمة نظراً لأن القصد الجنائى لم يكن قد اكتمل بعد – من وجهة نظرها – لمزاولة أعمال التجسس وقت القبض عليه . ولا شك أن المحكمة كانت كريمة مع هؤلاء المتهمين الثلاثة .

قالت مجلة « المصور » تحت عنوان : « مع ٣ براءة فى مطار القاهرة » :

تشارلز بيتاك ، جون ثورنتون ستانلى ، ميلوفان جليجو ريبفتش ، ثلاثة أسماء ترددت كثيراً بين ٣٠ متهما فى قضية الجاسوسية الكبرى ، وكان نصيب ثلاثتهم البراءة ضمن الستة عشرة متهماً الذين برأتهم المحكمة « محكمة جنايات القاهرة صباح يوم السبت ٢٢ يونيو الماضى عام ١٩٥٧ » وخرج الثلاثة من باب السجن – سجن مصر فى منتصف الساعة السادسة من نفس اليوم ، بعد أن قضوا بين جدرانه حوالى عشرة أشهر على ذمة القضية .

وقضى الرجال أسبوعاً كاملاً فى مكان ما أخفته السفارة السويسرية التى تولت رعايتهم ، حتى استردوا أعصابهم التى كانت منهارة تماماً طوال مدة التحقيق والمحاكمة .

وفى الساعة الثامنة صباحاً يوم الأحد الماضى كانوا بمطار القاهرة الدولى فى صحبة « المسيو ديبوا » مستشار السفارة السويسرية والمسيو « كادتر » سكرتيرها .. وفى الساعة العاشرة اقلعت بهم الطائرة إلى لندن ، ولم يكن هناك أحد فى وداعهم سوى رجال السفارة السويسرية والسيدة أولغا وزوجها والخادمة « بدور » لوداع المستر تشارلز بيتاك زوج شقيقة أولغا .

وقد حمل كل واحد من الثلاثة فى حقيبته تذكاراً من مصر – حمل بيتاك معه طربوشاً – وسألته : لم أخذت طربوشاً ؟

فأجابنى : زعموا يوماً أن المصريين يعتدون على الأجانب فى الشوارع ، ونصحونى بالتنكر بوضع الطربوش على رأسى حتى يظنونى مصرياً ، ولكنى فى الحقيقة لم أضعه على رأسى مرة واحدة . فلقد كانت فرية ظالمة .

— بالمناسبة ما رأيك فى الحكم ؟ هل كنت تتوقع البراءة ؟

تنهد بعمق قبل أن يجيبنى عن سؤالى وقال : كنت واثقاً من البراءة ، كان الاحساس بها يغمر قلبى ، أنا لا أفهم القانون ، ولا أستطيع تقدير حكمه على التهم التى كانت منسوبة إلى ، ولذلك لم أحاول مناقشتها ، ولكن ذلك الاحساس الذى كان يغمر قلبى بالبراءة ، ولا أدرى كنهه ، لم يتخل عنى أبداً منذ لحظة القبض على حتى لحظة النطق بالحكم . أن عندكم قضاء ينبغى أن تفاخروا به العالم .

كان ستانلى مهموماً قلقاً فسألته عن السر فأجابنى : أن اليوم عيد ميلاد ابنى « ينجيل » وكنت أمل أن أحضره حيث لم أره منذ ولادته ولكن الطائرة ستصل وهو يغط فى النوم . وقد حملت له هدية قيمة معى .. وأخرج من جيبه مصحفاً صغيراً داخل علبة صغيرة من الفضة وقال لى : أنه هدية سجين شيخ ، التقيت به فى المحكمة مرة ، ولا أعرفه ، ولا أعرف أسمه ، كنت يومئذ فى أشد حالات الانهيار ، ورآنى ذلك السجين الشيخ أبكى ، فدس يده فى جيبه وأعطانى هذا الكتاب المقدس ونصحنى بألا أنسى حمله معى حتى تدركنى العناية الإلهية ورحمة الله . وقد أدركتنى رحمة الله كما ترى .

سألته : هل كنت تتوقع حكم البراءة ؟ وأجابنى : أتريد الصدق ؟ .. كنت أتوقع حبل المشنقة .. فقد كان جميع المتهمين الذين معى يتوقعونها ، ولا حديث لهم إلا حبل المشنقة ، حتى أصبح شبحها لا يغادر عينى لحظة واحدة أينما ذهبت ، وأينما كنت ، ثم أضاف : أن رئيس المحكمة رجل ذكى وبارع ، كان يخيل إلى خلال جلسات المحكمة أنه يتنقل بين مقعده ومقعد الاتهام ومقعدنا — أعنى الدفاع —

ويتكلم بلسان الكل ليحقق العدالة للكل ، وكان هذا رأيي فيه ، حتى قبل أن ينطق بالحكم .. ثق من هذا .

هل كان هذا رأى سوينبرن وزارب أيضاً وهما فى الليمان الآن ؟ — أعتقد ذلك — فقد كانا لا يتوقعان غير المشنقة .

كان آخر ما فعله الكولونيل مليوفان جليجو ربيفتش عندما نادى الميكرون فى مقصف المطار ، وانبعث منه صوت المضيفة الخاصة بالشركة الجوية يدعو الركاب إلى الطائرة ، أن تناول كوب ماء وشربه لآخر قطرة فيه وهو يقول : هذا ماء النيل أشربه ، لأعود إليه .

وسألته : هل كنت تتوقع البراءة ؟ فقال : كنت أدعو الله أن تشملنى رحمته ، فاستجابت السماء لدعائى ، وقد حلمت يوم صدور الحكم ، حلما مزعجاً مهلكاً ، وذهبت بسببه إلى الجلسة محطماً مهدماً ، وجدت نفسى فى الحلم فى ميدان فسيح ، ورأيت نفسى فى ملابس عسكرية وقد جاءوا بى إلى ساحة الميدان ، لتنفيذ الحكم فى رمياً بالرصاص ، وبدأت اجراءات التنفيذ ، وضعونى وسط جماعة من رفاق العسكريين وعددهم سبعة وأنا من دونهم معصوب العينين ، والاجراءات تقضى بأن أسير وأنا بين هؤلاء الرفاق ، ونحن فى شبه دائرة — وقف الجنود المكلفون بتنفيذ حكم الأعدام وبأيديهم بنادقهم ، والمتبع هو بعد أن يدور الرفاق وأنا بينهم عدة دورات تعطى لهم اشارة من الضابط ، رئيس القوة المكلفة بالتنفيذ ، فينفصلون عنى ، دون أن أشعر لأن عينى معصوبتان حتى يمكن أطلاق النار علي ، وهذا ما حدث معى بالفعل فى الحلم ، وأطلق الجنود بنادقهم ، ولكن الرصاص لم يخرج منها ، وعند هذا الحد استيقظت من نومى منزعجاً مذعوراً ، رغم أننى لا أؤمن بالأحلام ، ورغم أن رصاص بنادق الجنود لم ينطلق ، فقد تداعيت ، ولم أصدق أذنى عندما سمعت الحكم ببراءتى .

وأخيراً دعت المضيفة الركاب للتوجه إلى الطائرة ، وقبلت مدام أولجا المستر تشارلز بيتاك ، ومد يده يصافح الخادمة « بدور » وهو يقول لى : لقد أتحفتنى وأنا فى السجن بأشهى المأكولات ، أما المستر ستانلى ، فقد سار بخطوات سريعة يتقدم الجميع نحو الطائرة ، وصحت به : لم هذه العجلة ؟

أجابنى وهو يضعف من خطواته : « هل نسيت أن اليوم عيد ميلاد الصغير (ينجيل) » .. أنتهى مقال مجلة المصور .

□ □ □

وهكذا أنتهت قصتى مع جهاز المخابرات البريطانية والتى أستمرت ثلاث سنوات متواصلة .. سنوات مليئة بالأحداث الجسام والتحديات الكبيرة .

وثـائـق .. وصـور



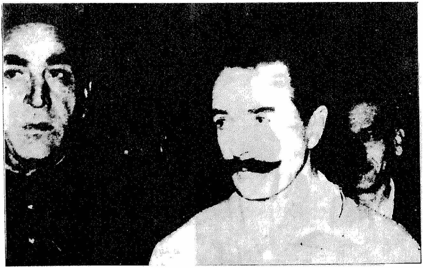
جيمس سوينبرن
ضابط المخابرات
البريطانية الذى كان
يعمل تحت ساتر نائب
مدير وكالة الأنباء
العربية بالقاهرة .



جيمس سوينبرن
بالزى العسكرى



جيمس سوينبرن يستمع الى حكم المحكمة



جون تورنتون ستانلى ضابط المخابرات البريطانية أثناء المحاكمة



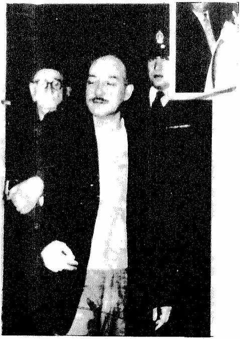
المستر جون ثورنتون ستانلى متنكراً فى زى إمرأة



تشارلز بيتاك مدير عام شركة ماركوني وضابط المخابرات البريطانية يستمع إلى حكم المحكمة .. ويقف خلفه جون ستانلى ينتظر دوره لسماع الحكم

المتهمون فى قفص الاتهام خلال المحاكمة ويظهر فى الصورة جون ثورنتون ستانلى





جيمس زارب من أخطر ضباط شبكة المخابرات البريطانية وخلفه صمويل بك عطية مترجم الشبكة خلال المحاكمة .



أربعة من ضباط المخابرات البريطانية كانوا خارج الأراضى المصرية وقت القبض على أفراد شبكة التجسس ، الأول من اليمين الكسندر رينولدز والثالث كريستوفر رن مدير العلاقات العامة بشركة شل



جيمس زارب ضابط المخابرات البريطانية (الأول من اليمين) أثناء مراقبته فى أحد النوادى الليلية .

<u>SECRET.</u> SP.9/7
KY No. 0751

<u>Mr. Christopher Wren, a public relations officer with Shell in Cairo, has applied for a post as "director" in the Arab News Agency in Cairo – an agency that is to a large extent controlled by my Head Office in London.</u>

2. The matter has been discussed by my Head Office and the Foreign Office and it has been agreed in principle that the appointment of Mr. Wren should be made. Before a final decision is taken, however, I have been instructed to obtain H.E.'s approval for the appointment. The sentence used in the letter to me is : " We do not think that an adverse opinion of Mr. Wren is likely to be held in the Embassy, but his past record has not been entirely free from discord, and it is possible that at some stage he may have "got across" someone in authority. We do not wish at a later stage to be told that the Embassy does not consider him suitable for the post."

3. On receipt of H.E.'s approval, the appointment will be made. Mr. Wren, at present on U.K. leave, will not return to Cairo for several months, nor will publicity be given to the appointment. This, it is hoped, will minimize any suspicion of a possible link between Shell and the Arab News Agency.

4. I am asked to assure H.E. that Mr. Wren's appointment does not mean that Shell will exercise any control over the policy of the Arab News Agency, and that Mr. Tom Little will remain in fact A.N.A.'s Chief representative and Mr. Wren's superior, despite the latter's title of "director".

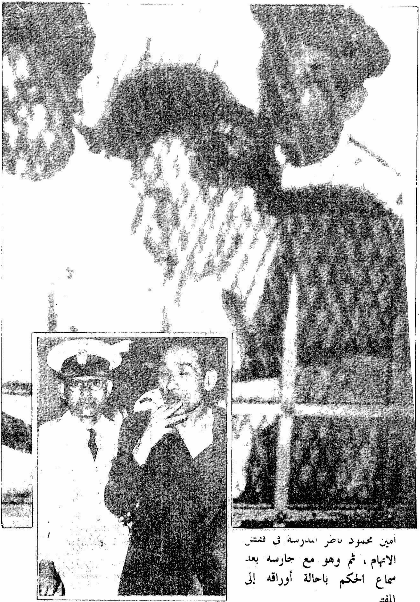
(D. T. COX)

September 16,1955

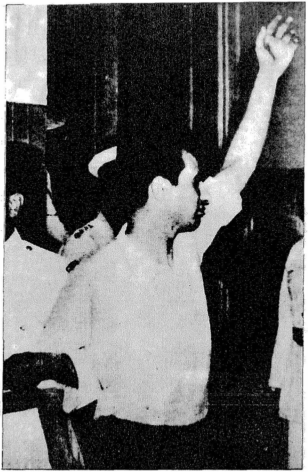
<u>H. of C.</u>

<u>H. E.</u>

وثيقة سرية خطيرة صادرة من إدارة المخابرات البريطانية فى لندن إلى
رئيس مخابرات السفارة البريطانية بالقاهرة تؤكد علاقة شركة شل
ووكالة الأنباء العربية بجهاز المخابرات البريطانية .



أمين محمود ناظر المدرسة فى قفص
الاتهام ، ثم وهو مع حارسه بعد
سماع الحكم باحالة أوراقه إلى
المفتى .



أحمد لطفى السيد (رائد) الياور البحرى للرئيس محمد نجيب رئيس الجمهورية الأسبق أثناء محاكمته .



الكولونيل ميلوفان جليجور بيفتشى مدير مخابرات الجيش
اليوغوسلافى بعد القبض عليه فى قضية التجسس البريطانية .



اليوزباشى محمد شكرى حافظ ضابط المباحث العامة المصرية الذى يرجع إليه الفضل فى كشف أعضاء شبكة التجسس الذين جندتهم المخابرات البريطانية بغرض اسقاط نظام عبد الناصر .

محتـــويات الكتـــاب

الموضــوع	الصفحة

صدر من سلسلة « كتاب الحرية »

١١- كنت نائباً لرئيس المخابرات ....
للأستاذ / عبد الفتاح أبو الفضل

١٢ - مصر .. من يريدها بسوء ؟ ....
للأستاذ / محمد جبريل

١٣ - فى الاقتصاد الإسلامى ....
للأستاذ الدكتور / راشد البحراوى

١٤ - المشكلات النفسية للطفل وطرق علاجها ....
للأستاذ الدكتور / ملاك جرجس

١٥ - الشيعة . المهدى . الدروز - تاريخ ووثائق (طبعتان) ....
للأستاذ الدكتور / عبد المنعم النمر

١٦ - ثورة الابن .. أسرار ووثائق قضية ثورة مصر ....
للأستاذ / مصطفى بكرى

١٧ - مشوارى مع عبد الناصر ....
مذكرات د . / منصور فايز الطبيب الخاص للرئيس
جمال عبد الناصر

١٨ - تنظيم الجهاد . هل هو البديل الإسلامى فى مصر ؟ ....
للأستاذة / نعمة الله جنينة

١٩ - فى بيتنا مريض نفسى ....
للأستاذ الدكتور / عادل صادق

٢٠ - عبد الناصر .. والمخابرات البريطانية ....
للأستاذ / محمد شكرى حافظ

رقم الايداع :	٨٧ / ٨٨٣١
الترقيم الدولى :	٩٧٧ - ١٤٥٥ - ١١ - ٧

دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر (ش.م.م)

العدد القادم

من

كتاب الحرية

سنوات الغضب

مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

بقلم: صبري أبو المجد

.. هذا الكاتب :

- من مواليد مدينة الاسكندرية عام ١٩٢٧
- تخرج في كلية الشرطة عام ١٩٤٧ .
- عمل ضابطاً بالمباحث الجنائية حتى عام ١٩٥٢ .
- عقب قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ انتقل للعمل بجهاز المباحث العامة .
- رشح للعمل بجهاز المخابرات العامة المصرية منذ نشأته عام ١٩٥٦ ، وظل يعمل به حتى عام ١٩٧١ حيث كان يشغل منصب رئيس العمليات بهيئة الأمن القومي .
- شغل منصب الرقيب العام من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٧٤ .
- صدر قرار جمهوري بترقيته وكيلاً لوزارة الإعلام المصرية عام ١٩٧٤ وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٧٧ .

.. وهذا الكتاب :

يزيح فيه المؤلف الستار - لأول مرة - عن واحد من أهم الانتصارات التي حققتها المخابرات العامة المصرية ، وذلك من خلال الدور السري الذي اضطلع به المؤلف في كشف وضبط أفراد شبكة التجسس التي جندتها المخابرات البريطانية عام ١٩٥٤ بغرض اسقاط نظام عبد الناصر .

.. وهذه الدار :

هي أول دار مستقلة للصحافة والطباعة والنشر ، نشأت نتيجة جهد وعرق وإيمان مجموعة من المشتغلين بالفكر والكتابة .

- لتكون ساحة للحوار وملتقى للفكر المستنير وللتفاعل بين الآراء والاتجاهات المختلفة في مصر والوطن العربي .
- ولتكون حلقة وصل بين التيارات الوطنية المختلفة والاجيال العاملة في الحقل العام .
- ولتكون اطلالة على الغد تستشرف آفاقه وتبحث مشكلاته ، وتسعى إلى فحص حلولها .

وهي من هذا المنطلق تتجاوز معارك الأمس ، وتخوض معارك الغد ، وتعتمد في ذلك على الجيل الجديد من الشباب ، تتحدث إليه وتعمل من خلاله وبواسطته .

وفي كل ما يصدر عنها فان « دار الحرية » تلتزم بالموضوعية في التحليل ، وبالتفكير العلمي ، وباحترام عقل القارىء ، وذلك بهدف دعم الحوار الفكري ، وجذب كل الآراء والاتجاهات إلى دائرة الحوار .